جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا
فرع العقيدة
مكة

أدخلت لمعدلات المطلوبة
محمد خليل الهرس
عبد الرزاق خصصة ٢ عقيدة

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٠٢

منهج القرآن

في الدعوة إلى الإيمان

رسالة ماجستير مقدمة إلى فرع العقيدة

من

علي محمد ناصر فقيهي

٠٠٢١٠٢
جامعة أم القرى المكتبة المركزية
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH
١٠٢

بإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

عوض الله جاد حجازي

١٣٩٤/١٣٩٥هـ

شكـــــر وتقديـــــر

يقول رسول الهدى صلى الله عليه وسلم :(من صنـع اليكم معروفـا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافؤنه به ، فادعوا له حتى تروا أن قـد كافأتموه)(١)

وانى فى هذه الرسالة لمدين بالفضل الكبير بعد الله سبحانه وتعالى ، لأساتذتـى الكرام الذين نلت من توجيهاتهم القيمة ما فتح لى الطريق وأنار لى السبيـل فـى هذا البحث ، وعلى رأس هؤلاء سعادة استاذى الفاضل المشرف على هذه الرسالة الدكتور / عوض الله جاد حجازى ، الذى لقيت من رحابة صدره وغزارة علمه وسعـة اطلاعـه ودقة ملاحظاتـه ، واخلاصـه فى توجيهاته ما دفعنى فى استمرار العمل ومواصلتـه ، فقد كان يضحـى براحتـه فى سبيل انجاز عملى ، اذ لم يقتصر علـى الساعات الرسمية المحدودة فى الكلية ، بل فتح قلبه وبيته لى خلال مدة البحـث وما ذكرته عن سعادته هو ما يلمسه جميع طلابـه الذين حظوا باشرافه علـــى رسائلهم ، وانى لا املك الا ان أدعو الله تعالى أن يجزيه خير ما يجزى بـــه عباده المحسنيـــن .

كما أخص بالذكر سعادة استاذى الفاضل رئيس فرع العقيدة الدكتور /خليل هـراس الذى نلت من توجيهاته الشيء الكثير ، وسعادة الدكتور /أمين المصرى ، وفضيلة الأستاذ صادق عرجـون ، وفضيلة الشيخ حماد الأنصـارى على ما قدموه لـــى من توجيـه وارشاد .

كما اتقدم بشكرى وتقديرى لكل من ساعدنى مساعدة مادية باعارة الكتب التى كنـت محتاجا اليها ، وأخص بالذكر الزميل الفاضل عبد الرحمن كردى الذى أمدنـــى بعدد من الكتب التى كنت محتاجا اليها ، فله خالص شكرى وتقديرى .

---

(١) أبو داود كتاب الزكاة ج ١ ص ٢٨٩
والنسائى ج ٥ ص ٦١
والمسند ج ٢ ص ٩٩

محتويات الرسالة

الموضوع	رقم الصفحة
شكر وتقدير	أ
فهرس الموضوعات	ب ـ ه
المقدمة	أ ـ ٤
الفصل الأول ـ المنهج وأنواعه	٥ ـ ٣٤
معنى المنهج الاصطلاحى	٥
معنى المنهج اللغوى	٥ ـ ٦
تطور معنى كلمة " منهج " ورأى الدكتور بدوى فى أول من اخترع المنهج العلمى فى البحث .	٦ ـ ٩
مناقشة رأى الدكتور بدوى ، وبيان الصواب فى ذلك	١٠ ـ ٢٠
أنواع المناهج	٢١ ـ ٢٧
القرآن كتاب هداية	٢٨ ـ ٣٠
هل اشتمل كتاب الله على شيء من مناهج الفكر العقلية	٣٠ ـ ٣٤
الفصل الثانى ـ بيان حقيقة الايمان وذكر أركانه اجمالا	٣٥ ـ ٤٩
المقصود بالايمان .	٣٥ ـ ٣٦
الايمان لغة .	٣٦ .
حقيقته الاصطلاحية	٣٦ ـ ٣٨
مجمل اركان الايمان	٣٩ ـ ٤٠
١ ـ الايمان بالله	٤٠ ـ ٤٥
٢ ـ الايمان بالملائكة	٤٥ ـ ٤٦
٣ ـ الايمان بالكتب	٤٦
٤ ـ الايمان بالرسل	٤٧
٥ ـ الايمان باليوم الآخر	٤٧ ـ ٤٩
٦ ـ الايمان بالقدر	

الموضـــــوع	رقـــم الصفحـة
الفصـــل الثالث :	
مسلك القرآن فى الا ستدلال على وجود الله	٥٠ ـ ٩٩
التمهيـــــد	٥٠ ـ ٥٣
أدلة القرآن	٠ ٠
أولاً ـ دليل الخلق	٥٤ ـ ٨٠
١ ـ خلق السمـاء	٥٥ ـ ٥٩
٢ ـ خلق الأرض	٥٩ ـ ٦٧
٣ ـ خلق الانسـان	٦٨ ـ ٧٤
٤ ـ ظاهرة الحياة	٧٥ ـ ٨٠
ثانيًا ـ دليل العنايـــة	٨١ ـ ٨٨
ثالثًا ـ دليل النظام	٨٩ ـ ٩٢
مسلك المتكلمين ، والفلاسفة فى اثبات وجود الله ،	٩٣ ـ ٩٩
أولا ـ مسلك المتكلمين	٩٣ ـ ٩٧
ثانيا ـ مسلك الفلاسفة	٩٧ ـ ٩٩
الفصل الرابـــع :	
مسلك القرآن فى إثبات النبـــوة	١٠٠ ـ ١٥٨
التمهيـــــد	١٠٠ ـ ١٠٣
١ ـ المبحث الأول : فى تعريف النبى ، والرسول والفرق بينهما	١٠٣ ـ ١١٣
١ ـ آراء العلمـاء	١٠٣ ـ ١٠٨
٢ ـ موقف القرآن	١٠٨ ـ ١١٣
٢ ـ المبحث الثانى : صفات الأنبياء	١١٤ ـ ١٢٣
أولا : وصف العلماء الانبيـــاء	١١٤ ـ ١١٥

الموضـــوع	رقم الصفحـــــة
ثانيا : وصف القرآن لهم .	١١٥ ـ ١٢٣
٣ ـ المبحث الثالث : العصمة .	١٢٤ ـ ١٣٩
تعريفهـــا .	١٢٤ ـ ـ
أولا : آراء العلماء في العاصمة	١٢٤ ـ ١٢٩
ثانيا : مسلك القرآن في العصمة	١٣٩ ـ ١٣٩
المبحث الرابع ـ الوحـــى .	١٤٠ ـ ١٤٥
المبحـــث الخامس ـ دلائل صدق النبوة	١٤٦ ـ ١٥٨
آراء العلماء	١٤٦ ـ ١٤٧
مسلك القرآن في ذلك	١٤٨ ـ ١٥٠
المعجزة ـ تعريفها ـ دلالتها .	١٥٠ ـ ١٥٢
أنواع المعجزات	١٥٣ ـ ١٥٨
الفصـــل الخامـــس :	
مسلك القرآن في اثبات البعث والجزاء	١٥٩ ـ ١٨٧
١ ـ تمهيـــد .	١٥٩ ـ ١٦٢
٢ ـ مسالك القرآن	ـ
المسلك الأول	١٦٢ ـ ١٧٤
المسلك الثاني	١٧٤ ـ ١٨٣
المسلك الثالث	١٨٣ ـ ١٨٧
الفصـــل السادس :	
أراء العلماء في البعث	١٨٨ ـ ٢٠١

الموضـــوع	رقم الصفحـــــة
١ ـ الأقوال المذكورة فى حقيقة البعث	١٨٨ ـ ١٩٠
٢ ـ مناقشة رأى الفلاسفـــة فى المعاد الروحانى وابطاله	١٩٠ ـ ١٩٢
٣ ـ الغزالى لم يقل بالمعاد الروحانى	١٩٣ ـ ١٩٤
٤ ـ قول أهل السنة هو ما جاء به القرآن	١٩٤ ـ ١٩٥
٥ ـ هل الاعادة عن عدم او عن تفريق وآراء العلماء فى ذلك .	١٩٥ ـ ١٩٦
٦ ـ موقف القرآن	١٩٦ ـ ٢٠١
الخاتمـــة	٢٠٢ ـ ٢٠٧
ثبت المراجـع	٢٠٧ ـ ٢١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

" مقدمـــــة "

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأنزل عليه أظهر البينات وأقوى الحجج ، قرآنا عربيا غير ذى عوج ، مصدقا لما بين يديه من الكتاب ، ناطقا بكل أمر رشيد ، وهاديا الى صراط العزيز الحميد ، فقد جعله الله له شرعة ومنهاجا ، وأمره أن يدعو الناس الى الايمان بالله ، واليوم الآخر بواسطته ، مبينا لهم أن ذلك ليس من عنده صلى الله عليه وسلم وانما هو وحي من الله جل جلاله ، قال تعالى (قل انما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) . (١) ، ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه ، والذى قد أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، فليس بعد هداية القرآن هداية ، وليس بعد ارشاده ارشاد ، قال تعالى : (ان هذا القرآن يهدى للتى هي أقوم (٢) ، وقال تعالى : (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) . (٣) .

وأصلى وأسلم على خير خلقه ، وأفضل رسله ، محمد بن عبد الله ، رسول الهدى ، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيله ، واتبعوا نهجه ، وعلى من تبعهم وسار على دربهم وطريقتهم الى يوم الدين .

أما بعد :

فقد يسر الله لى بفضله وكرمه ، أن ألتحق بقسم الدراسات العليا فى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة ، جامعة الملك عبد العزيز ، وكان من شرط الجامعة ، ونظامها ، أن يكتب الطالب بحثا علميا فى مجال تخصصه ، بعد نجاحه فى السنتين المنهجيتين ، لينال بهذا البحث العلمى درجة التخصص " الماجستير " ولما كان تخصصى فى الشريعة الاسلامية ، وفى فرع " العقيدة " بالذات ، وكانت العقيدة الاسلامية ، هي أساس البناء التشريعى ، ولا يتم بناء عالم

---

(١) سورة الأنبياء آية ٤٥

(٢) سورة الاسراء آية ٩

(٣) سورة يونس آية ٥٧

ز/جاها

يكن هناك أساس قوى ، يبنى عليه هذا التشريع ، فلايمكن أمر الناس بطاعة الله تعالى وعبادته ، الا اذا اعترفوا بوجوده وعلمه ، وقدرته ، وارادته ، وأنه لابد لهم من يوم يجزون فيه على أعمالهم ، ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا ، ومن أجل ذلك ، فقد مكث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ثلاثة عشر عاما من دعوته بمكة المكرمة ، والقرآن يتنزل عليه لتصحيح العقيدة ، وتصفية الملة الحنيفية ، مما ران عليها من درن الكفر ، وشبه الضلال والالحاد ، ولم ينزل عليه فى هذه الفترة الطويلة من عمر الدعوة تشريع ، اللهم الا فرض الصلاة ، وبعد أن نقيت القلوب ، وأزيح عنها حجاب الكفر ، وظلمات الشرك ، وثبت الأساس المتين ، وهوالايمان بالله وحده ، قام عليه ذلك البناء الشامخ الذى لم تهزه أعاصير الشبه ، والشكوك ، وحيث أن العقيدة الاسلامية ، مازالت ، ولن تزال فى كل عصر الهدف لشبه البطلين ، وكيد الماكرين ، بكل وسائلهم المختلفة ، ومنها عرض أباطيلهم ، بصور سهلة وميسرة ، لاصطياد الشباب ، وايقاعهم فى حبائل الشك ، بذلك التمويه والتزوير .

ولا شك ان كتب العقائد الاسلامية ، مملوءة بالأدلة القوية ، والحجج الواضحة ، التى تدحض شبه هؤلاء الملحدين ، وترد كيد الماكرين ، لوجود الله تعالى ، والطاعنين فى رسالته ، والمنكرين للحقائق الأخروية ، من البعث والجزاء ، تلك الحقائق التى قرن الله عز وجل الايمان بها ، بالايمان بوجوده تعالى ، نفيا ، واثباتا ، كما قال تعالى : (لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ، انما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون) . (١) .

غير أن تلك الحجج والبراهين ، التى ذكرت فى كتب العقائد ، ليس من السهل ادراكها لكل أحد ، لأنها قد بنيت على اصطلاحات ، ومقدمات لايدركها الا القليل من الناس ، وهم الذين تخصصوا فى هذه الدراسة ، وانقطعوا لها .

---

(١) سورة التوبة آية ٤٤ ، ٤٥ .

ولما كان بين أيدينا القـــرآن الكريم ، الذى لايأتيه الباطل من بين يديـه ولا من خلفـه ، قد تضمن منهجـــا سهلا ، وأسلوبا واضحا ، فى الدعوة الـــى الايمـــان بالله ، ورسـله ، وبالحقائق الأخروية ، من البعث والجزاء وغيرهمـــا معتمدا فى ذلك ، على مقدمات يفهمها كل مخاطب ، كما اشتمل على حجج كثـــيرة للرد على الشـــبه الواردة من المبطلين ، ردا بينا يدركـــه كل من أعمل فكرة وعقله .

لذلك استخرت الله تعالى ، وأخترت أن يكون موضوع رسالتى لدرجـــــة الماجســـتير هو :

" منهج القرآن فى الدعوة الى الايمـان "

وذلك للأسـباب الآتيـــة :

أولا : ان القـرآن الكريم هو أســاس العقيدة الاســلامية .

ثانيا : انه قد اشتمل على أكثر شبه المنكرين المبطلين ، ورد عليها وناقشـــــها .

ثالثا : لأنه يمتاز بالسهولة والوضـوح ، ذلك لأنه خطاب للفطرة البشـــرية ، ممن هو عالـم بخصائصها ، (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .(١) . وقد اقتنعت بهذا الموضوع ، ووافق المسؤولون على تسجيله ، وبعد ذلـــك استعنت بالله تعالى ، وتوكلت عليه ، واستمدت منه العون والتوفيـــــق ، والسـداد ، وحاولت جهدى ، أن أرســم الخطة ، والطريق الـــذى أســلكه لتوضيح هذه الغاية ، والوصول الى هذا الهدف ، فعملت على تقســيم هذا البحث الى مقدمة ، وســتة فصول وخاتمـــة .

أما المقدمة : فقد ذكرت فيها الدوافع والأسـباب التى حملتنى على اختيـار هذا الموضوع للدراســـة ، كما بينت فيها الخطـة والمنهج الذى سرت عليه فى كتابـة الرســالة .

أما الفصل الأول : فكان عن المنهج وبيان أنواعه فى عرف العلماء ، ثـــم بيان ماينطبق منها ويتوافق مع منهج القرآن الكريـم .

---

(١) سورة المـــلك آية ١٤

أما الفصل الثاني : فكان في بيان حقيقة الايمان ، وذكر أركانه اجمالا .

أما الفصل الثالث : فقد عقدته لبيان مسلك القرآن في الاستدلال على وجود الله تعالى ، وذكرت في ذلك عدة مسالك ، كما قارنت بين مسلك القرآن الكريم ومسلك كل من المتكلمين والفلاسفة .

وأما الفصل الرابع : فكان في بيان مسلك القرآن في اثبات النبوة .

وأما الفصل الخامس : فقد عقدته لبيان مسلك القرآن في اثبات البعث . وبينت فيه أن القرآن الكريم قد سلك في اثبات البعث عدة مسالك ، كما أنه يقرر اعادة الأجسام مرة ثانية .

وأما الفصل السادس : فقد عقدته لبيان آراء العلماء في البعث ، واستقصيت الأقوال في ذلك وناقشت منها مايستحق منها النقاش ، ومايتعارض مع ماورد في القرآن الكريم .

وأما الخاتمة : فقد ذكرت فيها النتائج التي توصلت اليها من هذا البحث .

هذا وقد رجعت الى أهم المراجع في هذا الموضوع ، وهو كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) للتأمل في طرقه التي سلكها في هدايته البشرية الى سبل الخير وطرق الرشاد ، وكتب التفسير المعتمدة ، وكتب الحديث وشروحه ، كالأمهات الست وغيرها .

كما رجعت الى كثير من مؤلفات علم الكلام ، ثم كتب شيخ الاسلام ابن تيمية ، وكتب ابن القيم ، وبعض كتب الفلاسفة ، كي أتمكن من عرض فكرة عن المسالك الأخرى ، ليأخذ القارئ لمسلك القرآن فكرة عن تلك المسالك ، فبضدها تتبين الأشياء ، ولقد قابلتني بعض الصعوبات أثناء قراءتي لكتب الفلاسفة في فهم اصطلاحاتهم التي يبنون عليها أحكامهم ، وقد كان الفضل في حل تلك المسائل العويصة ، لفضيلة المشرف على هذه الرسالة ، فجزاه الله عنا خير الجزاء .

هذه رسالتي أتقدم بها الى قسم الدراسات العليا بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، بجامعة الملك عبد العزيز ، والى أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة الموقرين ، والله يعلم أنني قد بذلت فيها غاية جهدي ، ولم أقصر في واجبي رغبة مني في الوصول الى الحقيقة ، فان كنت قد وفقت الى الوصول اليها فهو فضل من الله تعالى علي ، وان كان غير ذلك ، فالله يعلم أنني لم أقصر ، وأنني لم أدخر وسعا في ذلك ، والله من وراء القصد واليه أنيب .

" الفصل الأول "
في المنهج وأنواعـــــــه

يشمل ما يأتـــي :

(أ) معنى كلمة منهـــج

(ب) بيان الصواب في نقطـة شـارح انها من ابتكار الأوربيين .

(ج) ذكر أنواع المناهج الرئيســـية .

(د) وأخيرا هل اشتمل كتاب الله على شـيء من هذه المناهج .

أ) المنهج " معنى الكلمـــة " :

تعنى كلمة المنهج في الاصطلاح العلمي " الطريق المؤدي الى الكشف عـــن الحقيقة في العلـوم بواسطة طائفة من القواعد العامة ، تهيمن على ســـير العقل ، وتحديد عملياته ، حتى يصل الى النتيجـــة المطلوبة .

ولفظ " منهـج " ترجمة للكلمة ( ) الفرنسية ، ونظائرها مـــن اللغات الأوروبية ، وهي في الأصل تعود الى كلمة يونانية ، استعملها أفلاطون بمعنى البحث ، أو النظر ، أو المعرفة ، كما استعملها ارسطو بمعنى البحث أيضـــا . (١) .

أما معنى المنهج في اللغة العربية : فجميع تصاريف هذه الكلمة ـ منهـــج ـ تدل على أنه الطريق الواضـح ، البين الموصـل الى الغاية المقصودة .

ففي القاموس " (المنهج) " الطريق الواضح ، كالمنهج ، والمنهاج .
(وأنهج) وضح ، وأوضح .
(ونهـج) كمنع ، وضح وأوضح والطريق سلكه ، واستنهج الطريق صـــار نهجا . وفلان سبيل فلان ، سلك مســـلكه . (٢) .

---

(١) عبد الرحمن بدوي ، مناهج البحث العلمي ص ٣ ـ ٥ طبعة " دار النهضة العربية " القاهرة ١٩٦٨م .

(٢) الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، باب الجيم / فصل النون ج ١ .

وفى لسان العرب : (نهج) طريق نهج " بين واضح ، وهو المنهج .
قال أبو كبير : فأجزته بأفلّ تحسب أثره نهجا أبان بذى فريغ مخرف
والجمع : نهجات ، ونهج ، ونهج .
قال أبو ذؤيب :

به رجمات بينهن مخارم نهج ، كلبات الهجائن فيح .

والمنهاج ، كالمنهج ، وفى التنزيل (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) . (١) .
وأنهج الطريق ، وضح واستبان ، وصار نهجا واضحا بينا .
قال يزيد بن الحذاف العبدى :

ولقد أضاء لك الطريق وأنهجت سبل المكارم والهدى تعدى .

أى تمين وتقوى .
والمنهاج " الطريق الواضح ، وفى حديث العباس " (لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تركنا على طريق ناهجة) أى واضحة بينة ، ونهج الأمر وأنهج لغتان اذا وضح . (٢) .

فكل هذه التصاريف لكلمة (منهج) تدور على معنى وضوح الأمر واستبانة الطريق المؤدية الى الغرض المطلوب .

ب) وهناك تطور لمعنى كلمة (منهج) وجدل أثير حول واضعى المنهج التجريبى ، وهو من التحريف لأصول الحضارة الأوروبية ، كما يتضح من خلال البحث . يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه (مناهج البحث العلمى) .
أن كلمة منهج ، لم تأخذ معناها الاصطلاحى المتقدم الكلام عليه ، — أى — بمعنى طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول الى الحقيقة فى العلم . الا ابتداء من عصر النهضة الأوروبية ، اذ فى هذه الفترة بدأ علماء المنطق يعنون بمسألة المنهج كجزء من أجزاء المنطق . ويذكر أن المحاولة فى هذا العصر نفسه انقسمت الى قسمين .

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨
(٢) ابن منظور ، لسان العرب (نهج) .

محاولة غامضة : وهي التي قام بها أمثال ، مولينا ، ونيونث ، وزيرله ، سنة (١٥٧٨م) .

ومحاولة واضحة : وهي التي قام بها راموس (سنة ١٥١٥ — ١٥٧٢) فقد قسم المنطق الى أربعة أقسام ، التصور ، والحكم ، والبرهان ، والمنهج .

والمنهج قد طالب بدراسته في آثار أصحاب البلاغة والعلم والرياضة . على أن راموس لم ينته الى تحديد منهج دقيق للعلوم .. ولم يهتم بالملاحظة والتجربة الى درجة كافية ، ولكنه على كل حال صاحب الفضل في لفت النظر الى أهمية المنهج ، مما وجد له صدى واسعا في بيئة ذلك العصر ، ثم في العصر التالي مباشرة عند مناطقة بورويال ، وديكارت .

قال : وهنا أعني في القرن السابع عشر ، تمت الخطوة الحاسمة في سبيل تكوين المنهج ، فنيكون في كتابه (الأورغانون الجديد) سنة (١٦٢٠) صاغ قواعد المنهج التجريبي بكل وضوح . وديكارت حاول أن يكشف المنهج المؤدي الى حسن السير بالعقل ، والبحث عن الحقيقة في العلوم ، كما يدل على ذلك نص عنوان كتابه (مقال في المنهج) . سنة ١٦٣٧م ثم أتى أصحاب (منطق بورويال) فصنوا بتحديد المنهج بكل وضوح وجعلوه القسم الرابع من منطقهم هذا .

وقد حد أصحاب هذا المنطق المنهج بأنه (فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة ، إما من أجل الكشف عن الحقيقة ، حين نكون بها جاهلين ، وأما من أجل البرهنة عليها للآخرين ، حين نكون بها عارفين) .

ومن الملاحظ على هذا التعريف للمنهج ، أنه لا يكاد يتحدث الا عن الأفكار ، لا عن الوقائع والقوانين ، وما هذا الا لأنهم عنوا بالمنهج الرياضي الاستدلالي ، دون المنهج التجريبي أو التاريخي .

ثم يخلص الى القول ، بأنه من الممكن ، باضافة منطق بيكو الى منطق بورويال ، أن نقول : ان المنهج الاستدلالي ، والمنهج التجريبي قد تكونا في القرن السابع عشر بصورة واضحة ، وهذا تكونت فكرة المنهج بالمعنى الاصطلاحي المستعمل اليوم ابتداء من ذلك التاريخ . (١) .

---

(١) عبد الرحمن بدوي ، مناهج البحث العلمي ص ٣ — ٥ .

هذا مايراه الدكتور عبد الرحمن بدوى ، صاحب المؤلفات الكثيرة المتنوعة ، (من مبتكرات ، ودراسات أوروبية ، ويونانية ، وخلاصة الفكر الأوروبى ، ودراسات اسلامية) . (١) .

غير أن ذلك لايمنع من مناقشة هذا الرأى الذى ارتضاه وذهب اليه ، اذ الغرض من ذلك هو الوصول الى الحقيقة ، فى هذه النقطة التى نرى أن فيها جورا على المنهج الذى سلكه مفكرو المسلمين فى الاستدلالين ، التجريبى ، والاستدلالى ، وغمطا لصاحب الفضل فضله ، بل والأصعب من ذلك والأشق على النفس ، هو نسبة ذلك الفضل الى الغير ، بل وربما يكون فى هذا الحكم جور حتى على منهج من سبق المسلمين .

ونحن فى هذه المناقشة لانريد التغنى بمجد الآباء والأجداد ، لعلمنا أن ذلك لايجدى ولأن مما يفرضه علينا ديننا ، العمل لا الاتكال على الاحساب ، سواء أكان ذلك فى أمر الدين أم الدنيا ، وانما الذى نقصده ابانة الحق ، من حيث هو ، ونسبة الفضل الى صاحب الفضل ، وذلك مما يحتمه الدين الحق المتفق مع العقل والمنطق ، فالله عز وجل يأمر بالعدل فى الحكم ، ومن العدل اعطاء كل ذى حق حقه ، ونسبة كل عمل الى صاحبه ، سواء أكان ذلك الحق ماديا أم معنويا ؟ .

ونعود لتحديد النقاط التى ركز عليها الدكتور بدوى ، فى تحديد متى بدأ المنهج ، وبيان النتيجة التى توصل اليها :

النقطة الأولى :

ان كلمة منهج لم تأخذ معناها الاصطلاحى المعروف الآن الا ابتداء من عصر النهضة .

النقطة الثانية :

أن أول محاولة بدأت ، كانت فى هذا العصر ، وقد كانت المحاولة الاولى غامضة ، أما الثانية فقد كانت واضحة ، وهى التى بدأت على يد رامس (سنة ١٥١٥ ـ ١٥٧٢م) .

---

(١) مؤلفات عبد الرحمن بدوى ، مناهج البحث العلمى ص ٥ ـ ٦ .

النقطة الثالثة :

وهي النقطة الحاسمة ، في وضع قواعد المنهج التجريبي ، فقد كانت على يد بيكون (سنة ١٦٢٠ م) .

أما قواعد المنهج الاستدلالي ، فكانت على يد أصحاب منطق بورويال .

وهكذا نراه بعد تتبعه لما قام به العلماء الأوربيون من أبحاث حول المنهج يتوصل الى هذه النتيجة فيقررها ويجزم بها وهي :

أن المنهج التجريبي من ابتكار علماء أوربا ، وأنهم توصلوا اليه بعد تلك المحاولة الطويلة الدائبة ، وكذلك المنهج الاستدلالي . (١)

ونحن نرى أن هذا الحكم غير سليم ، بل وغير متفق مع الحقائق الواقعية ، وذلك لأن الحقائق التاريخية ، والكتب العلمية الموجودة ، تثبت نقيض ما ذهب اليه وتؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن المنهج التجريبي هو من ابتكار علماء المسلمين وأنهم قد توصلوا الى كل جزئياته ، وطبقوه عمليا قبل علماء أوربا بقرون طويلة ، كما عرفوا أيضا قبلهم ، المنهج الاستدلالي ، والمنهج الاستقرائي .

كما أن تلك الحقائق العلمية تدحض أيضا شبه الأوربيين ، وتبين مدى حقدهم على الاسلام ، اذ يريدون انكار ما لعلمائنا من فضل في ابتكار المناهج العلمية ، وأهمها المنهج التجريبي في البحث العلمي ، وهو أمر كان جديدا كل الجدة ، بالنسبة للعلوم اليونانية ، القائمة على الأفكار النظرية البحتة ، وهو الذي دفع أوربا هذه الدفعة الهائلة ، اذ سار عليه علماؤها وبنوا عليه حضاراتهم العلمية المادية ، فأنتجوا الحياة الحديثة .

ولكن علماء الغرب لا يتورعون — الا المنصف منهم ان وجد — من غمط حق الغير ونسبته اليهم حتى يظهروا أنهم أصحاب الفضل في الفتح الجديد في دنيا العلم بما توصلوا اليه من ابتكارات علمية لم يسبقوا اليها .

---

(١) عبد الرحمن بدوي ، مناهج البحث العلمي ص ٤ .

ولعل الدكتور ـ بدوى ـ أخذ ذلك من خلاصة الفكر الأوربى من غير قصد ، وهو يعلم أن أساتذة أوربا فى عصر النهضة ، هم من تلاميذ المسلمين ، الذين أوفدتهم أوربا الى الأندلس ، وشمال أفريقيا ، لتلقى العلم على أيدى المسلمين هناك .

ومن الاجحاف الواضح بحق علماء المسلمين وفكرهم ، أنه لم ينسب اليهم حتى المحاولة الخاطئة ، مع أننا رجعنا الى كتب التاريخ ، والى الكتب العلمية بهذا الشأن ، والمؤلفة فى ذلك العصر المبكر من صدر الاسلام ، وأقوال المنصفين من علماء أوربا ، نستفتيها عن هذه الحقيقة العلمية ، وعن أول من توصل اليها بصورة واضحة أهم علماء الاسلام وفكروه ؟ أم علماء أوربا ؟

فسيأتى الجواب صريحا عن كل ذلك ، بما يؤكد أن علماء المسلمين قد اتجهوا الى المنهج التجريبى ، وأنهم المبتكرون له ، لكن مما ينبغى الاشارة اليه هنا قبل ذلك ، أن نذكر حقيقة تاريخية ، عن الغرب الأوربى والشرق الاسلامى ، فى القرون المسماة بالعصور الوسطى ، أو العصور المظلمة ، اذ بالمقارنة بين الشرق الاسلامى ، والغرب الأوربى فى تلك العصور ، سنجد أن الظلام الدامس كان مخيما على أوربا ، وذلك حينما كانت الكنيسة هي المتحكمة فى رقاب الشعوب ، باسم الدين ، فقد كانت هي التى ترسم دور الثقافة وتحدد نطاقها ، ومواد ها ، وغاية التثقيف الدينى .

كما حصرت الاتصال بالله عن طريقها ، ولاحتضان الكنيسة أفكارا منحرفة أو خاطئة عن ـ الكون ـ وقفت فى بداية النهضة العلمية ، من العلماء الطبيعيين موقفا عدائيا ، حين قاموا يصححون هذه المعلومات (البشرية) الخاطئة أو المنحرفة ، ولم تكتف بالهجوم الفكرى عليهم ، بل استخدمت سلطانها المادى ببشاعة فى انتنكيل بكل المخالفين لتصوراتها الدينية والعلمية على السواء . (١) .

وذلك لأن دين الكنيسة المزيف ، لا دين الله المنزل ، غير قابل للحقائق العلمية ، ولذا فهى حريصة على ابقاء الجهل المخيم عليهم حرصا على نفاذ سلطانها الروحى على نفوس الناس .

---

(١) سيد قطب ، خصائص التصور الاسلامى ص ١٣ ، الطبعة الثانية ١٩٦٥م

فى هذه العصور المظلمة حقا بالنسبة لأوروبا كانت شمس الاسلام مشرقة وضاءة على الشرق الاسلامى ، بل ان تلك العصور الذهبية بالنسبة للعالم الاسلامى هى العصور ففيها نشطت الحركة العلمية ، فأنشئت المجامع العلمية فى بغداد وبدأت حركة الترجمة من ناحية والبحوث العلمية من ناحية اخرى ، واستدعى خلفاء بنى العباس العلماء الى قصورهم ، وبنى المأمون بعد بيت الحكمة وبدأ فيه البحث التجريبى فى مختلف العلوم " (١) وعلماء المسلمين لم ينكروا ما لغيرهم من فضل ، بل يذكرون الحقيقة كما هى وذلك بتوجيه من دينهم ، قال تعالى : " ولا تبخسوا الناس اشياءهم (٢) وفى ذلك يقول الدكتور على سامى النشار : " أن تاريخ العلم عند العرب بدأ بهجرة المكتبة اليونانية الاسكندرانية الى بغداد ، ثم اعقبها هجرة علمية أخرى من بلاد الاعاجم — فارس القديمة — تحمل الى العالم العربى علم — ايران ثم هجرة ثالثة أتت من الهند والسند تحمل الكثير من اراء الهنود فى الطب ، والفلك ، والرياضيات . قال : وقد تكلم البيرونى فى كتابه " تحقيق ما للهند من مقولة " عن علوم الهند ، وكان عالما ممحصا فيما نعلم وذا منهج مقارن ، وقد قام بمقارنة تلك العلوم الهندية التى وصل الى معرفتها معرفة تكاد تكون تامة ، من طب وفلك ، ورياضيات ، بتراث اليونان العلمى ، ثم قارن كل هذا بما عند المسلمين ، وقد توصل البيرونى الى النتائج الخطيرة الآتية : — انه كان لدى الهنود علم جزئى كبير ، على درجة من التقدم لاكن لا يربطه رباط علمى أو منهجى ... أبحاث متناثرة .. فى الطب ، والرياضيات ، والفلكيات ، والطبيعيات ، ولكنها خالية من الاطار المنهجى . وكان ما لدى اليونان على العكس من هذا ، نظرية العلم — نظرية البرهان — فبينما لا نجد لدى اليونان هذا العديد من ابحاث الهنود فى مختلف العلوم الجزئية لانجد لدى الهنود نظرية فى العلم — فى البرهان ذى المقدمات اليقينية ، قمة الفكر اليونانى ، وسمة الحضارة اليونانية كلها . وكان الهنود يقفون منذهلين متعجبين مسحورين حين يعرض لهم البيرونى هذه النظرية الاخيرة ، بل انهم نسبوه الى السحر قال : هذه النتائج الخطيرة التى توصل اليها هذا العالم المنهجى ، الذى كان له اثره الكبير فى تطور العلم الاسلامى ، الا ستقرائى الرائع ، كما كان له فضله العظيم فى تأريخ العلوم عامة ، ولكن البيرونى لم ينتبه الى فضله هو فضل اسلافه من علماء التطبيق المسلمين الى ان منهج المسلمين لم يكن هذا ولا ذاك فلا هم شغلوا بالعلم الجزئى فحسب كما يشغل الهنود . ولا شغلوا بالنظر .

(١) سامى النشار مناهج البحث العلمى عند مفكرى الاسلام ص٣٥ (٢) سورة هود آية ٨٥

وآلته البرهان ـ كما شغل اليونان . وانما توصلوا الى المنهج الا ستقرائى ـ التجريبى كمنهج ، وطبقوه على علوم الهنود ، وعلوم اليونان " (١)

ولقد تنبه الاصوليون الى أن منهجهم الا ستقرائى هو منهج العلم ، فالقرافى وهو بصدد بحثه لمسلك الدوران فى أصول الفقه ، يقول " الدورانات عين التجربة وقد تكثر التجربه فتفيد القطع ، كما ان رضى الدين النيسابورى يؤكد أن جملة كثيرة ، من قواعد علم الطب انما تثبت بالتجربه ، وهى الدوران بعينه وابن تيميه مؤرخ المنهج الاستقرائى الاسلامى يخوض فى التجريبات ويقرر انها طريق العلم وبخاصه فى الطب .

وبذلك انتقل المنهج من " القانون " الى " التطبيق " وما رسه علماء (٢) ـ المسلمين فى تطبيقاتهم المختلفه فى الطبيعه والكيمياء والطب والنبات ،

قال : ولعدم لم امكان تتبع المنهج التجريبى فى تطبيقاته عند علماء المسلمين فسنكتفى بتقديم نماذج من تفكير عالمين منهم والمالمان اللذان سوف نقدمهما هما : جابر ابن حيان المتوفى سنة ١٦٠هـ .

والحسن ابن الهيثم المتوفى سنة ٤١١هـ .

جابر ابن حيان :

والفكره الرئيسيه فى مباحثه الكيماويه هى استحالة المعادن أى ـ تحول ماهية معدن الى ماهية معدن اخر او تحول طبيعة من الطبائع الى غيرها (٣)

ويقول جابر ابن حيان فى منهجه " قد عملته بيدى وبعقلى من قبل وبحثت عنه حتى صح وامتحنته فما كذب (٤) .

(وقد سلك فى منهجه التجريبى طريق المتكلمين واستخدم نفس التعبير فيقرر وهو بصدد البحث فى كيفية الا ستدلال والاستنباط ان تعلق شيء بآخر إنما يكون من قياس الشاهد بالغائب على ثلاثة اوجه هى : ١ـ المجانسه ٢ـ مجرى العادة ٣ـ الا ستدلال بالآثار .

---

(١) على سامى النشار ، مناهج البحث عند مفكرى الاسلام ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥

(٢) على سامى النشار = = = = = ص ٣٥٩ ـ

(٣) على سامى النشار مناهج البحث عند مفكرى الاسلام ص ٣٦٠

(٤) جلال محمد عبد الحميد منهج البحث العلمى عند العرب ص ١٢٥ ط الاولى ١٩٧٢ عن جابر ابن حيان الخواص الكبيره ، المقالة الثانية والثلاثون ص ٣٢٢ من مختارات كراوس .

١ـ المجانسة :

ويسميها الانموذج ، لانها تقوم على الاستدلال بأنموذج جزئي على أنموذج جزئي آخر ، أو بنماذج جزئية للتوصل الى حكم كلي ، وهو يقابل " الوقائع المختارة " في المنهج الاستقرائي المعاصر .

٢ـ مجرى العادة :

عبر عنها التهانوي بقوله (العادة عبارة عما يستقر في النفوس من الأمور المتكررة المعقولة عند الطبائع السليمة) .

وقد أقام أصوليوا الاسلام ـ متكلمون وفقهاء ـ قياسهم على فكرة العادة ، ومؤداها أنهم اذا شاهدوا حادثة تعقبها حادثة اخرى ، حكموا بأنهم اذا شاهدوا هذه الحادثة مرة اخرى فان الأخرى ستعقبها او ستقترن بها ولكن بدون تحقق علاقة ضرورية بين الاثنين ، وبما انها عادة تقوم على المشاهدة والتجربة ، فهي ليست يقينية ،

وقد تابعهم جابر بن حيان (١) فأعلن احتمالية المسلك ، وأكد أن الحاجة ماسة الى معرفة كيفية هذا الاستدلال لأهميته في " الصناعة " أي في علم الكيمياء ، ولذلك يقوم بشرحه وتبيين اضعف درجاته ، وأقواها .

٣ـ الاستدلال بالآثار : وهو الدليل النقلي ، أو شهادة الغير ، أو السماع ، او الرواية (٢)

---

(١) علي سامي النشار ، مناهج البحث عند مفكري الاسلام ص ٣٦١ ـ ٣٧٠

(٢) جابر بن حيان " اختلف المؤرخون في تاريخ ميلاده ووفاته ، بل ذهب بعض المستشرقين شططا الى اعتباره أسطورة ، وأثير جدل حول علاقته بالامام جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٨هـ ، وترى ان المراد بسيدي جعفر في رسائل جابر ، ليس هو جعفر الصادق ، لان الشيعة لم تذكر جابرا على الاطلاق انما المراد هو جعفر يحيى الوزير البرمكي . ويرجع السبب في كل ما أثير حول جابر الى حد انكار وجوده ـ الى علاقته بالبراكمة وهربه من الكوفة حين غضب =

= عليه الرشيد ، ولم يسمح الخلفاء العباسيون حتى انتهاء الدولة العباسية بكتابة تأريخ البراكمة فلما كتب بعد ذلك ، ثار هذا الجدل الشديد حول جابـــر وموءلفاته التى وصمت بالانتحال . ويذكر اسماعيل مظهر فى كتابه " الفكر العربى والتراث اليونانى ص ٢١ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨ ، أن البراكمة كانوا يعلقـون على علم الكيمياء شأنا كبيرا ، وكانوا يشتغلون بذلك العلم ، وقـد ذكر جابر فى كتابه (الخواص الكبير) كثيرا من المحاورات بينه وبينهم . وكان جابر يعتبـر افراد هذه الاسرة اخوة لـــه لكثير قولـــه " أخـــى " ١٠هـ ـ مناهـــج البحث العلمى عند العرب ، جلال محمد عبد الحميـد موسى ص ١١٨ حاشية رقم ١

ثانيـــا : الحسن بن الهيثم : وكان اكبر عالم رياضى وطبيعى فى العصور الوسطـــى وما زال لآرائه ونظرياتـــه فى الرياضـــة والبصريات مكانها حتى الان ، وقـد كان الفضل الاكبر فى إبراز نظريات ابن الهيثم وآرائـــه وبخاصة بحوثـــه وكشوفـــه النظرية ـ للأستاذ مصطفى نظيف أصالة هذا العالم العظيـــم فقد بين الاستاذ نظيف فى نظرياته وآرائه ، بحيث يقرر فى مقدمة كتابه ، أنه ينبغى ان نستبـــدل أسماء روجر بيكون ، ومورليكوس ، ولتارد فنص ، ودلا بورتا وكبلر باسم الحسن بن الهيثم (١)

يقول الدكتور سامى النشار " وقد تتبع الاستاذ مصطفى نظيف بمنهج تاريـــخى سليم ، نظريات اليونان فى علم الضوء ، منذ فيثاغورس حتى نهاية العهـــد الهلينى ، وتبين لها أنها أراء متناثرة ، ولا تقوم على اساس علمى ، فلما ظهـــر العهد الهلينى ، عهد مدرسة الاسكندرية رأينا أبحاثا علمية قائمـــة على اساس منهجى عند اقليدس وبطليموس ، وقد كتب كل منهما كتابـــا فى المناظر (٢) .

ووصل التراث اليونانى كله الى العالم الاسلامى ، وتناولته يد الحسن بـــن الهيثم ، وسرعان ما اخذ علم الضوء وجهة جديدة دفعت به الى الامام ، — وأوصلته الى درجة كبرى من التقدم .

ثم تساءل عن كيفية المنهج الذى استخدمه الحسن بن الهيثم ، وبين انـــه استخدم المنهج الاستقرائى ، وقد بين ذلك بنص ساقه عن الحسن بن الهيثم وهو بصدد بحث كيفية الابصار ، يقول فى النص :

" نبتدئ فى البحث باستقراء الموجودات ، وتصفح احوال المبصرات ، وتمييز خواص الجزئيات ، ←

---

(١) على سامى النشار ، مناهج البحث عند مفكرى الاسلام ص ٣٧٢ عن الاستاذ نظيف ، الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه النظريه ، الجزء الاول المقدمة ص ، ح

(٢) على سامى النشار ، مناهج البحث عند مفكرى الاسلام ٣٧٣ ، عن الاستاذ نظيف الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه النظريه ج ١ ص ٥١ ـ ٧٧

ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الابصار ، وما هو مطرد لايتغير وظاهر لا يشتبه ، من كيفية الاحساس ، ثم نرتقي في البحث والمقاييس على التدرج والترتيب ، مع انتقاد المقدمات ، والتحفظ في النتائج ، ونجعل غرضنا في جميع ما نستقريه ونتصفحه ، استعمال العدل ، لا اتباع الهوى ونتحرى في سائر ما نميزه وننتقده ، طلب الحق لا الميل مع الاراء فلعلنا ننتهي بهذا الطريق الى الحق الذي يثلج الصدر ، ونصل بالتدرج والتلطف الى الغاية التي عندها يقع اليقين ، ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف ، ونحسم بها مواد الشبهات .

قال : ويعلق الاستاذ نظيف ، على هذا ، بان ابن الهيثم جمع في هذا القول بين الاستقراء والقياس ، وقدم فيه الاستقراء على القياس ، وحدد فيه الشرط الاساسي في البحث العلمي الحديث ، وهو أن يكون غرض الباحث طلبه الحقيقة بدون تأثير برأي او عاطفة سابقة .

كما أنه بين ايضا — في براعة نادرة ، وفي ايجاز رائع — أن الحقيقة العلمية غير ثابتة بل يعتريها التبديل والتغيير ، ولذلك يقور بأنه يأمل أن يصل اليها .

ويرى الاستاذ مصطفى نظيف ، أن ابن الهيثم فاق فرنسيس بيكون ، أصالة وقدرة في فهم المنهج .

وكان على هذا العالم الذي استخدم المنهج الاستقرائي ، ان يلجأ الى القيام بالتجارب ، وقد اسمى التجربة بالاعتبار ، وأسمى من يقوم بالتجربة المعتبر ، واطلق على الاثبات بالتجربة " الاثبات بالاعتبار " مقابلا للاثبات بالقياس البرهاني . (١)

وبعد فتلك هي حقائق التاريخ ، وذلك ما اثبتته كتب العلماء المسلمين في العلوم ، والسير فيها على منهج تجريبي واضح ، ونلاحظ ان علماء المسلمين يتبعون ما توصل اليه من كان قبلهم ، ولا يقصرون بحرج في ذلك ، فهم دائما يأخذون بمبدأ — الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها أخذها

---

(١) علي سامي النشار مناهج البحث عند مفكري الاسلام ص ٣٧٣ — ٣٧٤ عن الاستاذ مصطفى نظيف ، الحسن بن الهيثم — بحوثه وكشوفه النظرية الجزء الأول ص ٢٩ — ٣٧ — ٣٢٤ .

فقد وجدوا ذلك الشتات من المعلومات عند الهنود كما وجدوا تلك النظريات المجردة عن الواقع العملي عند اليونان .

فأخذوا بتوجيه من دينهم الذي يحثهم على السير والنظر والاعتبار ، كل ما وجدوا عند غيرهم ، ثم طلعوا على العالم بتلك النتائج العلمية الواقعية .

ومما يدل على وقوعيتهم في البحوث العلمية ، ما اشار اليه الاستاذ مصطفى نظيف من انه في عهد مدرسة الاسكندرية ، وجدت بحوث علمية ، في علم الضوء ، على أساس منهجي عند أقليدس ، وبطليموس وان كل واحد منهما ألف كتابا في المناظر .

وان كان علم الضوء قد اخذ وجهة جديدة على يد الحسن بن الهيثم ، فتلك سنة العلوم جميعا .

هذا ولما كان اهل الدار أعلم بما فيها ، كان من المستحسن ، أن نورد شهادة بعض أهلها كما قال تعالى : " وشهد شاهد من أهلها " وذلك لعلمهم بما في داخلها من أمور قد تخفى على من كان خارجا عنها .

وفي ذلك سنورد ما أثبته الاستاذ سيد قطب في كتابه " الاسلام ومشكلات الحضارة " تحت عنوان — تخبط واضطراب — المتعلق بدخول المنهج التجريبي الى أوربا عن طريق العلماء المسلمين ، بشهادة علمائهم ، فقد نقل ذلك عنهم مشيرا الى اسم الكتاب ، واسم المؤلف ورقم الصفحة ، واليك ما نقله عنهم :

يقول : ... كانت مناهج البحث العلمي قد نشأت في ظل الاسلام — في جامعات الاندلس والشرق ، كما يقول دو هرنج ، وبريفولت ، وكانت أوربا ، في القرن الخامس عشر تنهل من هذه الجامعات ، وتعرف لأول مرة في تاريخها شيئا عن هذه المناهج وشيئا عن المذهب التجريبي ، " الذي عرف به فيما بعد " روجر بيكون " و " فرنسيس بيكون " .

والاول : يعترف اعترافا صريحا بأنه اقتبس من " العالم " الاسلامي وفي هذا يقول " دوهنسرتج "

" ان اراء روجر بيكون ، في العلوم اصدق ، وأوضح من آراء سميه المشهور " فرنسيس بيكون " .. ومن اين استقى روجر بيكون ، ما حصله في العلوم ؟ من الجامعات الاسلامية في الاندلس ، والقسم الخامس من كتابه الذي خصصه للبحث في البصريات هو "OPUS MAJUS" في حقيقة الامر نسخة من كتاب " المناظر " لابن الهيثم ، وكتاب بيكون في جملته شاهد ناطق على تأثره بابن حزم .

ويقول بريفولت ، في كتابه " بناء الانسانية "

" ان روجر بيكون ، درس اللغة العربية ، والعلم العربي ، والعلوم العربية في مدرسة اكسفورد ، على خلفاء معلميه العرب في الاندلس ، وليس لروجر بيكون ، ولا لسميه الذي جاء بعده الحق في ان ينسب اليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي ، فلم يكن روجر بيكون الا رسولا من رسل العلم والمنهج الإسلامي الى أوربا المسيحية .

وهو لم يمل قط من التصريح ، بأن تعلم معاصريه اللغة العربية ، وعلوم العرب ، هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقيقية .

والمناقشات التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي ، هي طرف من التحريف الهائل ، لأصول الحضارة الأوربية ، وقد كان منهج العرب التجريبي في عصر بيكون قد انتشر انتشارا واسعا ، وانكب الناس في لهف على تحصيله في ربوع أوربا " ١ هـ ص ٢٠٢ (١)

---

(١) سيد قطب ، الاسلام ومشكلات الحضارة ص ٣٢ ، ٣٣ ، ط " بدون " تاريخ

" لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم • ولكن ثماره كانت بطيئة النضج ...

ان العبقرية التى ولدتها ثقافة العرب فى اسبانيا لم تنهض فى عنفوانها الا بعد مضى وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام • ولم يكن العلم وحده هو الذى اعاد الى أوربا الحياة ، بل أن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الاسلامية بمتناقضاتها أشعتها الى الحياة الاوربية • (ص ٢٠٢)

" انه على الرغم من انه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الأوربى الا ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسلامية بصورة قاطعة ، فان هذه المؤثرات توجد اوضح ماتكون واهم ما تكون فى نشأة تلك الطاقة التى تكون ما للعالم الحديث فى قوة متمايزة ثابتة وفى المصدر القوى لازدهاره • أى فى العلوم الطبيعية ، وفى روح البحث العلمى ص ١٩٠)

" ان ما يدين به علمنا للعرب ، ليس فيما قدموه لنا من كشوف مدهشة ، ونظريات مبتكرة ، بل يدين لها بوجوده نفسه) فالعالم القديم — كما رأينا — لم يكن للعلم فيه وجود ، وعلم النجوم عند اليونان ورياضياتهم كانت علوما أجنبية ، استجلبوها من خارج بلادهم ، واخذوها عن سواهم ، ولم تتأقلم فى يوم من الايام ، فتمتزج امتزاجا كليا بالثقافة اليونانية ، وقد نظم اليونان المذاهب ، وعموا الاحكام ، ووضعوا النظريات ولكن اساليب البحث فى دأب وأناة وجمع المعلومات الايجابية وتركيزها ، والمناهج التفصيلية للعلم ، والملاحظة الدقيقة المستمرة ، والبحث التجريبى ، كل ذلك كان غريبا تماما عن المزاج اليونانى •

ولم يقارب البحث العلمى نشأته فى العالم القديم الا فى الاسكندرية فى العهد الهلليى • أما ندعوه " العلم " فقد ظهر فى أوربا لاول من البحث جديدة ، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة ، بطرق التجربة والمقاييس وتطور الرياضيات الى صورة لم يعرفها اليونان • وهذه الروح وتلك المناهج اوصلها العرب الى العالم الاوربى •(١٠٩) (١)

(١) سيد قطب ، الاسلام ومشكلات الحضارة ص ٣٣ ، ٣٤

وهذه شهادة المنصفين من علماء أوربا ، نضمها الى الحقائق السابقة التي أثبتتها علماء المسلمين في قضية المنهج التجريبي ، والمنهج الاستدلالي ، بل اننا لنرى ان شهادة هؤلاء الاوربيين أعم وأوسع ، فهي تذكر الحقيقة الواقعية عن كل نواحي الازدهار الاوربي بارجاع اصولها الى المؤثرات الثقافية الاسلامية بصورة قاطعة ، واوضح ماتكون تلك المؤثرات في العلوم الطبيعية ، وفي روح البحث العلمي .

بل يؤكد " بريفولت " أن مايدين به علم أوربا - للعرب - المسلمين ليس فيما قدموه من كشوفات مدهشة لنظريات مبتكرة ، بل بوجود العلم نفسه واذا رجعنا الى كلام الدكتور عبد الرحمن بدوي ، نجده يقول " ان الفضل في لفت النظر الى اهمية المنهج كان - لراموس سنة ١٥١٥ - ١٥٧٢م -
وان المنهج التجريبي ، من ابتكارات علماء أوربا ، ويؤكد أن الخطوة الحاسمة في صياغة ذلك المنهج التجريبي كانت على يد - بيكون سنة ١٦٢٠م .

بينما نجد - بريفولت - الغربي - يقول : ليس لروجر بيكون ، ولا لشبيه الذي جاء بعده ويعنى به - فرنسيس بيكون - الحق في ان ينسب اليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي ، ثم يعلل ذلك فيقول : فلم يكن روجر بيكون الا رسولا من رسل العلم والمنهج الاسلاميين الى اوربا المسيحية . (٢٠٢) (١)

وأحسب أن ما ذكرناه من مصادر علماء المسلمين ، ومن الشهادات الصريحة من علماء الغرب الذين ينسب اليهم ظهور المنهج التجريبي ، بأن ذلك ليس من انتاجهم بل مرده الى علوم المسلمين ، فيه الكفاية في توضيح هذه الحقيقة .

---

(١) سيد قطب (الاسلام ومشكلات الحضارة) ص٣٣

جـ ـ انواع المناهج : ولما كان المنهج هو السبيل المؤدى الى الكشف عن الحقيقة في العلوم ، فقد اصبح لفظه عاما ، يدخل تحته كل طريقة تؤدى الى غرض معلوم يراد تحصيله .

وبهذا الاعتبار ، فثمة مناهج متعددة حسب تعدد العلوم ، فللتعلم منهج ، وللتربية منهج وللدراسات على اختلافها مناهج ، غير أن مناهج البحث العلمى الرئيسية حسب طبيعة العلوم ، تنحصر فى ثلاثة مناهج :

المنهج الاستدلالى .

والمنهج الاستقرائى .

والمنهج الاسترداد ى .

والعلم الباحث فى هذه المناهج الثلاثة خصوصا يسمى علم المناهج ، وحيث أن طبيعة المنهج تتوقف الى حد كبير على معرفة طبيعة الموضوع الذى ينصب عليه التفكير فى كل علم من انواع العلوم ، كان من البديهى أن يكون لكل نوع منهجا خاصا ، يختلف عن منهج النوع الآخر (١)

ونظرا لاختلاف المناهج حسب اختلاف مواضيعها فسنذكر فكرة موجزة عن كل منهج من المناهج الثلاثة السابقة تشمل تعريفه ، وموضوعه ، ومساره للوصول الى نتيجة ما ، بادئين فى ذلك بالمنهج الاستدلالى .

---

(١) الدكتور محمود قاسم (المنطق الحديث ومناهج البحث) ص ٢٨٦ الطبعة الخامسة سنة ١٩٦٧م دار المعارف بمصر .

المنهج الاستدلالي" معنى الاستدلال" الاستدلال هو البرهان الذى يبدأ من قضايا يسلم بها ، الى قضايا اخرى تنتج عنها بالضرورة ،دون التجاء الى التجريب.

وهناك فرق بين الاستدلال والبرهنة.

فالاستدلال" عملية منطقية فيها ننتقل من قضايا منظور اليها فى ذاتها ، بصرف النظر عن صدقها اوكذبها ،الى قضايا اخرى ناتجة عنها بالضرورة ،ووفقا لقواعد منطقية خالصة.

اما البرهنة" فأخص من الاستدلال إذ هى استدلال يراعى فيه التسليم بصدق المقدمات،وبالتالى يرمى الى اثبات صحة النتيجة.

فالاستدلال اذن لا يحدثنا عن صدق النتائج ،وانما عن صدورها ضرورة عن مقدمات معلومة ،اما البرهنة فتخبرنا بصدق مانصل اليه من نتائج ،لانها تقوم على التسليم بصدق المقدمات. (٢)

موضوعه" العلوم العقلية ،مثل علم الكلام ،وبحوث مايعد الطبيعة والعلوم الرياضية.

انواعه" والاستدلال نوعان" مباشر،وغير مباشر.

( ) فالاستدلال المباشر" هو الاستدلال بصدق قضية على صدق قضية اخرى اوكذبها ،او الاستدلال بكذب قضية على صدق قضية اخرى اوكذبها ،

---

(١) عبد الرحمن بدوى (مناهج البحث العلمى) ص٨٢-٨٣ .

كقولنا " كل برتقالة فاكهة ، فان صدق هذه القضية يستلزم صدق قولنا " بعض البرتقال فاكهة ، فان صدق الكلية الموجبة يلزمه صدق الجزئية الموجبة المتحدة معها فى الموضوع والمحمول ، كما تستلزم كذب القضية " بعض البرتقال ليس فاكهة ، لانها نقيض الاولى ، والنقيضان لا يجتمعان .

وسمى هذا النوع بالاستدلال المباشر لانه لا يحتاج فيه الى اكثر من مقدمة واحدة (١) .

ب) واما الاستدلال غير المباشر " فهو الذى يعتمد على اكثر من مقدمة واحدة ، وأقسامه ثلاثة " قياس ، واستقراء ، وتمثيل ، وسنعرض هنا الاستدلال القياسى فقط .

تعريفه " هو قول مؤلف من قضايا متى سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر وذلك مثل " التفاح فاكهة ، وكل فاكهة لذيذة الطعم .: التفاح لذيذ الطعم . (٢)

وللقياس تقسيمات ، نذكر منها تقسيماته باعتبار مادة المقدمات التى يتركب منها وهى ثلاثة اقسام :

القسم الاول " قياس يقينى المقدمات " وهو ماكانت مواده يقينية ، كالحسيات ، والبديهيات ، والمتواترات ، والمجربات ، وهو (القياس البرهانى) .

القسم الثانى " قياس ظنى المقدمات ، واقسامه اربعة وهى "

١ــ القياس الجدلى " وهو ماكانت مواده مسلمة من المنازع حيث انها مشهورة وليست يقينية .

٢ــ القياس الخطابى " وهو ماكانت مواده مؤلفة من المظنونات أو المقبولات .

٣ــ القياس الشعرى " وهو ماكانت مواده مشعورا بها غير معتقدة ، كالمقدمات

---

(١) الدكتور عوض الله جاد حجازى (المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم ص ١١٥ الطبعة الرابعة .

(٢) الدكتور عوض الله جاد حجازى " (المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم) ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

المفرحة ، والمحزنة ، والمضحكة .

٣ـ القياس السوفسطائي" وهو ماكانت مواده موهمة بشبه الحق وذلـــك لان القياس ان افاد تصديقا جازما معتبرا حقيقته وهو حق فى الواقـع ونفس الامر فذلك هو القياس البرهانى .

وان افاد تصديقا جازما لم يعتبر حقيقـته ، بل اعتبر فيه الاعتراف والتسليم فذلـك القياس الجدلى . وان افاد تصديقا جازما غير مطابق للواقع ، فذلك هو القيـاس السفسطائى .

وان افاد تصديقا غير جازم ، فان افاد الظن فهو القياس الخطابى ، وان افـــاد تخييلا وتأثيرا فى النفس فهو القياس الشعرى . (١)

المنهج الاستقرائى التجريبى"

تعريفه" هو تتبع الجزئيات كلها ، او بعضها للوصول الى حكم عام يشملها جميعا . (٢) فهو يسير من الخاص الى العام معتمدا على الملاحظة او التجربة . بخلاف المنهج الاستدلالى الذى يعتمد على قوانين الفكر العقلية مثل"

قانون الذاتية" الذى يقوم على التوحيد بين الفكرة وماهيتها المكونة لها ، وهو المعبر عنه بما هو هو .

وقانون عدم التناقض" وهو ان الشىء لا يمكن ان يكون والا يكون فى وقت واحد .

وقانون الامتناع او الوسط المرفوع" وهو ان الشىء اما ان يكون ، اولا يكـون

---

(١) الدكتور عوض الله جاد حجازى" (المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم) ص١٢ .

(٢) الدكتور عوض الله جاد حجازى (المرشد السليم) ص١٧٧ .

فليس هناك واسطة بينهما وهو مايعبر عنه باستحالة رفع النقيضين .

وقانون التعليل" وهو كون الاشياء يؤثر بعضها فى بعض،وهو معنى قولهم" ان لكل شيء علة (١) .

موضوعه" العلوم الطبيعية ،وهى تلك الظواهر المادية التى تقع تحت الملاحظة ، بطريقة مباشرة ،او غير مباشرة ،والتى يستطيع الباحث اجراء التجارب عليها .

كعلم الفلك" الذى يدرس الاجرام السماوية ويحدد كتلها وابعادها ، ويكشف عن القوانين التى تخضع لها .

وعلم الطبيعة" الذى يدرس المادة وجزئياتها .

وعلم الكيمياء" الذى يبحث فى العناصر ويكشف عن طرق تفاعلها .

وعلم الميكانيكا" الذى يدرس حركة الاجسام وزمن هذه الحركة .

وعلوم اخرى تبحث فى المادة العضوية كعلوم الحيوان والنبات،ووظائف الاعضاء" (٢)

والغرض من تلك الدراسة الاستقرائية ، هو التوصل عن طريقها الى القوانين الكلية العامة ،غير ان تلك النتيجة لا يمكن الحصول عليها ، الا اذا تصفح الباحث جميع جزئيات الشيء الذى هو موضوع البحث .

مثال ذلك" اذا استقرأنا جميع طلاب كلية الشريعة ، بجامعة الملك عبد العزيز ، ووجدناهم جميعا يحملون الشهادة الثانوية فانه يمكننا ان نعمم الحكم

---

(١) الدكتور عوض الله جاد حجازى (المرشد السليم) ص١٨٢ ،حاشية رقم (٢)

(٢) الدكتور محمود قاسم" (المنطق الحديث ومناهج البحث) ص٣٣٣ .

فى قضية واحدة ونقول" .

كل طالب فى كلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز يحمل الشهادة الثانوية ويسمى هذا الاستقرا" تاما ويفيد اليقين ، وذلك لاننا تصفحنا فيه جميع افـــراد الكلى الذى قد انصب عليه الحكم ، ومع ذلك فهو لا يفيد فى مجال العلـــــوم الطبيعية شيئا لوقوفه عند ذلك الحد (١) ، اما اذا تصفح الباحث بعض جزئيـات الشى" الذى هو موضوع البحث ، ولم يتصفح جميعه ، سمى الاستقرا" ناقصا ، وافاد الظن ، مع العلم انه هو الاستقرا" العلمى بالمعنى الصحيح ، وذلك لنفعه فى العلوم وتقدمها ، ودفعه للعلما" الى البحث والتطور ، ولذلك يسمى بالاستقـرا" العلمى . (٢)

خطواتـــه" ويعتمد المنهج التجريبى على مراحل ثلاث هى"

١ــ مرحلة الملاحظة والتجربة مع بيان الفوارق الدقيقة فى ظاهرة من الظواهر .

٢ــ مرحلة الفروض العلمية ، وهو الانتقال الى بيان الروابط والاضافات الموجـودة بين طائفة من الظواهر المتشابهة .

٣ــ مرحلة البرهنة او الاستدلال على الفروض ، وهى خطوة تنظيم هذه القوانـين الجزئية لكى تدخل فى نطاق اعم ، بأن تصبح مبادى" عامة كلية يستخـرج منها قوانين بواسطة الاستدلال فتصير نظريات (٣)

---

(١) الدكتور عوض الله حجازى (المرشد السليم) ص١٩١ ، والمنطق الحديث ، للدكتور محمود قاسم ص٦٣ .

(٢) الدكتور محمود قاسم (المنطق الحديث ومناهج البحث) ص٦٤
والدكتور عوض الله جاد حجازى (المرشد السليم) ص١٩٣

(٣) الدكتور عوض الله جاد حجازى (المرشد السليم) ص١٩٨ ، ٢١٢ ، ٢١٩ ،
والدكتور" عبد الرحمن بدوى (مناهج البحث العلمى) ص١٢٨ ، ١٢٩ .

المنهج الاسترداد ى"

تعريفه" هو الذ ى نقوم فيه باسترداد الماضى تبعا لما تركه من آثار اياكان نوعها ، وتلك الاستعادة لاتكون الا فى الذهن ،وبطريقة عقلية صرفة ،اذ ليس فى وسع احد اعادة الماضى فعلا ،لان من خصائص الزمان الاتجاه قدما دون تراجع. (١)

موضوعه" العلوم الانسانية ،كالتاريخ ،والادب،واللغة . .

نشأته" لقد سلك القدما" منهجا غير سليم فى دراسة التاريخ ، وذلك لخلطهم بين الوقائع التاريخية وفن القص،كما انهم كانوا يجمعون الروايات والوثائق كيفما اتفق ،وبعد ذلك يصهرونها ويصبونها فى قالب ادبى جذاب. وهذه الطريقة ليست طريقة علمية ،لخلوها من التثبت فى نقل الرواية ،ثم لخلطها المواد بعضها بالبعض الآخر.

وكان اول من سلك المنهج العلمى فى نقد الرواية ،ووضع قواعد البحث فى التاريخ ،علما" المسلمين ،فقد عنوا عناية كبيرة بنقد الرواة ، وتمحيص طرقهم فى النقل ،ولاسيما فى دراسة احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ،كما ان ابن خلدون قد حدد قواعد البحث فى التاريخ حتى نهض به الى مستوى العلوم الجديرة بهذا الاسم. (٢)

مراحله" اهم المراحل اللازمة لسير المنهج الاسترداد ى مايأتى"

١ــ بيان العلية فى الحادثة واسبابها .

٢ــ استعادة الواقعة التى حدثت بنوع من التركيب.

٣ــ التثبت من الوقائع الماضية بالطرق المختلفة .

٤ــ الحكم بعد ذلك بصحة الحادثة او كذبها .

---

(١) الدكتور عبد الرحمن بدوى (مناهج البحث العلمى) ص١٩ ، ١٨٣

(٢) الدكتور محمد قاسم (المنطق الحديث ومناهج البحث) ص٧٥

وبعد فتلك هي المناهج الرئيسية لطرق البحث العلمي .

فهل اشتمل كتاب الله على شيء منها في هدايته البشرية الى ما يدعوها اليه ؟

ان القرآن الكريم ليس كتاب فلسفة ، ولا كتاب علوم طبيعية ، وانما هو كتاب هداية ربانية ، انزله الله على خاتم انبيائه واكرم رسله المبعوث الى الناس كافة ، كما قال تعالى (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون) (١) .. كما ارسله الله رحمة للعالمين ، (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (٢) .

وكون رسالته صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين جميعا مما حل بهم من ظلم الحكام ، وجور الاديان المحرفة ، اذ لم يبق قبيل بعثته على دين الانبياء المنزل من السماء الا النزر اليسير ، كما اوضحت ذلك قصة اسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه (اكبر الرواد الدينيين في القرن السادس الميلادي ، الذي شرق وغرب في ارتياد العلم الصحيح ، وطلبه الدين الحق ، ولم يزل يتنقل من الشام الى الموصل ، الى نصيبين ، الى عمورية ، ويوصى به بعضهم الى بعض حتى اتى على آخرهم ، فلم يجد لهم خامسا ، وادركه الاسلام في هذا الظلام ، وقد قال له صاحب عمورية ، عندما طلب منه ان يوصي به الى شخص آخر يؤمه " انه لا يعلم احدا من الناس اصبح على ماكان عليه هو واصحابه يأمره ان يأتيه . ولكن اخبره بأنه قد اظل زمان نبي مبعوث بدين ابراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مهاجرا الى ارض بين حرتين ، بينهما نخل به ، علامات لا تخفى فان استطاع ان يلحق بتلك البلاد فليفعل)(٣) فكونه آخر الانبياء ، يتضمن انه آخر اتصال للسماء بالارض ، وذلك يقتضي تزويده بمنهج عام صالح لكل افراد البشرية على اختلاف مستوياتها ، في زمنه صلى الله

---

(١) سورة سبأ آية ٢٨

(٢) سورة الانبياء آية ١٠٧

(٣) ابو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٦٥ الطبعة السابعة ١٩٦٧م ١٣٨٧هـ روى الحديث الامام احمد في المسند جـ٥ ص٤٤١ والحاكم في المستدرك جـ٣ ص٥٩٩ ، ٦٠٢ وقال فيه " هذا حديث صحيح عال في ذكر اسلام سلمان ولم يخرجاه . . .

عليه وسلم ، والى ان يرث الله الارض ومن عليها ، وقد كان ذلك ، فانزل الله تعالى عليه كتابه المهيمن على الكتب المنزلة قبله جميعها ، وهو القرآن الكريم ، وامره ان يدعو الناس به قال تعالى " (قل انما انذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) (١) وقال " (وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير) (٢)

وما ذاك الا لوفائه بكل مايحتاج اليه الناس جميعا على اختلاف مستوياتهم الفكرية فطرية كانت او مكتسبة . (يوضح ذلك قصة عتبة بن ربيعة حينما ضاقت قريش بدعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وبعثته اليه ليكلمه ، فلما جاءه وعرض عليه امورا منها " .

ان كان يريد بدعوته تلك — التى فرقت جماعتهم فى زعمهم ، مالا جمعوا له من اموالهم حتى يصير اغناهم ، وان كان يريد جاها ملكوه عليهم . . . الخ .

وبعد ان انتهى عتبة من عرضه لما اراد ، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم " افرغت يا ابا الوليد ؟ قال " نعم . قال " فاستمع منى ، قال " افعل .

قال " بسم الله الرحمن الرحيم (حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . . حتى بلغ قوله تعالى (فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)

فقال عتبة " حسبك حسبك ماعندك غير هذا ؟ قال " لا .

وفى رواية محمد بن اسحاق قال النبى صلى الله عليه وسلم " قد سمعت يا ابا الوليد

---

(١) سورة الانبياء آية ٤٥

(٢) سورة الشورى آية ٧

ماسمعت فأنت وذاك (١) .

تلك دعوته صلى الله عليه وسلم لواحد من افصح قريش واعلمها بالسحر والشعر والكهانة ، لم يستعمل معه اى طريقة غير عرض القرآن عليه .

والقرآن الكريم فى هدايته البشرية الى الايمان بالله وحده ، قد سلك طرقا متعددة فهو يعرض آيات الله فى الكون وفى الانفس مستثيرا للمواطف والوجدان ، مخاطبا العقل الانسانى ، حاثا له على التفكر والتدبر فى آيات الله المبثوثة فى كل شئ .

لكن هل معنى ذلك ان القرآن الكريم قد اشتمل على مناهج الفكر العقلية وطرق البحث العلمى ؟ .

سبق ان ذكرنا ان مناهج البحث الرئيسية ثلاثة هى :

١ــ المنهج الاستدلالى .

٢ــ والمنهج الاستقرائى التجريبى .

٣ــ والمنهج الاسترادى .

وقلنا ان القرآن الكريم كتاب هداية وليس كتاب فلسفة ولا كتاب علوم طبيعية ، وان كان لا يعارض البحث العلمى بل يحث عليه .

وعلى ذلك فإننا أول مانستبعده من منهج القرآن/الدعوة الى الايمان بالله ، المنهج التجريبى ، بمعنى ان القرآن الكريم لم يسلك بالناس فى اثبات عقائدهم واعلاها واساسها الايمان بالله ، طريق التجربة العملية . اما المنهج الاسترادى ، فربما كان هناك مايشير اليه فى القرآن الكريم ، وذلك هو الجانب التاريخى فى قصص الانبياء ومواقفهم مع اقوامهم وبيان ماجرى من العذاب والتنكيل بمن كذبهم ، ونجاة

---

(١) ابن كثير (التفسير) جـ ٤ ص ٩٠ ، ٩١ .

من آمن بهم واتبعهم اذ فى استرداد القصة وعرضها بذلك الأسلوب الحى النابض بالحياة المتمثل فى صراع المكذبين مايستثير شعور المخاطبين ويدعوهم الى الايمان بالله والاقلاع عن عنادهم والتمادى فى غيهم .

وقد جعل بعض العلماء هذا النوع القصصى من باب قياس العلة (١) وفى رأيى انه صالح للنوعين معا .

أما المنهج الاستدلالى وهو المنهج القائم على الاعتماد على مقدمات عقلية ، توصل الى نتيجة مسلمة أو برهانية ، فيمكن أن يقال ، ان القرآن قد اشار الى هذا المنهج . بل سلكه أحيانا - ذلك أن القرآن وهو يأمر النبى صلى الله عليه وسلم باتباع ملة ابراهيم عليه السلام ، وكان من خصائصها الاقناع بالحجة ، وأنها لا تأخذ الناس قسرا على اعتقاد ماتريد - كذلك كانت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم قائمة على الاقناع بالحجة ، وهو أسلوب القرآن الكريم فى الدعوة .

فلم تقم دعوة الاسلام على الإكراه ولا على عنصر المفاجأة بخوارق العادات فى المحسوسات حتى تبهر عقولهم فيعتقدونها دون أن تتهيأ لهم فرصة التأمل والنظر والايمان عن اختيار .

قال تعالى : " أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " . (٢)

وقال تعالى : " لااكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي .." (٣) .

وقال عن عدم مشيئته تعالى اخضاع المخاطبين وادخالهم فى الدين قهرا " إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين .." (٤) .

الى غير ذلك من الآيات الدالة على ان الدخول فى دين الاسلام ، والايمان بالله وحده مرتكز على الحجة والاقناع لا على القسر والاكراه ، ولذا نجد فى كثير من الآيات بعد عرض الحجج العقلية فى الكون والانفس ، أنه

---

(١) اعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ ص ١٣٠ - ١٣٤ الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م مطبعة السعادة بمصر .

(٢) سورة يونس آية ٩٩

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٦

(٣) سورة الشعراء آية ٤

يعقبها بقوله تعالى :ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، لقوم يتفكرون " من اجل ذلك فقد تضمن القرآن الكريم الحجج العقلية المعتمدة على الامور الطبيعية المحسوسة القريبة من ادراك كل مخاطب من افراد البشر لا فرق بين المتعلم وغيره ، كقوله تعالى " فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب " (١)

وقوله تعالى " أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الارض كيف سطحت " (٢)

فهذه امور طبيعية محسوسة وفي وسع كل مخاطب ادراك ما اشتملت عليه من آيات دالة على مبدعها ومدبر امرها ، وان يدرك منها ما تقوم به عليه الحجة في معرفة خالقها ، وتلك المعرفة متضمنة وملزمة للاتجاه اليه ، لانه اذا كان هو الخالق وحده فيجب ان يكون هو المعبود وحده ايضا .

أما لمنهج الاستدلالي القياسي : " وهو الطريق المفيد للعلم بوساطة مقدمات بديهية أو نظرية ، يمكن انتهائها الى البديهيات ، مثل ان يقال " الوجود المعلوم ، إما ممكن وإما واجب ، والممكن لا يوجد بنفسه ، والممكن موجود بالمشاهدة ، فلا بد له من موجد هذا الموجد هو الواجب ، فيثبت بهذا وجود الواجب ، لاحتياج الممكن اليه في الوجود .

أو يقال : العالم محدث وكل محدث لا بد له من محدث .

أو يقال : لا ريب ان ثم وجودا ، هذا الوجود اما مخلوق واما غير مخلوق ، والمخلوق لابد له من خالق ، لانه لايخلق نفسه فثبت بهذا وجود ما ليس بمخلوق" (٣)

والمتأمل في كتاب الله العزيز ، يجد ان هذا الاستدلال القياسي قد سلكه القرآن الكريم ، في آيات كثيرة في دعوة الناس الى الايمان بالله وحده ، والتصديق بوجوده ، سلكه بطرق مختلفة في العرض والبيان .

---

(١) سورة الطارق الآيات من ٥ - ٧ (٢) سورة الغاشية الايات من ١٧ - ٢٠
(٣) شيخ الاسلام بن تيمية ، الفتاوى ٢ / ٧٥ الطبعة الاولى سنة ١٣٨١هـ

كما نجد آيات كثيرة ، أرشد الله فيها عباده ، لا ستعمال عقولهم في النظر فيما هو مشاهد محدث يعتريه التغيير والتبدل المستمر ليستدلوا بتلك الموجودات التي كانت في حكم العدم ، ثم وجدت يستدلون بذلك على من اوجدها " لان من ضرورة العقل أن المحدث لا بد له من محدث ، وأنه يمتنع تسلسل المحدثات بأن يكون للمحدث محدث وللمحدث محدث الى غير نهاية ، وهذا الدليل هو الذي يسمى بتسلسل المؤثرات والعلل وهو ممتنع باتفاق العقلاء (١)

ومن امثلة ذلك قوله تعالى " ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخرين بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون (٢)

" فهذه الحوادث المشهودة يمتنع أن تكون واجبة الوجود بذاتها ، فان ما وجب وجوده بنفسه امتنع عدمه ووجب قدمه ، وهذه كانت معدومة ثم وجدت ، فدل وجودها بعد عدمها على انه يمكن وجودها ويمكن عدمها وذلك متحقق فيها (٣) وحينئذ يقال هذه الاشياء ، السماء ، والارض ، والليل ، والنهار ، والمطر ، والنبات ، مخلوقة محدثة يمتنع وجودها بذاتها . وكل مخلوق محدث لا بد له من خالق قديم واجب بنفسه ضرورة امتناع تسلسل المحدثات الى مالا نهاية ، وهو الله تعالى .

اما الخواطر الواردة على ذلك فهي وسوسة شيطانية ، امر الرسول صلى الله عليه وسلم العبد اذا خطر له ذلك ان يستعيذ بالله منه وينتهي عنه .
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا وكذا حتى يقول له من خلق ربك ؟ فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته (٤)

ومن هذا الباب قوله تعالى " ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا ..

فالله تعالى يقرر انه لو كان قرآنا يسير الجبال ، او يقطع به الارض ، أو يكلم به الموتى لكان هذا القرآن ، ولكن القرآن ليست وظيفته هذه ، بل وظيفته البيان والارشاد والهداية ، أما تسيير الجبال

---

(١) الفتاوى لابن تيمية ج ٥/ ٣٥٠ ، ٣٥٨ (٢) سورة البقرة آية ١٦٧
(٣) الفتاوى لابن تيميه ج ٥/ ٣٥٨ (٤) مسلم صحيح مسلم ـ كتاب الايمان ـ باب بيان الوسوسة في الايمان وما يقوله من وجدها ١/ ١٢٠ حديث رقم ٢١٤ ، محمد فؤاد عبد الباقي .

وتقطيع الارض وغير ذلك ، فيكون من الله تعالى ، ولذلك قال القرآن " بل لله الامر جميعا " وقوله تعالى " لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون " (١)

ففى هذه الآية برهان على إبطال تعدد الالهة ، وترتيب الكلام كالتالى : " لو كان هناك آلهة متعددة لحصل الفساد فى السماء والارض ولما انتفى التالى وهو الفساد حسب المشاهد الواقع ، انتفى المقدم وهو تعدد الآلهة .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فيهم عن ذكرهم معرضون (٢)

تلك أمثلة من الايات الواردة فى هذا الباب ، استعملت لتقى الدعوة الى الايمان بوجود الله تعالى ، وبوحدانيته ، خاطبت العقل ، ودعت الانسان الى استعماله ، ليرى حدوث هذه الموجودات ، وتغيرها المستمر ، كما فى آية البقرة ، وقد ركز الله فى فطرته أن لكل حادث محدثا ، وآية الانبياء ، دعته للنظر فى هذا الكون " سمائه وأرضه ، وما فيهما ، ليعمل فكره ، وينظر نظر تبصر وتعقل ، هل يرى فيه من خلل او فساد ناتج عن تعدد ارادات مختلفة ، اذ انه بالضرورة ينتج عن تعدد الارادات الفساد والاضطراب ، أو أن هذا الكون كله سائر بانتظام واحكام مما يدل على ارادة واحدة اختارت له هذا النظام البديع ، وهذا الاحكام المتقن .

ومثلها آية المؤمنون التى تبين استقامة أمر السموات والارض لان الحق سبحانه لم يتبع اهواء المشركين ، والا ادى ذلك الى فسادها .

---

(١) سورة الرعد آية ٣١

(٢) سورة الانبياء آية ٢٢

(٣) سورة المؤمنون آية ٧١

" الفصـــل الثانـــي "

(بيان حقيقة الايمان ، وذكر أركانه اجمالا)

المبحث الأول

المقصـود بالايمـــان : اذا نظرنا فى كتاب الله عز وجل ، فاننا نجد القرآن الكريم قد خص العقيدة ، وهو ما يطلب من الانسان اعتقاده ، والتصديق بـــه تصديقا جازما لا شك فيه ولا تردد باسم " الايمان " ، كما خص الشريعـــة وهى الامور الظاهرة ، المطلوب من المكلف الالتزام بها وأداءها " بالعمل الصالح " ، وذلك حينما يرد الايمان مقرونا بالعمل الصالح ، أو بالاسلام .

كقوله تعالى : " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيـــاة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ماكانوا يعملون " .

وقوله تعالى : " ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا " (٢)

وقوله تعالى : " والعصر ، ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا وعملـــوا الصالحات " (٣)

وقوله تعالى : " ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات .. " (٤)

وقوله صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس المتفق عليه ، أن رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم كان يقول " اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلـــت واليك أنبت ، وبك خاصمت ، اللهم انى اعوذ بعزتك لا اله الا انت ، أن تضلنى أنت الحى الذى لا يموت ، والجن والانس يموتون " (٥)

ومنه الحديث الذى عند الامام أحمد عن أنس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " الاسلام علانية والايمان فى القلب " (٦) فدل على المغايرة بيـــن الاسلام والايمان ، ويؤيده حديث جبريل ، فى معنى الاسلام والايمان ، اذ فرق بينهـــما .

---

(١) سورة النحل آية ٩٧ (٢) سورة الكهف آية ١٠٧ (٣) سورة العصر آية ١ ـ ٢

(٤) سورة الاحزاب آية ٣٥ (٥) مسلم (صحيح مسلم) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ج٤ / ص٢٠٨٦ رقم الحديث ٢٧١٧ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى الطبعة الاولى .

(٦) قال الشيخ الالبانى فى تخريج احاديث الطحاوية ص٣٢٨ ، اسناده ضعيف ، فيه على بن معبد ، قال العقيلى فى " الضعفاء " قال البخارى " فيه نظر " وقال عبد الحق الازدى فى " الاحكام الكبرى " ق٢/٢) حديث غير محفوظ .

أما اذا افرد اسم الايمان بالذكر ، فقد يتناول اسم الاسلام أيضا ، وذلك كما في حديث أبي هريره رضي الله عنه ، الذى رواه مسلم قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " (الايمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة أعلاها قوله لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان (١)

أما الايمان عند علماء اللغة فيستعمل في معنيين :

أحدهما " التأمين أي إعطاء الأمان ، من آمنه المتعدى ومنه قوله تعالى " (الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) (٢)

وثانيهما : التصديق القلبى ، أى اعتقاد الصدق ، ومحله القلب .

قال الزجاج في حد الايمان " الايمان اظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم ، واعتقاده ، وتصديقه ، وفى التنزيل قوله تعالى " وما أنت بمؤمن لنا - أى مصدق ، والايمان التصديق " (٣) .

وهو قول أبى الحسن الاشعرى كما في اللمع وهذا الايمان اللغوى ولكنه في الابانة يقول (الايمان قول وعمل يزيد وينقص) (٤)

ويقرر الباقلانى في كتابه "التمهيد" أن الايمان في الشرع هو الايمان اللغوى ، دون سائر الطاعات من النوافل والمفروضات (٥) .

أما حقيقته الاصطلاحية :

فقد اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الايمان قال في شرح الطحاوية "فجمهور العلماء ومنهم الائمة الثلاثة ، مالك ، والشافعى ، وأحمد رحمهم الله

---

(١) مسلم (صحيح مسلم) باب بيان عدد شعب الايمان ج ١/ص ٦٣ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى .
(٢) سورة قريش آية ٤ (٣) ابن منظور (لسان العرب) أمن ، والقاموس فصل الهمزة باب النون (٤) أبو الحسن الاشعرى كتاب اللمع ص ١٢٣ تعليق الدكتور حمود غرابه طبعة مصر سنة ١٩٥٥ م والابانة ص ١٠ المطبعة المنيرية الازهرية .
(٥) الباقلانى (التمهيد) ص ٣٤٧ تحقيق الاب رتشرد اليسوعى ، المكتبة الشرقية بيروت .

يرون أن "الايمان" تصديق بالجنان ، واقرار باللسان ، وعمل بالاركان . قال "ويروى عن أبي حنيفة رحمه الله واصحابه بانه اقرار بالقلب واللسان دون الجوارح"(١)

وقال في شرح المواقف بعد ان ذكر الايمان اللغوي وأنه التصديق مطلقا ، قال (أما في الشرع فهو عندنا — يعني اتباع ابي الحسن الاشعري — وعليه أكثر الائمة ، كالقاضي ، والاستاذ) التصديق للرسول فيما علم مجيئه ضرورة تفصيلا فيما علم تفصيلا ، واجمالا فيما علم اجمالا ، فهو في الشرع تصديق خاص .

قال " وقال السلف ، وأصحاب الاثر — أي المحدثون كلهم — أنه مجموع الثلاثة فهو عندهم " تصديق بالجنان ، واقرار باللسان وعمل بالاركان ، ويروى عن أبي حنيفه أنه التصديق مع الشهادتين ، ثم ذكر الاقوال الاخرى في الايمان كقول الجهمية أنه المعرفه ، والكرامية " أنه كلمتا الشهادة (٢) .

وقال أبو حنيفه في الفقه الاكبر (الايمان هو الاقرار والتصديق) (٣) .

ويقول ابن تيميه في العقيدة الواسطيه (أن من أصول أهل السنة — أن الدين والايمان قول وعمل ، "قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح ، وأن الايمان يزيد وينقص) (٤) .

ويرى أن أصل "الايمان" الاقرار والتصديق ، وفرعه اكمال العمل بالقلب والبدن . (٥)

والفرق بين التصديق وعمل القلب — أن عمل القلب هو نيته واخلاصه والتوكل

---

(١) شرح الطحاوية ص ٣١٢ ، ٣١٣ الطبعة الثالثة ، منشورات المكتب الاسلامي بدمشق .

(٢) الايجي (شرح المواقف) ٨/٣٢٢ ، ٣٢٣ الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥ — ١٩٠٧ م مطبعة السعادة .

(٣) الامام أبو حنيفة (الفقه الاكبر ص ٧٥ .

(٤) من التنبيهات السنة على العقيدة الواسطية ص ٢٧٩ مطبعة الامام شارع على عبد اللطيف بالمالية بمصر .

(٥) ابن تيمية (كتاب الايمان) ص ٦٣٧ ، الطبعة الاولى سنة ١٣٨٢ هـ .

والانابة والخوف منه تعالى والرجاء والصبر ونحـــو ذلك .

وهناك أقوال أخرى فى موضوع الايمان ، ليس من مقصود بحثنا هذا تحقيقهـا ، وانما قصدنا من الايمان فى هذا البحث ، ما يجب الايمان به من عقائد ، وبالاخص الايمان بالغيب لقوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) ، اذ الايمان كلمـــة جامعة للايمان بالله ، وملائكتـه وكتبه ، ورسله ، واليوم الاخر والقـدر خـــيره وشره (١) وهى أصول الدين التى أجاب بها النبى صلى اللـه عليـه وسلم جبريـــل فى الحديث المتفق على صحتـه حينما جاء ، فى صورة رجل أعرابى ، يسأله عـــن الاسلام ، والايمـان والاحسان ، ففرق صلى الله عليه وسلم بين مسمياتها ، فخـص الايمان بالاعمـال القلبيـة ، حيث قال (.... والايمان ، أن تؤمن باللـــه وملائكته وكتبـه ورسله ، واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) (٢) .

---

(١) ابن كثير (التفسير) ج ١ / ص ٤١ طبع بدار احياء الكتب العربية التاريخ بـدون ، وتفسير أبى السعود ج ١ / ص ٥٤ مطبعة السعادة الناشر مكتبة الرياض الحديثة .

(٢) مسلم (صحيح مسلم) كتاب الايمان ج ١ / ص ٣٩ الطبعة الاولى ١٣٧٤ — ١٩٥٥ حديث رقم ٩ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى .

المبحث الثانى " مجمل أركان الايمان "

لقد أشار تعالى الى هذه الاركان الاعتقادية التى يجب على المكلفين الايمان بها ، واعتقاد ما دلت عليه اعتقادا يقينيا بقوله تعالى ، (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين . (١)

وقوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله (٢) .

فقد شملت الآيتان خمسة من أصول الايمان ، التى يلزم المكلف الايمان بها وهى " الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الاخر ، كما أشارت آيات اخرى الى الاصل السادس وهو الايمان بالقدر خيره وشره ، كقوله تعالى (٣) (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) وقوله تعالى (وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله . وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) (٤) .

وهذه هى الاصول الستة المذكورة فى حديث جبريل السابق .

الاول " الايمان بالله تعالى "

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى حق ثابت متصف بالكمال المطلق ، منزه عن الآفات والنقائص ، فهو جل شأنه الواجب الوجود بنفسه ، الذى لا شك فى وجوده يدل على ذلك ما نصب من الادلة الواضحة ، والبراهين الساطعة ، من مصنوعاته الموجودة ، وآياته المشهودة ، فى الآفاق وفى الأنفس ، ولذلك قال تعالى على لسان رسله (أفى الله شك) (٥) ثم يعقب ذلك بذكر الدليل على نفى هذا الشك فيقول (فاطر السماوات والارض) أى مبدعهما وخالقهما من

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٧
(٢) سورة البقرة آية ٢٨٥
(٣) سورة التوبة آية ٥٢
(٤) سورة النساء آية ٧٨
(٥) سورة ابراهيم آية ١٠

العدم ، وهو الامر الذى لم يدع بشر أنه أوجدها ، بل صرح المشركون الذين أرسل فيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، والذين عبدوا غير الله تعالى خالق السماوات والارض ومدبر أمرهما هو (الله) قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) (١)

وسيأتى تفصيل الكلام عن الايمان بالله فى فصل (مسلك القرآن فى اثبات وجود الله تعالى) ان شاء الله .

الثانى "الايمان بالملائكة"

هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى خلق عالما أسماه الملائكة وهم أرواح قائمة فى أجسام نورانية ، قادرة على التمثل بأنواع مختلفة الشكل ، باذنه تعالى مناسبة للحالة التى يأتون فيها ، ففى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم (٢) .

ومن تمثلات الملائكة ، ما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أن جبريل عليه السلام كان يأتيه فى صورة رجل اعرابى حسن المنظر ، وكثيرا ما كان يتمثل بصورة دحية بن خليفه حيث كان جميل الصورة .

ومنه حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ويعرفه منا أحد ، حتى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال " يا محمد أخبرنى عن الاسلام ؟ فقال " الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .. الحديث وفيه ، قال " ثم انطلق فلبث مليا ثم قال " (يا عمر أتدرى من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال فانه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم) (٣) .

---

(١) سورة العنكبوت آية رقم ٦١

(٢) مسلم (صحيح مسلم) كتاب الزهد ، باب أحاديث متنوعة ج ٤/ص ٢٢٩٤ رقم الحديث ٢٢٩٦ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى .

(٣) مسلم (صحيح مسلم) كتاب الايمان ج ١/ص ٣٧ رقم الحديث (١)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت " لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح ، واغتسل ، أتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار ، فقال " قد وضعت السلاح والله ما وضعته أخرج اليهم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم " فأين ؟ فأشار الى بنى قريظه ، فخرج النبى صلى الله عليه وسلم " متفق عليه .

وفى التنزيل يقول تعالى (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) (١) .

ومن ذلك تمثل الملك بصورة الابرص ، والاقرع ، والاعمى ، لاختيار أولئك النفر الثلاثة من بنى اسرائيل واكرام الله لهم بحسن الحال والصحة .

فليست الملائكة ضربا من الاوهام ، وانما عالم حقيقى الوجود ، يجب الاعتقاد بوجودهم ، والايمان بصفاتهم ، للنصوص القرآنية ، والاحاديث النبوية الدالة دلالة قاطعة على حقيقة وجودهم ، وأنهم ذوات متصفة بصفات حميدة ، وأعمال رشيدة ، وليسوا عقولا مجردة عن المادة ، كما ادعى ذلك بعض المفكرين ، وانما هم ذوات وأجسام ، مطيعة لامر ربها ، لا تقع عنها المعصية ، قال تعالى (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) (٢) .

وقد كلف الله تعالى عباده الايمان بهم ، والتصديق بوجودهم ، فان ذلك من جملة العقائد الايمانية المذكورة فى القرآن الكريم ، من مثل قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله (٣) . فقرن الله تعالى الايمان بهم بالايمان به جل ذكره ، وذلك بعد ان عرف بهم فى كثير من الايات القرآنية وبأوصافهم ، واعمالهم ووظائفهم المرتبطة بالاكوان عامة ، وبالانسان خاصة ، فلم يكن وجوب الايمان بالملائكة من باب الايمان بعالم لا صلة للانسان به .

كما جعل أنكارهم كفرا وضلالا كالكفر به ، قال تعالى (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا (٤) .

---

(١) سورة مريم آية ١٧
(٢) سورة التحريم آية ٦
(٣) سورة البقرة آية ٢٨٥
(٤) سورة النساء آية ١٣٦

أما الذين ذهبوا الى انكار ما وراء المحسوسات ، واستبعدوا اثبات شيء لم تره العين ، أو تسمعه الاذن أو تمسه اليد ، فان رأيهم مردود عند العقلاء ومرفوض لدى الحقائق العلمية ، ذلك ان اثبات وجود الموجود لا يتوقف على الوجدان ولا على رؤية العيان ، فهناك أمور قطعية الوجود دون أن تكون مشهودة للعيان وانما ثبت وجودها بآثارها الدالة عليها ، كالروح المدبرة للاشباح ، فلم يدرك أحد كنهها وذاتها ، ومع ذلك فلا يشك أحد في وجودها .

والعقول المدبره للاجسام بانتظام واحكام ، يعرف ذلك من تصرفات العاقل وتخبطات المجنون . وكذلك الهواء الذي يملأ الفراغ والفضاء ، ويتوقف عليه حياة المخلوقات من الاحياء جميعا ، اذ لو توقف بضع دقائق لما عاش انسان أو حيوان .

كل هذه كائنات موجودة لا شك في وجودها ، مع انها لم تر بالأعين ولا دليل على وجودها إلا آثارها .

ومن العجيب فقد آمن الماديون بقانون الجاذبية ومع ذلك لم ترها أعينهم ولم تلمسها أيديهم ، ولم تسمعها آذانهم ، بل كل ما هنالك أنهم شاهدوا آثارها فآمنوا بوجودها ، فكيف يمكن القول بعد ذلك أن الايمان لا يكون الا بمشاهد أو ملموس ، أو مسموع ، وكل هذه الشروط غير منطبقة على الجاذبية ، ولا على الروح والعقل ؟؟ .

وما دام قد آمنوا بوجود هذه الاشياء ، لتحقق آثارها ، وادراك هذه الاثار ، فقد أشار القرآن الكريم الى وجود الملائكة ، واثبت لهم أفعالا وآثارا فقال عنهم في يوم الاحزاب (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله ، عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا (١) وقال تعالى عنهم في يوم حنين (... وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين (٢) .

---

(١) سورة الاحزاب آية : ٩
(٢) سورة التوبة آية ٢٦

فبين أنه أنزل جنودا لم تر العين ذواتهم ، وانما رأت أفعالهم ، وتنكيلهم بالكافرين ، جزاء لهم على كفرهم وبغيهم على حزب الله وجنده ، وفي غزوة بدر أمد الله المسلمين بألف من الملائكة مردفين ، قال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين (١) .

وقد رأى المؤمنون أفعالهم بالمشركين ، قال ابن عباس " بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول " أقدم حيزوم ، فنظر الى المشرك أمامه مستلقيا ، فنظر اليه فاذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط ، فاخضر ذلك أجمع ، فجاء الانصاري فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال "صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة (٢) وقال ابليس في تلك الغزوة ، وكان يضرر بالمشركين اذ تبدى لهم في صورة سراقه بن مالك ابن جعشم بن مدلج ، يعدهم ويمنيهم قائلا لهم " اني جار لكم ، فلما التقت الفئتان ، ورأى الملائكة نكص على عقبيه (٣) وتركهم . يقول تعالى (واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب (٤)) .

والملائكة جنود الله لا يعلم عددهم الا هو ، وقد أشار القرآن الكريم الى أعمالهم التي وكلوا بها من تدابير الكون بأمره تعالى ، فمنهم من يتلقون أوامره وينفذون احكامها ومقتضياتها ، وفق ما أمرهم الله تعالى (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) .

ومنهم الموكلون بشئون الانسان خاصة ، من حين تكوينه نطفه الى نفخ الروح فيه بل الى انتزاعها منه ، يدل على ذلك حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال " حدثنا الصادق المصدوق : (أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة

---

(١) سورة الانفال اية ٩
(٢) محمد بن عبد الوهاب ، (مختصر السيرة) ص ٢١٠ .
(٣) ابن كثير (التفسير) جـ ٢/ ٣١٧
(٤) سورة الانفال آية ٤٨

ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ... الحديث) (١)

ومنهم الحفظة الذين يحفظون الانسان من أمر الله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) (٢) .

ومنهم المكلفون بمراقبته في حركاته وسكناته ، (اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (٣) .

(وان عليكم لحافظين كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون (٤)) أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) (٥) .

ومن فوائد الايمان بالملائكة ، أن الانسان إذا تيقن أن جميع أعماله الصادرة عنه مكتوبة عليه ، علم ما اذا ينبغي عليه أن يقوم به تجاه مواقف الملائكة معه ، ووظائفهم المتعلقة بنفسه فيرعاها حق رعايتها ، ويحسن الاملاء والالقاء ، لعلمه أن كل ما يصدر عنه مسطر عليه في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، وسوف يبسط ذلك الكتاب وينشر يوم الحساب ، ويقال له في ذلك اليوم (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) (٦)

ونحن في هذه الدنيا اذا علمنا أن حاكم البلد أصدر أمرا يحذر فيه من ارتكاب أمر معين ، وعلمنا أنه قد بث جواسيسه ليترقبوا حركات الناس وأن يسجلوا على كل مخالف لامره ما عمله ، بات كل انسان في حذر تام وتحفظ مستمر من كل فرد من أفراد الناس ، اذ يظنه جاسوسا عليه ، فكيف بك أيها المسلم ، ومعك الرقيب

---

(١) مسلم ، صحيح مسلم كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي ... جـ ٤ ص ٢٠٣٦ رقم الحديث ٢٦٤٣

(٢) سورة الرعد آية ١١

(٣) سورة ق آية ١٧ — ١٨

(٤) سورة الانفطار الايات ١٠ — ١٢

(٥) سورة الزخرف آية ٨٠

(٦) سورة الاسراء آية ١٤

والعتيد ، اللذان لا يفارقانك طرفة عين ، الا في حالات معينة ، يكونان فيهما على مقربة منك بحيث يستطيعان أن يسجلا عليك كل بادرة منك صغيرة كانت أو كبيرة قال تعالى : (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا) (١) .

الثالث " الايمان بالكتب "

وهو الاعتقاد الجازم بان الله تعالى أنزل على رسله كتبا مشتملة على هدى العباد مبينة لهم ما يصلح دينهم ودنياهم ، موضحة ما عليهم من واجبات ، وما لهم من حقوق بها الانظمة الشرعية ، والتوجيهات الخلقية .

فمن أنكر كتب الله المنزله على رسله وكذب بها لم يعرف الله حق معرفته ولم يقدره حق قدره .

قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) (٢) .

وقال عن القرآن الكريم (الر ، كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد) (٣) .

بل ان منكرها كافر بالله ضال عن سبيل الهدى .

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم

---

(١) سورة الكهف آية ٤٩
(٢) سورة الانعام آية ٩١
(٣) سورة ابراهيم آية ١

الاخـر فقد ضل ضلالا بعيـدا (١) .

الرابـع " الايمان بالرسـل "

وهو الاعتقاد الجازم بان الله سبحانه وتعالى بعث في كل أمة رسولا منهم يدلهـم على الخـير ويحذرهم من الشر رحمة بهم ، قال تعالى (انا أرسلناك بالحـق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذير) (٢) .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قـال " كنـا مع رسول الله صلى اللـه عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلا فمنا من يصلح خباءه ومنا مـن ينتضـل (٣) ومنا من هو في جشره (٤) اذ نادى منادي رسول الله صلى اللـه عليه وسلم (الصلاة جامعـة) فاجتمعنا اليه صلى الله عليـه وسلم فقال " انه لـم يكن نبي قبلي الا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شـر ما يعلمه لهم ، وان أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء شـديد وأمور تنكرونها ، فتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضا (٥) فيقول المؤمن هذه مهلكـتي ثم تنكشف ، ثم تجيء الفتنة فيقول هذه هذه ، فمن أحب أن يزحزح عن النـار ويدخل الجنة فلتأته منيتـه وهو مؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الى الناس ما يحـب أن يؤتى اليه) الحديث (٦) .

---

(١) سورة النساء آية ١٣٦
(٢) سورة فاطر آية ٢٤
(٣) (ومنا من ينتضل) " هو من المناضلة وهي المراماة بالنشاب .
(٤) هي الدواب التي ترعى وليست مكانهـا .
(٥) فيرقق بعضها بعضا " هذه اللفظة رويت على أوجه أحدها وهو الذي نقلـه القاضي عن جمهور الرواة ، ويرفق أي يصير بعضها رقيقا أي خفيفا لعظم ما بعده ، فالثاني يجعل الاول رقيقا أ . هـ . تعليق عبد الباقي على صحيح مسلم .
(٦) كتـاب الامارة ، باب وجوب الوفـاء ببيعـة الخلفاء الاول ج ٣/١٤٧٣ رقـم الحديث ١٨٤٤ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي .

الخامس " الايمان باليوم الاخر "

وهو الاعتقاد الجازم بان هناك يوما آخر يجازى فيه الانسان على ما قدمت يداه فى دار الدنيا ، الحسنة بعشر أمثالها ، الى أضعاف كثيرة ، أما السيئة فبمثلها ، قال تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون (١) .

وفى هذا اليوم يكون العرض والحساب ، وقراءة الكتاب ، والثواب والعقاب ففيه حياة غير هذه الحياة ينعم فيها الانسان أو يعذب على حسب أعماله كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، وسيأتى تفصيل ذلك فى مسلك القرآن فى اثبات البعث ان شاء الله .

السادس " الايمان بالقدر "

القضاء والقدر عقيدة من عقائد الاسلام ، المبنيه على أساس الايمان بالله كما جاء فى حديث جبريل السابق ، فقد جعل الايمان بالقدر خيره وشره الركن السادس من أركان الايمان الستة التى هى الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الاخر ، والايمان بالقدر خيره وشره .

وهذه العقيدة مبنية على المعرفة الحقه بالله وباسمائه الحسنى ولذا فان معنى ينبغى الايمان به واعتقاده أن العلم الواسع الشامل المحيط بكل شىء لله وحده كما قال تعالى (انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شىء علما) (٢) وانه القادر على كل شىء الفعال لما يريد ، اذ الايمان بذلك واعتقاده يجعل الانسان يحس بأن كل ما يحدث فى آفاق الحياة من خير وشر وحزن وفرح ، ونصر وهزيمة وخفض ورفع ، واحياء واماته ، يشمله العلم الالهى ، وتتصرف فيه قدره الله المطلقة (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز

---

(١) سورة الانعام آية ١٦٠

(٢) سورة طه آية ٩٨

من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير) (١) .

أى " أنك أنت المعطى وأنت المانع ، وانت الذى ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن (٢) .

وقال تعالى (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين) (٣) .

ففى هذا الكتاب المبين سطر الله تعالى ما هو كائن ومن ذلك ما قضى وما قدر لكل انسان من شقاوة وسعادة ورزق ، وأجل ، وعمل كما جاء فى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : " حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق " ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات ، بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد ..) (٤)

فخلق الانسان وتصويره وما طبع عليه من خصائص ومميزات وما كتب له من سعة فى الرزق أو ضيق فيه ، وحياة وموت ، بل ونبض قلبه وحركاته .

كل هذه الامور وما شاكلها لا ارادة للانسان فيها ولا اختيار بل تجرى على وفق قضاء الله وقدره .

قال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة سبحانه وتعالى عما يشركون) (٥) .

وقال تعالى (ان الله لا يخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم (٦) .

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٦
(٢) ابن كثير (التفسير) ج ١ ص ٣٥٦ (٣) سورة يونس آية ٦٢
(٤) مسلم (صحيح مسلم) كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الادمى فى بطن أمه ج ٤ ص ٢٠٣٦ رقم الحديث ٢٦٤٣ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى .
(٥) سورة القصص آية ٦٧
(٦) سورة آل عمران آية ٦

فالايمان بهذه الامور واجب اذ فرغ منها كما في حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له (يا غلام اني أعلمك كلمات ؛ احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف (١) .

تلك العقيدة السليمة بالقضاء والقدر والقائمة على الادلة الشرعية الصحيحة المتفقة مع العقول السليمة ، هي التي دفعت أولئك المؤمنين حقا الى العمل والجهاد في سبيله تعالى ، وذلك لايمانهم الجازم بان ما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، لحينما عرفوا ذلك ايقنوا أن الاقدام لا ينقص من الاجل شيئا ، وان الاحجام لا يزيد في العمر شيئا لذلك كان مسلكهم رائعا وعملهم نافعا ، فلم يلجأوا الى الكسل والخمول ، لمعرفتهم بما اشتمل عليه كتاب ربهم ، وسنة نبيهم ، من الدعوة الى العمل ، والاجتهاد فيه ، (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وسترد ون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (٢) .

فكان ايمانهم بالقضاء والقدر دافعا الى العمل لامانعا ، والى الاستعداد للاعداء ، باعداد القوة والعتاد الحربي ، تمشيا مع قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) (٣) .

ولقوله صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، أحرص على ما ينفعك واستعن بالله) (٤) .

---

(١) رواه الترمزى وقال حديث حسن صحيح ج ٨/ص ٢١٤ والامام أحمد في المسند ج ١/ص ٢٩٣ ط الاولى ١٣١٣ هـ المطبعة الميمنية بمصر

(٢) التوبة ١٠٥

(٣) الانفال ٦٠

(٤) مسلم (صحيح مسلم كتاب القدر باب الامر بالقوة وترك العجز) ج ٤/ص ٢٠٥٢ رقم ٢٦٦٤ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى .

((الفصل الثالث))

(مسلك القرآن فى الاستدلال على وجود اللـــه)

ويشمل التمهيد وثلاثة مباحث :

اولا : التمهيـــــــــد :

ثانيا : المباحـــــــــث :

١ ـ المبحث الأول : دليل الخلق

١ ـ خلق السماء

٢ ـ خلق الأرض

٣ ـ خلق الانسان ، وظاهرة الحياة ٠

٢ ـ المبحث الثانى : دليل العناية

٣ ـ المبحث الثالث : دليل النظـام

تمهيـــــد :

معرفة الله والاقرار بوجوده غريزة فطرية فى الانسان اذ كل واحد من بنى آدم يقـــر بوجود الخالق ويعترف به ، أما ما يظهر على بعض الملحدين من الكفر بالله والاستهـزاء بمن دعاهم الى عبادته فان ذلك لا يعنى الكفر المطلق المبنى على اليقين الكامـــل وانما هو انحراف فى الطبيعة الانسانية ، وتحويل للغريزة الفطرية المتجهة الى الخالـق الحق ، الى عبادة المخلوقات الأخرى ، ولذا فاننا نجد ذلك الملحد يستعمل سبـــل المغالطات والتفسيرات الخاطئة للأشياء تضليلا وتمويها على السذج من اتباعه ، وقـــد صور لنا القرآن الكريم قصة أكبر مغالط ملحد بلسانه غير جازم بقلبه ، ذلك المغالط هـــو فرعون الذى استخف قومه فأطاعوه ، فحينما جاءه موسى عليه السلام بالبينات والهـــدى ودعاه الى عبادة رب الأرض والسماء ورب العالمين جميعا كما أمره الله تبارك وتعالى : بقوله (فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين (١) ٠

---

(١) سورة الشعراء آيـــة ١٦

استكبر فرعون ، وجحد رب العالمين ، بل ادعى أنه لا يعلم لقومه الها غيره قال الله تعالى على لسانه (قال فرعون وما رب العالمين) (١) وقد أخبر المولى عز وجل عنه أن ذلك الانكار الصادر منه ، مخالطة بلسانه ، وأنه غير مطابق للحقيقة المستقرة فى نفسه ، قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام مخاطبا فرعون (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وانى لأظنك يا فرعون مثبورا) (٢) فالانحراف والميل عن الخط السوى أمر طارئ على البشرية ، وذلك حين فساد الفطرة (٣) . لأن البرهان على وجود الخالق حقيقة محسوسة وأمر واضح غاية الوضوح اذ الانسان يعيش ، ويحيا فى هذا الكون ، فيشاهد فى نفسه ، وفى الاشياء من حوله ، تغيرا مستمرا ، اذ تنعدم أشياء وتوجد أخرى كما يشاهد دقة وتنظيما (٤) فى كل ما يرى ويلمس فيصل من هذا عن طريق الادراك الحسى الى أن لهذه الأشياء موجد أوجدها ، ومنسق لسيرها ، وحركاتها ، أراد ذلك منها ، وهذا امر طبيعى جدا غير بعيد عن فهم أى انسان مهما كان ادراكه ، فاذا شاهد الانسان

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٣

(٢) سورة الاسراء آية ١٠١

(٣) وما قررناه من أن الاقرار بوجود الخالق امر فطرى ، وهو الاصل الذى نشأ عليه الانسان ، وأن الانحراف أمر طارئ على الانسانية ، وذلك حين فساد الفطرة ، هو ما قرره الغزالى فى كتابه (احياء علوم الدين ج ١ / ص ٩٣ و ٩٤ مطبعة شركة دار الكتب العربية الكبرى بمصر) وشيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه (منهاج السنة وحكاه عن الجمهور ج ٢ / ص ٢٠٢ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، مطبعة المدنى القاهرة سنة ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢م) وابن القيم فى كتابه (اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ج ٢ ص ١٥٢ تحقيق محمد سيد كيلانى الطبعة الأخيرة سنة ١٣٨١هـ ١٩٦١م) .

(٤) يقول كلودم : هاشاوى ، مستشار هندسى ، ومصمم العقل الألكترونى للجمعية العلمية لدراسة الملاحة الجوية بمدينة لانجلى فيلد ، اخصائى الآلات الكهربية والطبيعية للقياس تحت عنوان — المبدع الأعظم — قال : أما من حيث الاسباب الفكرية التى تدعونى الى الايمان بالله ، فاننى أحب أن أبدأ بذكر الحقائق التى لا سبيل الى انكارها .. وهى ان التصميم يحتاج الى مصمم .

وقد دعم هذا السبب القوى من اسباب ايمانى بالله ما أقوم به من الأعمال الهندسية فبعد اشتغالى سنوات عديدة فى عمل تصميمات لأجهزة وأدوات كهربية ، ازداد تقديرى لكل تصميم أو ابداع أينما وجدته ، وعلى ذلك فانه مما لا يتفق مع العقل والمنطق أن يكون ذلك التصميم البديع للعالم من حولنا الا من ابداع اله اعظم لا نهاية لتدبيره وابداعه .. حقيقة أن هذه طريقة قديمة من طرق الاستدلال على وجود الله ولكن العلوم الحديثة قد جعلتها أشد بيانا وأقوى حجة منها فى أى وقت مضى =

بيتا منظما ومنسقا ، أو سمع صوتا ، أو احس بضربة سوط ، ولم ير الضارب أو البانى أو صاحب الصوت فانه يوقن أن لهذا البيت بانيا ، وأن هذا الصوت صادر عن شئ سواء أكان رجلا أم حيوانا ، أم آلة ، وأن تلك الضربة حدثت من ضارب ، فكان وجود الشئ الذى نتج عنه بناء البيت ، أو ظهور الصوت ، أو حدوث الضرب أمرا قطعيا عند من شاهد البيت أو سمع الصوت أو أحس بالضرب ، اذ قام البرهان الحسى على وجوده ، فالاعتقاد بوجود سبب أوجد هذه الظواهر أمر مسلم به عند العقلاء .

فكذلك الانسان يشاهد تغير الأشياء الموجودة فتنعدم أشياء وتحدث غيرها كما انه يرى النظام البديع فى العالم ، والدقة المتناهية فى سير بعض المخلوقات وترتيب حركاتها وضبط مواعيدها ، فيدرك أن هذا الابداع وذلك النظام وذاك التغير لا يمكن أن يحدث من نفس تلك الأشياء ، لأنها عاجزة عن ايجاده ، كما أنها عاجزة عن دفعه كل ذلك يدعوه الى الايمان بوجود خالق لهذه الموجودات ، قائم بتدبيرها ، منظم لهـــا .

ومن هنا نرى أن وجود هذا الخالق الذى دل عليه وجود هذه الأشياء من الأمور القطعية ، الذى يدل عليه الدليل الحسى ، يشهد لذلك قول ذلك الاعرابى القائل (البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير ، ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات ابراج ، أفلا تدل على الصانع الخبير (١) فقد أدرك هذا الاعرابى بفطرته السليمة التى فطره الله عليها أن هذه المخلوقات العظيمة التى تسير بانتظام واحكام ، ليل يعقبه نهار ، ونهار يعقبه ليل ، لا يمكن أن تحدث الا بمحدث ، وأن لا تسير بهذا النظام المتقن الا بمقدر مختار ، ولذلك جاءت براهين القرآن الكريم لافتة النظر الى ما يقع عليه حس الانسان للاستدلال بذلك على وجود الخالق كقوله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) (٢) .

وقوله تعالى (فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب

= أ . هـ من كتاب (الله يتجلى فى عصر العلم) ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان ص٨٩ الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨م .

(١) احمد الهاشمى ، جواهر الادب من خطبة قس بن ساعدة ج ٢ ص١٩ الطبعة التاسعة عشر سنة ١٣٧٩ هـ والجاحظ ، البيان والتبين ج ١ ص١٦٣ طبعة سنة ١٩٦٨م .

(٢) سورة الغاشية آية ١٧

والترائب) (١) وقوله تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون (٢) .

وهكذا نرى أن قضية الخلق والايجاد وان كانت قضية جافة على الصعيد الفلسفي ، فهي بدهية على الصعيد الحسي لاتحتاج الى برهان ، لأنها من ضرورات الفطرة ولذا فان القرآن الكريم يطرحها على المخاطبين كقضية مسلمة لا تحتاج الى استدلال ، ولا تحتمل الجدل والمماراة ، أنظر الى قوله تعالى مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم (اقرأ باسم ربك الذي خلق) (٣) والخطاب وان كان موجها اليه فهو لأمته جميعا ، والمخاطبون حين نزول القرآن يعرفون ربهم الذي خلقهم كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) (٤) ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون (٥) .

---

(١) سورة الطارق آية ٥ ، ٦ ، ٧
(٢) سورة الطور آية ٣٥ ، ٣٦
(٣) سورة العلق آية ١
(٤) سورة العنكبوت آية ٦١
(٥) سورة الزخرف آية ٨٧

ادلة القـــرآن

أولا : دليل الخلـــق :

ودليل الخلق والابداع الذى يعرضه القرآن بالأساليب المختلفة والطـــرق المتعددة شامل لجميع مخلوقات الله كلها ، العظيم منها والحقير ، وقد بـــين القرآن الكريم فى تلك المخلوقات مظاهر قدرة الله وعظيم حكمته وواسع رحمته ، كمـــا أوضح فيها أن القادر على الخلق هو الرب ، وهو المعبود ، فقال تعالـــى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (١) بـــل أنه بقضية الخلق تحدى المشركين ، الذين اتخذوا آلهة معبودة من دون اللـــه أن يدعوا هذه الآلهة لتخلق أقل موجود وأحقره فقال تعالى : (ان الذيـــن تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) بل بين أنه لو سلبهـــم الذباب شيئا مما بأيديهم لما استطاعوا انقاذه منه ، ولو اجتمعوا له ، وكفـــى بذلك عجزا ، فقال تعالى (وان الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالـــب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره لقوى عزيز (٢) .

وقد تجلت آيـة الخلق والابداع فى اضخم مجالى الوجود وهما خلق السمـــاوات والأرض ، وفى اعظم الظواهر الناشئة ، عن ذلك الخلق ، كالظلمة ، والنـــور

يقول تعالى ما دحا نفسه الكريمة على خلقه السماوات والأرض قـــرارا لعباده وعلى أن جعل الظلمات والنور منفعة لهم فى ليلهم ونهارهم . (الحمـــد لله الذى خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهـــم يعدلون (٣) أى ومع هذه العناية واللطف بهم كفر به بعض عباده فجعلوا لـــه شريكا وعدلا (٤) .

---

(١) سورة البقرة ٢١
(٢) سورة الحج آيـة ٧٣
(٣) سورة الانعام آيـة ١
(٤) ابن كثير التفسير ٢ / ١٢٣

١ — خلق السمـــــاء :

وقد تحدث القرآن الكريم عن خلق السماء فبين أنها جرم خلقه الله تعالـــى وبناه ورفعه ، وأنها محكمة فى صنعها ليس فيها خلل ولا تصدع مرفوعة بأمر خالقها محفوظة بقدرته ، وأنها آية من آيات الله الكبرى المعروضة على الانظار المصاحبـــة للواقع المشهود للنظر فيها بعين البصيرة لا بالبصر المجرد ، حتى يأخذ المخاطب منها الدليل على وجود خالقها ومتقن صنعها يقول تعالى (أفلم ينظروا الـــى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج) (١) ويقول تعالى (أأنتم أشـــد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها) (٢) ولكونها آية دالة على وجود مبدعهـــا واتقان صانعها ، فقد أثنى على المتفكرين فيها فقال " تعالى " (ان فى خلـــق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون اللـــه قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هذا باطـــلا سبحانك فقنا عذاب النار) (٣) فتأملهم فى خلق السماوات والأرض وما اشتملتا عليـــه من آيات دالة على قدرة موجدها ، أدى ثمرته المطلوبة كما رسمته الآية الكريمـــة اذ رتبت النتائج على مقدمات التفكر دون فاصل بينهما ، فتفكرهم دعاهم الى ذكـــره تعالى فى كل حالة من حالاتهم ، قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ثم علموا أن هـــذه المخلوقات لا يمكن أن توجد عبثا ، (ربنا ما خلقت هذا باطلا) فتقلهم ذلـــك التفكر الواعى فى هذا الكون وفى بديع صنعه الى الايمان بالله وما وراء هذا العالـــم المشاهد وهذه الحياة الحاضرة ولذلك طلبوا من ربهم وخالقهم وقايتهم من عـــذاب النار ، خوفا من الخزى والعار (سبحانك فقنا عذاب النار) يقول سيد قطب فـــى تفسير هذه الآية (هذه هى طريقة المنهج الربانى فى التوجيه للانتقال من مرحلـــة التأثر الوجدانى بالتفكر والتدبر فى خلق الله ، الى مرحلة العمل الايجابـــى وفق هذا التأثر تحقيقا للمنهج الذى أراده الله (٤) .

---

(١) سورة ق آيـــة ٦
(٢) سورة النازعات آية ٢٧ — ٢٨
(٣) سورة آل عمران آية ١٩٠ — ١٩١
(٤) سيد قطب (فى ظلال القرآن ٤/ ١٩٤ .

كما ذم المعرضين عنها ، فقال تعالى : (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون (١) وقال تعالى : (وكأين من آية فى السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون (٢) .

أى لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم ، والارتفاع الكبير ، وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات ، فى ليلها ونهارها ، من هذه الشمس التى تقطع الفلك بكماله فى يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها الا الله الذى سخرها وسيرها (٣) .

كما أوضح القرآن ان الله هو الممسك لهذه السماوات ، والحافظ لها من الزوال مع عظمها وعظم ما فيها بغير عمد تعتمد عليها ، بل بقدرته تعالى العظيمة التى يفعل بها ما يشاء لطفا بعباده ورحمة بهم وليس لغيره من الكائنات قدرة على ذلك يقول تعالى : (ان الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا) (٤) .

ويقول تعالى(الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها) (٥)

ويقول تعالى : (خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم) (٦) .

هذا ما يقوله القرآن الكريم عن حفظ الله تعالى لهذه الاجرام الهائلة بهذا التوازن العجيب ، الذى يدركه الحس ويؤيده العقل والواقع .

---

(١) سورة الانبياء آية ٣٢
(٢) سورة يوسف آية ١٠٥
(٣) ابن كثير (التفسير ٣/١٧٨)
(٤) سورة فاطر آية ٤١
(٥) سورة الرعد آية ٢
(٦) سورة لقمان آية ١٠

أما العلم فيقول : ان هذا الامساك يحصل بقوة الجاذبية التى شاهد العلماء آثارها وعرفوا قوانينها التى لم يصرفوا بعد أسرارها .

يقول الشيخ نديم الجسر والحق ما قالوا فالجاذبية حق وقوانينها المحسوبة المتزنة المتناسبة المحكمة الدقيقة حق ، ولكن هل يكون . . . القانون الدقيق المحكم أثرا من آثار المصادفة العمياء (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون (١) .

هذا وقد تحدث ابن القيم فى كتابه (مفتاح دار السعادة) عن آيات الله الدالة على وجوده وقدرته وحكمته ، فى خلقه السماوات وابداع صنعها ، وما هى عليه من سعة وعظم خلق وحسن بناء ، كما بين أنها أجمع للعجائب الدالة على وجود خالقها من كل المخلوقات الاخرى بل انه لا نسبة لجميع ما فى الأرض الى عجائب السماوات ، فقال — فالأرض والبحار والهواء وكل ما تحت السماوات بالاضافة الى السماوات كقطرة فى بحر ولهذا قل أن تجئ سورة فى القرآن الا وفيها ذكرها .

اما اخبارا عن عظمتها وسعتها (٢) .

واما اقساما بهـا .

واما إرشادا للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها .

واما دعاء الى النظر فيها .

---

(١) نديم الجسر ، قصة الايمان ٣١١ الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م

(٢) يقول تعالى (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) الذاريات آية ٤٧ فقد تحدثت هذه الآية الكريمة عن سعة السماء وما اكتشفه العلم اليوم عن السماء وابعادها لم يكن يخطر على قلب بشر ، وقد اثبت العلم تلك السعة بما يعرف عند العلماء بالسنين الضوئية والتى اتفق العلماء فيها على ان الضوء يقطع فى الثانية ١٨٦ ألف ميل أى أنه يقطع فى الدقيقة ١١ مليون و١٦٠ ألف ميل وفى السنة الواحدة من سنينا يقطع ستة ملايين مليون ميل او ستة آلاف مليار تقريبا وعلى هذا التقدير نفهم معنى قولهم ان نجما ما يبعد عنا كذا سنة ضوئية أ . هـ قصة الايمان ، لنديم الجسر ص ٣٠٤

واما استدلالا منه سبحانه بخلقها على ما اخبر به من المعاد والقيامه ٠

واما استدلالا منه بربوبيته لها على وحدانيته وأنه الله الذى لا اله الا هو :

واما استدلالا منه بحسنها واستوائها والتئام بنائها وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته ٠

وكذلك ما فيها من الكواكب والشمس والقمر والعجائب التى تتقاصر عقول البشر عن قليلها ، فكم من قسم فى القرآن بها كقوله والسماء والطارق ، والسماء ذات البروج والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ، والنجم اذا هوى ، فلا أقسم بالخنس والنجم الثاقب ، فلم يقسم بشئ من مخلوقاته اكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر ، وهو سبحانه يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لتضمنه الآيات والعجائب الدالة عليه ، وكل ما كان أعظم آية وأبلغ فى الدلالة كان اقسامه به أكثر من غيره ولهذا يعظم هذا القسم كقوله (فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم) (١) ٠

يقول سيد قطب فى ظلال القرآن :

(ولم يكن المخاطبون يومذاك يعرفون عن مواقع النجوم الا القليل الذى يدركونه بعيونهم المجردة ، ومن ثم قال لهم (وانه لقسم لو تعلمون عظيم ٠٠ فأما نحن اليوم فندرك من عظمة هذا القسم المتعلقة بالمقسم به ، نصيبا اكبر بكثير مما كانوا يعلمون ، وان كنا نحن أيضا لا نعلم الا القليل من عظمة مواقع النجوم ٠ وهذا القليل الذى وصلنا اليه بمراصدنا الصغيرة المحدودة المناظر ، يقول لنا ان مجموعة واحدة من مجموعات النجوم التى لا تحصى ٠٠٠ هى مجموعة المجرة التى تنتسب اليها اسرتنا الشمسية تبلغ ألف مليون نجم) (٢) ٠

ويقول الفلكيون ان من هذه النجوم والكواكب التى تزيد على عدة بلايين نجم ، ما

---

(١) ابن القيم (مفتاح السعادة ج ١ ص ١٩٦ و ١٩٧ بتصرف الناشر مكتبة الرياض الحديثة
(٢) سيد قطب فى ظلال القرآن ج ٧ ص ١٤٣ ، ١٤٤

يمكن رؤيته بالعين المجردة ، وما لا يرى الا بالمجاهر والأجهزة ، وما يمكن ان تحس به الأجهزة دون أن تراه ، هذه كلها تسبح فى الفلك الغامض ، ولا يوجد اى احتمال أن يقترب مجال مغناطيسى لنجم من مجال نجم آخر او يصطدم بكوكب آخر ، الا كما يحتمل تصادم مركب فى البحر الأبيض المتوسط بآخر فى المحيط الهادى يسيران فى اتجاه واحد وسرعة واحدة ، وهو احتمال بعيد ، وبعيد جدا ، ان لم يكن مستحيلا (١) .

وكل نجم فى موقعه المتباعد عن موقع اخوته فقد وضع هناك بحكمة وتقدير .

٢ — خلق الأرض : ولما كانت طريقة القرآن التى سلكها لبناء العقيدة أن يأخذ الشاهد على وجود الخالق ووحدانيته من مألوفات البشر وحوادثهم المشاهدة المتكررة ليؤكد العقيدة ويثبت قواعدها ، بذلك التصور الكامل للوجود كله ولذلك نجده يلفت نظر الانسان المقصود بتلك الهداية الى آيات الله العظيمة فى خلقه الأرض وما أودع فيها من آيات ، والتى اذا تأمل فيها الناظر بفكره وعقله ، علم أنها من أعظم آيات قادرها كما قال تعالى (وفى الأرض آيات للموقنين) (٢) فقد خلقها الله فراشا ومهادا وذللها لعباده فيسر لهم فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم وجعل لهم فيها السبل ليتمكنوا من التنقل فيها لقضاء حوائجهم وتصرفاتهم ، كما أرساها بالجبال لئلا تميد بهم (٣) فتضطرب حياتهم ، ودحاها فمدها وبسطها ووسع اكنافها فجعلها كفاتا للعالم ، أحياء وأمواتا (٤) .

---

(١) سيد قطب فى ظلال القرآن ج ٧ / ص ١٤٤ نقلا عن كتاب الله والعلم الحديث ص ٣٣

(٢) سورة الذاريات آية ٢٠

(٣) يقول ابن كثير وقوله (وجعلنا فى الأرض رواسى) اى جبالا أرسى الارض بها وقررها وثقلها لئلا تميد بالناس أى تضطرب وتتحرك فلا يحصل لهم قرار عليها لانها غامرة فى الماء الا بمقدار الربع فانه باد للهواء والشمس ليشاهد اهلها السطح وما فيها من الآيات الباهرات والدلالات ولهذا قال : (أن تميد بهم) أى لئلا تميد بهم اهـ . تفسير ابن كثير ج ٣ / ص ١٧٧

(٤) ابن القيم (مفتاح السعادة) ج ١ / ص ١٩٩

وقد أكثر الله تعالى من ذكرها فى كتابه ودعا الناس الى النظر اليها والتفكر فى خلقها وفيما أودعه فيها من آيات وما بث فيها من خبرات ، وذكرهم بما فى هذا الخلق من دلائل القصد والحكمة ، وبين أنه هو الخالق لذلك كله ، وليس لمن اتخذ وهم آلهة من دونه قدرة على ذلك يقول تعالى (خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ، هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ظلال مبين) (١) .

فقد بين سبحانه فى هذه الآية قدرته العظيمة على خلق السماوات والأرض وما فيهما ، كما بين أنه هو الرازق لجميع مخلوقاته ، واذا كان الخلق كله اليه ، ولا رازق لأحد سواه ، فعبادة المشركين لهذه الأصنام التى ليس لها من الأمر شئ ظلم واعتداء على حق خالقهم ، اذ يخلق ويعبد غيره ، ويرزق ويشكر سواه وأى جهل وعمى أوضح من ذلك (٢) .كما حثهم على النظر فيها فقال تعالى :

— (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت) (٣)

— (أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ، ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين) (٤) .

— (الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى) (٥)

---

(١) سورة لقمان ١٠ و ١١
(٢) ابن كثير (التفسير ج ٣/ ٤٤٣)
(٣) سورة الغاشية الآيات من ١٧ — ٢٠
(٤) سورة الشعراء آية ٧ و ٨
(٥) سورة طه آية ٥٣ ، ٥٤

— (أ من جعل الأرض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون (١) .

إن من يتأمل فى هذه الآيات يلمس منها أن طريقة القرآن لتكوين العقيدة وتثبيتها هى مخاطبة الفطرة البشرية بما هو فى متناول كل فرد من المواد الأولية ، اذ من هذه المشاهدات التى يراها الانسان يبنى القرآن العقيدة وسنكتفى بما تضمنته الأرض من آيات دالة على وجود خالقها ومبدع صنعها بنماذج من الآيات التى تدعو الانسان الى النظر فيها وهى مكررة أمامه ، فى كل لحظة من لحظات حياته ، وهو غافل لا يلقى لذلك بالا ، ولو تأمل فيها كما دعاه خالقه لكفاه آية على وجود خالقه ووحدانيته جل شأنه ، فمن تلك النماذج .

أولا : قوله تعالى : ((فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الارض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم)) (٢) .

فطعام الانسان ألصق شئ بحياته اليومية ، هل نظر فيه ؟ وهل نظر فى مراحله التى مر بها حتى أصبح فى متناول يده ؟ وما دوره هو فى انشائه ؟

هذه الآيات تدعو الانسان الى النظر فى طعامه ، هذا الأمر الضرورى المكرر الذى أصبح ليسره وألفه غير منظور الى دلالته على القدرة التى أبدعته ويسرته ، ثم ترسم له خطوات سير طعامه مرحلة بعد اخرى ليرى هل له فيها من يد ؟ ثم تصل به الى القدرة الالهية التى تجعل من الشئ الواحد انواعا مختلفة ، اذ أن التربة الواحدة قد سقيت بماء واحد ومع ذلك انبتت تلك الانواع المختلفة من الحبوب والفواكه والثمار .

---

(١) سورة النمل آية ٦١

(٢) سورة عبس الآيات من ٢٤ — ٣٢

فالخطوة الأولـــــى :

صب الماء على الأرض وكل انسان يعرف نزول المطر من السماء لا فرق بين انسان وآخر فساكن القرية والمدينة كل منهما يعرف ذلك كما يعرفه ساكن الكوخ فى الصحراء فهى حقيقة يخاطب بها كل انسان .

اما الخطوة الثانيـــــة :

فهى شق الأرض بالنبات الطالع منها ، فكما يشاهد الانسان المطر النـــازل من السماء على الأرض ، فكذلك يشاهد الأرض وهى تنشق عن النبات الصاعد منهـــا فتأتى بخيراتها المختلفة الانواع ، والألوان والطعوم ، من الحبوب والكروم والنخيل والفواكه الدالة على القدرة الالهية التى جعلت من هذه التربة الواحدة والمـــاء الواحد تلك الأنواع المتباينة فى الشكل والحجم واللون والطعم والخواص .

يوضح ذلك ويبينه ما فى النموذج التالى من الآيات وهو قوله تعالى :

٢ — (وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفى الأرض قطـع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ، يسقى بماء واحـــد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون (١) .

يخبر سبحانه وتعالى ، عن قدرته فى خلق الأرض وأنه هو الذى مدها وبسطهـــا لعباده فجعلها متسعة ممتدة ، كما بين أن من دلائل وجوده ورحمته بعباده أن جعل فى الأرض رواسى ، جبالا ترسيها ، وتحفظها لئلا تميد بأهلها فلا تستقر حياتهـــم كما جعل فى هذه الأرض أنهارا وجداول وعيونا جارية فى وديانها لتسقى النـــاس والحيوان والزروع وكل ما تنبت الأرض من الثمرات ، ومن آياته أن جعل فيها مـــن كل الثمرات صنفين اثنين ، أى من كل شكل صنفان كما يقول ابن كثير (٢) او (مـــن

---

(١) سورة الرعد آية ٢ و ٣
(٢) ابن كثير التفسير ج ٢/ ص ٥٠٠

كل زوجين اثنين) أى أن النبات يتألف من ذكر وانثى (١) كما ينقل سيد قطب وند يم الجسر ، ثم يخبر تعالى بان من آياته الدالة على قدرته تقلب الليل والنهار يغشى أحد هما الآخر ، إذ يغطى الليل النهار بظلمته ، ليستريح الناس ويهدأوا ثم يخلفه النهار بنوره ليبتغى الناس من فضله " ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون " (٢) وقد ختم الآية بقوله " أن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " فى آلاء الله وحكمه ودلائله لانه لا يدرك تلك الآيات الا من أعمل فكره فيها .

أما الآية التالية فقد شملت أنواعا من الآيات الدالة على الوجود الالهى وهى آيات تحرك الحس والشعور بما تضمنته من دلائل حسيه وعقليه ووجدانيه ، يقول تعالى : " وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب .. الخ " .

فالأمر المحسوس المشهود للناس أن هذه الارض التى يعيشون عليها فيها أماكن متصل بعضها ببعض ، ومع هذا الاتصال فهى مختلفة الطبيعة فمنها السوداء الجيدة التربة ومنها السبخة ، ومنها الرملية ، ومنها الصخرية ، مع أن الاتصالات والتأثيرات الخارجية فى تلك القطع على السوية تدل هذا على أن اختلافها فى صفاتها بتقدير العليم القدير (٣)

---

(١) يقول سيد قطب " قوله ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين " يتضمن هذا المشهد من مشاهد الارض حقيقة لم تعرف للبشرية من طريق علمهم وبحثهم الا قريبا . وهى ان كل الاحياء وأولها النبات تتألف من ذكر وأنثى حتى النباتات التى كان مظنونا ان ليس لها من جنسها ذكور ، تبين انها تحمل فى ذاتها الزوج الاخر ، فتضم اعضاء التذكير وأعضاء التأنيث مجتمعة فى زهرة أو متفرقة فى العود . وهى حقيقة تتضامن مع المشهد فى اثارة الفكر الى أسرار الخلق . بعد تملى ظواهره " اهـ فى ظلال القرآن ج ٥/ ٧١ ، ٧٢ قلت ولعل الذى يعنيه من اكتشاف التذكير والتأنيث فى عموم النبات والا فالاصل معروف قديما كما فى قصة تأبير النخل ، وفى قصة الايمان لنديم الجسر ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ينقل تقرير هنرى برغون ، نفى المصادفة فى ذلك التماثل والاطراد الشامل فى نظام الزوجية لجميع الاحياء من الحيوانات والنبات اذ كيف اتفق ان اخترع الحيوان الذكورة والانوثة ووفق النبات الى الطريقة نفسها وبالمصادفة نفسها

(٢) سورة القصص آية ٧٣ (٣) الفخر الرازى " التفسير الكبير " ج ١٩ ص ٧

وتوجد فى هذه القطع المتجاورات من الارض بساتين وحدائق فيها العنب والزرع والنخيل الصنوان (١) — المتماثل وغير المتماثل — وتلك الاصناف المختلفة تكون فى القطعة الواحدة من تلك الأرض وهى تسقى بماء واحد ، فالأم واحدة والغذاء واحد ، ومع ذلك يأتى الخلاف الكبير فى ثمارها ، فمنها الحلو ومنها المر ، كما انها تأتى مختلفة الالوان والاحجام فمنها الاحمر ومنها الاصفر ، ومنها الابيض ، ومنها الكبير ومنها الصغير ، فمن الذى أعطى كل مخلوق فى هذه القطعة شكله ولونه وطعمه غير القدرة الالهية التى منحت الحلو حلاوته وأعطت الحامض طعمه ، اذ لوكان الامر أمر طبيعة وأنه ينشأ عن طبيعة الاشياء لما وجد هذا الاختلاف الواسع ، ان فى ذلك آيات لمن كان واعيا ، بل ان هذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار الذى بقدرته وارادته فاوت بين الاشياء ، ونوع بينها ولذلك ختمت الاية بالاشارة الى أن تلك الامور المختلفة الناتجة عن شىء واحد آيات لقوم يعقلون حجج الله وآياته فى خلقه .

---

(١) الصنوان " هى الاصول المجتمعة فى نبت واحد كالرمان والتين وبعض النخيل ، وغير الصنوان ماكان على اصل واحد كسائر الأشجار (تفسير ابن كثير ج ٢/ ٥٠٠ قال " وقال سفيان الثورى وشعبة عن ابى اسحاق عن البراء رضى الله عنه "الصنوان " هى النخلات فى أصل واحد وغير الصنوان " المتفرقات " قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد ، وهو قول الزمخشرى فى الكشاف ج ٢/ ٣٤٩ ، والمفردات فى غريب القرآن للاصفهانى .

٣ — النموذج الثالث:

يقول تعالى (أفرأيتم ما تحرثون أأ نتم تزرعونه أ م نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون ، انا لمغرمون بل نحن محرمون . أفرأيتم الماء الذى تشربون أأ نتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون .

— أفرأيتم النار التى تورون أأنتم انشأتم شجرتها أم نحن المنشؤ ون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين ، فسبح باسم ربك العظيم (١) .

فى الأنموذجين السابقين أوضحت الآيات قدرة الله وعظم حكمته وواسع رحمته اذ جعل هذا الكون مهيئا لعباده سهلا لسيرهم فيه وتقلباتهم فى أرجائه فالأرض ممهدة مفروشة مثبتة بالرواسى ، قد فتح لهم فيها السبل وشق لهم فيها الأنهار والعيون وأجرى عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، فأنبت لهم فى هذه الأرض كل ذلك الثمرات ، وبين لهم فى عموم قدرته المبدعة التى تغاير بين الاشياء الناتجة عن المصدر الواحد والطبيعة الواحدة ، ودعاهم الى النظر والتفكر فى ذلك اذ أن تلك الآيات الكونية الطبيعية داعية لاعمال الفكر والعقل كما قال تعالى : (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) اذ لا يستفيد منها الا من أعمل فكره وعقله .

وهذا النموذج من الآيات هو أيضا يقرر الحقيقة السابقة ولكن بأسلوب وطريقة أخرى ، فان القرآن الكريم وهو يدعو لاثبات قضية واحدة ، هى قضية العقيدة التى استغرقت من القرآن اكثره ، لم تأت دعوته مكررة ، وانما قد غاير فى التعبير والأسلوب ، وكان ذلك من دلائل اعجازه .

وقد تضمنت هذه الآيات أمورا محسوسة مشاهدة ، بل هى ألصق الأشياء بحياة المخاطبين ، الزرع والماء ، والنار ، فأى انسان فى أية بيئة لم تدخل هذه الأمور فى مشاهدته (أفرأيتم ما تحرثون) احتجاج بما يباشرونه بأنفسهم من حرث الأرض والقاء البذور التى خلقها الله فيها ، اذ يوجه لهم هذا الخطاب بصورة

---

(١) سورة الواقعة الآيات ٦٣ — ٧٤

الاستفهام التقريرى عن دورهم فى انبات تلك البذور وحفظها الى أن تؤتى ثمارها (أأنتم تزرعونه) أى تنبتونه (أم نحن الذين فعلنا ذلك بقدرتنا وارادتنا أما أنتم فلم يكن لكم من عمل فى ذلك الا الحرث وهو شق الأرض والقاء البذور فيها ، فذلك هو دوركم فى هذا الزرع الذى فيه طعامكم والذى به قوام حياتكم ثم بعد ذلك تتركونه لبد القدرة المبدعة ، فهى التى تنشئه ، اذ تأخذ الحبة والبذرة طريقها فتسير سير الخبير العارف بمسالك الطريق ، الى الهدف المرسوم الذى قدر لها خالقها (أم نحن الزارعون) ان ذلك من صنعنا وبارادتنا اذ لو شئنا (لجعلناه حطاما) قبل آن يؤتى ثماره ولو وقع ذلك لظلتم تفكهون فى المقالة اى تلونون الحديث فتارة تقولون (انا لمغرمون) وتارة تقولون (بل نحن محرومون) (١) .

(أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون) .

ذلك ان الماء أصل من أصول الحياة ويحتاج اليه كل حى كما قال تعالى : (والله خلق كل دابة من ماء) (٢) وقال تعالى : (وجعلنا من الماء كل شئ حى (٣) . من الذى أنشأ هذا الماء فكون عناصره ، من الذى أنزله من السحاب عذبا تشربونه وتسقون منه أنعامكم وزروعكم ؟ وقد خصه الله تعالى بوصف من أهم منافعه المتعلقة به وهو " الشرب (أأنتم أنزلتموه من المزن) أم نحن الذين انزلناه من تلك المزن وهو السحاب المسخر بين السماء والأرض بقدرتنا وجعلناه عذبا زلالا مستساغ الطعم بمشيئتنا فلو شئنا لجعلناه أجاجا ، مالحا لا يستساغ طعمه غير صالح لشرب ولا لانبات زرع ، فهلا تشكرون الله الذى أنعم عليكم بانزاله المطر عذبا زلالا .

---

(١) ابن كثير (التفسير ٤/ ٢٩٦)
(٢) سورة النور آية ٤٥
(٣) سورة الانبياء آية ٣

يقول سيد قطب " والمخاطبون ابتداء بهذا القرآن كان الماء النازل من السحاب في صورته المباشرة مادة حياتهم وموضع احتفالاتهم ... ولم تنقص قيمة الماء بتقدم الانسان الحضارى ، بل لعلها تضاعفت .

والذين يشتغلون بالعلم ويحاولون تفسير نشأة الماء الأولى أشد شعورا بقيمة هذا الحدث من سواهم . فهو مادة اهتمام للبدائى فى الصحراء وللعالم المشتغل بالابحاث سواء . (١)

والنار أمس الاشياء بحياة الانسان اليومية ، فلا تقوم أمور الناس الا بها وهى التى يوريها الانسان ويقدحها فيستخرجها من اصلها ، أهو الذى أنشأ شجرتها المودعه فيها ؟

أفرأيتم النار التى تورون ، أأنتم أنشأتم شجرتها — أم نحن الذين أنشأناها لطفا بكم اذ لا تقوم حياتكم الا بها ، كما جعلناها تذكرة لكم بنار الآخرة ، ليحاسب كل انسان نفسه ، اذ لا طاقة له بهذه النار التى هى جزء من سبعين جزءا من نار جهنم كما جاء ذلك عن المصطفى (٢) صلى الله عليه وسلم وكما جعلنا النار تذكرة لكم بنار الآخرة ، جعلناها أيضا متاعا للمقوين — أى — المسافرين لأنهم فى أمس الحاجة اليها من المقيمين .

وبعد هذا العرض لهذه الدلائل الايمانية الدالة على وجود الخالق جل وعلا الميسر فهمها وادراكها للمخاطبين بها فى كل بيئة وعلى أى مستوى ، اذ أنه خطاب للفطرة البشرية ، فمن يعلم خصائصها يلتفت الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القدوة لأمته فيأمره بتسبيح ربه العظيم الذى أنشأ الوجود كله بقدرته وحفظه بمشيئته (فسبح باسم ربك العظيم) .

---

(١) سيد قطب (فى ظلال القرآن) ج ٧ ص ٤٢/١٤

(٢) عن أبى هريرة ، رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ناركم هذه التى يوقد ابن آدم ، جزء من سبعين جزءا من نار جهنم) قالوا : والله ان كانت لكافية يارسول الله ، قال : (فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها) ورواه مسلم ، باب فى شدة حر جهنم ج ٤ ص ٢١٨٤/٤ ترتيب محمد فؤاد عبد الباقى .

(٣) خلق الانســـان :

(وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون) . (١)

وكما بين القرآن للانســـان دوره فى انبات الزرع الذى به قوام حياته وأنـــه لايتجاوز القاء البذر فى الأرض ، ثم يتخلى عنه ، ليتولى إنباته وحفظه العليم القدير ، كما قال تعالى (أفرأيتم ماتحرثون أ أنتم تزرعونه أم نحـــــن الزارعون (٢) .

كذلك بين له دوره فى سبب وجود الجنين ، وأنه لايتجاوز أن يودع الرجل مايمنى رحم امرأة ثم ينقطع عملهما ، ثم تتولى بعد ذلك القدرة المبدعة العمل وحدها ، فى تخليق هذا الماء المهين الذى لو ترك لحظة لتقلبات الجو لفسد وأنتن ، يقول تعالى : (نحن خلقناكم فلولا تصدقون . أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون . (٣) .

فهذه حقيقة يعلمها المخاطب من نفسه ، ومن مشاهداته لأبناء جنسه فلايستطيع ردها ، وخلق الانسان من أعظم الآيات الدالة على وجود البارى سبحانه وتعالى وعلى عموم قدرته وعلمه ، وكمال حكمته ورحمته واحسانه ، ولما كان خلق الانســان من أوضح الآيات والأدلة على وجود الخالق القادر وكان خلقه وايجاده من أقرب الأشياء الى الانسان نفسه ، فقد دعا الله تعالى عباده الى التفكر والنظـــر بعين البصيرة فى مبدأ خلقهم ، وفى أطوار هذا الخلق ومراحله التى مروا بهـــا الى أن أصبحوا بشرا ينتشرون يقول تعالى ذكره : (فلينظر الانسان مم خلق) . (٤)

ويقول تعالى : (ياأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم ونقر فـــى الأرحام مانشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم مـــن يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) . (٥) .

---

(١) سورة الذاريات آية ٢٠ و ٢١ (٢) سورة الواقعة آية ٦٣ ، ٦٤

(٣) سورة الواقعة آيـة ٥٨ و ٥٩ (٤) سورة الطارق آيـــة ٥

(٥) سورة الحج آيـــة ٥

ويقول تعالى" (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ،ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ،فخلقنا العلقة مضغة ،فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ،ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين) (١) .

ان المتأمل فى هذه الايات التى جاء فيها تكرار لفظ النطفة التى تكون منها هذا الانسان ونشأ عنها يتبين له ان قصد الشارع جل وعلا من هذا التعبير هو لفت نظر المخاطب الى القدرة المبدعة ،قدرة الله تعالى التى جعلت من هذه النطفة ،او من جزء منها بشرا سويا مخالفا ومباينا كل المباينة لتلك النطفة المهينة . ولولا هذا البيان الرائع الذى ساقه الله فى القرآن الكريم ،موضحا هذه النشأة لما صدق انسان ان وجوده بهذه الهيئة ، وهذا الشكل والقد ، والسمع والبصر ، والعقل والاعضاء والجوارح التى تتفق مع مصالحه من الحركة والقيام ،والمشى والقعود ، وغير ذلك كان كل ذلك من هذه النطفة ، كما انه كان من المستبعد ان يتصور انسان ان هذه النخلة قد وجدت من هذه النواة لولا وجودها المشاهد فعلا .

ونعود الى الاية الكريمة التى شرحت اطوار هذه النطفة ،الى ان صارت بشرا ناطقا ،لترى فيها صنعة الخالق العليم القادر الحكيم ، الذى احسن كل شىء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين .

يقول تعالى" (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ،فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين (٢)) .

---

(٢) سورة المؤمنون الآيات ١٢—١٤ .

فقد اشارت الآية الى اصل الانسان الاول وهو آدم عليه السلام ، اذ كان خلقه من طين ،كما تحدث عن ذلك الكتاب العزيز ،اما نسله فقد جعله البـــارى جل وعلا من تلك النطفة التى خلقها ، وهيأ لها الاسباب الموصلة لها الـــى مستقرها ، ذلك القرار المكين .

يقول ابن القيم . . . (فانظر الآن الى النطفة بعين البصيرة ،وهى قطرة من مـاء مهين ،ضعيف لو مرت بها ساعة ـ . . . تحلله ـ اى لحظة ـ من الزمان فسـدت وانتنت ،كيف استخرجها رب الارباب العليم القدير من بين الصلب والترائب ،منقادة لقدرته مطيعة لمشيئته مذللة الانقياد على ضيق طرقها ،واختلاف مجاريها الـــى ان ساقها الى مستقرها ومجمعها . . .

وكيف قدر اجتماع ذينك الماءين مع بعد كل منهما عن صاحبه ،وساقهما من اعماق العروق والاعضاء ،وجمعهما فى موضع واحد جعل لهما قرارا مكينا ،لا ينال له هواء يفسده ،ولا برد يجمده ،ولا عارض يصل اليه ،ولا آفة تتسلط عليه ، ثم قلب . تلـــك النطفة البيضاء الى علقة حمراء مباينة للنطفة ،ثم جعلها مضغة لحم ،مباينة للعلقة فى شكلها ولونها وحقيقتها ، ثم تحويل تلك المضغة عظاما مجردة لا كسوة عليهـــا مباينة للمضغة كل المباينة فى الشكل والهيئة ،والقـد ،والملمس،ثم كيف قسمـــت تلك النطفة الحمراء الى تلك الاجزاء المتشابهة ، وبالمقدار المناسب لكل عضـو ، ثم اتجاه كل جزء او خلية الى مكانها المناسب فى وقتها وأوانها وعلى حســب الحاجة اليها ، فمنها مايتجه لانشاء العظام كل فى محله ، وعلى قدره الذى قدر ان يكون عليه ،فمنها الصغير ، والكبير ، والطويل ،والقصير ، والمنحنى ،والمستدير ، والعريض،والمصمت والمجوف ،فهى مختلفة الاشكال والاحجام ، وذلك حســـب اختلاف المنافع المنوطة بها ،ثم شد تلك العظام وربط بعضها ببعض بربـــاط

قوى محكم بحيث لا يسقط عضو من آخر (١) (نحن خلقناهم وشددنا اسرهم) .

ومنها مايتجه لتكوين الاسنان ، فلايتجه الا القدر المناسب لتكوين سن او ضرس، لان شكل الاسنان غير شكل الاضراس، نظر الاختلاف منافعها ، من طحن ، وقطع، وزينة ، ومنها مايتجه الى عمل العين ، فلايتجه إلى القدر الكافي لانشائها ، ثم الى المكان المعد لتركيبها ، ووجودها قلم تتجه خلية العين ، الى الظهر، او البطن ، او القدم ، وهكذا كل جزء او خلية من تلك النطفة يتجه الى انشاء العضو الذى قدر له تكوينه ، من اذن ، او لسان او حاسة شم ، اوغير ذلك من اعضاء الجسم ، واعقد ذلك واصعبه فى نظر الانسان التخصصات المتصلة بالجهاز الداخلى ، كالقلب، والمعدة ، والكبد ، والطحال والرئة ، والمثانة والامعاء . . . والمدهش حقا اتجاه المقدار المناسب للعضو المراد تكوينه ، فلازيادة ولا نقصان ، ثم اتجاه ذلك الجزء او الخلية الى المكان الذى قدر ان يكون فيه ذلك العضو ، فلايخطئه ولا يتعداه ، والسؤال هو من الذى هدى هذه النطفة الى القيام بهذه الاعمال التى تعجز المتخصصين فى علم الحياة ؟ ؟

هل لديها القدرة الكافية على تخليق هذا الانسان ؟ واذا كان كذلك ، فكيف بعد ان تكون انسانا سميعا بصيرا عاقلا ، يعجز هذا الانسان عن خلق بعوضة او ذبابة ؟ ؟

وصدق الله العظيم اذ يقول (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين) (٢) .

---

(١) ابن القيم ، (مفتاح دار السعادة ج ١ / ١٨٧ — ١٨٩) بتصرف .

(٢) سورة لقمان آية ١١

في ظلمات ثلاث والاعجب من ذلك ان هذا الخلق المعقد ،والتركيب المشتبكة فيه الاعضاء بعضها ببعض يتم في ظلمات ثلاث كما تحدث عنه القرآن الكريم ، وبين ان القادر على ذلك هو الرب الذى ينبغى ان يعبد وحده ،فلا اله غيره ، ولا رب سواه ،يملك من امر هذا الوجود شيئا ،

يقول تعالى " (خلقكم من نفس واحدة ،ثم جعل منها زوجها ،وأنزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث، ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون) (١) .

فقد بين سبحانه وتعالى في هذه الاية الكريمة ،قدرته المطلقة ، على خلق هذا العالم كله من نفس واحدة ، وهى آدم عليه السلام ،ثم خلق منها زوجها وهى حواء ، واستمرار الخلق المتواصل بعد ذلك كان من ذكر وانثى ،الا عيسى عليه السلام فقد كان من ام بلا أب، فالآية تشير الى القدرة التى اذا ارادت الشىء قالت له كن فيكون بسبب وبغير سبب فالله خالق الاسباب ،ومسبباتها ،ولذا فان الآيات السابقة من سورة الواقعة بينت دور البشر في ذلك الخلق ، وانه لا يتجاوز ذلك الالتقاء بين الرجل والمرأة ، فيختلط الماءان امشاجا ،ثم يتركانه في تلك اللحظة ، للقدرة التى تخط الخطة لتكوين الجنين من تلك النطفة في الظلمات الثلاث ،التى هى ظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، وظلمة البطن ،وفى تلك الظلمات الثلاث يتم ذلك الخلق العجيب ،كما قال تعالى " (هو الذى يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم) (٢)

---

(١) سورة الزمر آية ٦

(٢) سورة آل عمران آية ٦

والخلق بعد الخلق الذى تشير اليه الآية الكريمة ،هو خلقه نطفة ،ثم علقة ،ثم مضغة ،ثم عظاما . . . كما بينته الآيتان من سورة الحج والمؤمنون ،ثم انشاؤه بعد تلك الاطوار خلقا آخر مباينا للخلق الاول ،مباينة تامة فما ابعد النقلة الهائلة بين النطفة والانسان الذى صوره ربه فأبدعه فى احسن تقويم وجعله .

يقول مؤلف كتاب" (ايثار الحق على الخلق) "(وقد جمع الله تعالى ذكره دلالتى الانفس والآفاق فى قوله تعالى" (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) وذلك انا نعلم بالضرورة وجودنا احياء ، قادرين ،عالمين ،ناطقين ،سامعين ،مبصرين ،مدركين ،بعد ان لم نكن شيئا ،وان اول وجودنا كان نطفة مهينة مستوية الاجزاء والطبيعة ،غاية الاستواء ، بحيث يمتنع فى عقل كل عاقل ان يكون منها بغير صانع حكيم ،مايختلف اجناسا ،وانواعا ، واشخاصا ،اما الاجناس فكما نبه عليه قوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ، ومنهم من يمشى على اربع(١)) .

وأما الانواع" فنبه عليها بقوله (الم يك نطفة من منى يمنى ،ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى) (٢) .

وأما الاشخاص" فبقوله تعالى" (قتل الانسان ما اكفره من اى شىء خلقه ،من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره) (٣) الآيات.

وبيانه انه خلق من نطفة مستوية الطبيعة ،فكيف يكون منها مايبصر ومنها

---

(١) سورة النور آية ٤٥ .

(٢) سورة القيامة آية ٣٧—٣٩

(٣) سورة عبس الآيات من ١٧—٢٠

مايسمع ، ومنهـــا مايطعم ومنها مايشم ، ومنها الصلب ومنها الرخو . . . .

ونعلم انها قد تغيرت بنا الاحوال ، وتنقلت بنا الاطوار ، تنقلا عجيبا ، فكنا نطفا ، ثم علقا ، ثم مضغا ، ثم لحما ودما ، ثم عظاما صلبة ، متفرقة فى ذلك اللحـــم والدم تقويهما ، وعصبا رابطة بين تلك العظام صالحة لذلك الربط ، مما فيها من القوة والمتانة ، ثم تركب من ذلك آلات وحواس حية موافقة للمصالح ، مع ضيق ذلـك المكان وشدة ظلمته ، والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (يخلقكم فى بطون امهاتكـم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هـــو فأنى تصرفون (١)) .

وبعد فهذا هو حديث القرآن عن خلق الانسان من تلك النطفة ، فى تلك الظلمات الثلاث ، فماذا يقول العلم عن ذلك ؟

الحقيقة اننا فى هذا البحث لا نريد ايراد نظريات نفسر بها القرآن الكريم ، ذلك لان النظريات ، امور بنيت على التقدير والتخمين ، فلم يكن لها اصل ثابـت تعتمد عليه ولذا فهى تنقض اليوم ماقررته بالامس وقد تنقض غدا ماقررته اليوم ، والقرآن كلام الله الحق الثابت الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه ، والذى هو حق بانزال الله اياه ، كما قال تعالى " (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) (٢)

ولذا فاننا سنقتصر على ماورد ذكره فى كتاب الله تعالى ففيه الكفاية ، لهداية البشرية .

وكل قول يقال ، ويحمل به كتاب الله ، فالخطأ الناتج عن ذلك ، هو من فهم ذلك القائل وتفسيره ، اما القرآن فحق ثابت ، وسيتسع لكل حقيقة علمية ثابتة لا تتغير ، اذ انه الكتاب الذى لا تبلى جدته الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

---

(١) ابن الوزير ، ايثار الحق على الخلق ١ / ٤٤ ، ٤٥ ، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر القاهرة سنه ١٣١٨هـ .

(٢) سورة الاسراء آية ١٠٥ .

ظاهرة الحيـــاة" يقول تعالى " ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى مـــن الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون) (١) .

من الدلائل على وجود الله تعالى ووحدانيته افعاله التى لا يشاركه فيهـــا احد من القادرين ،ومن تلك الافعال الاحياء والاماتة ، فان الخلق عاجزون عنها ، ذلك ان الله وحده هو القادر على ذلك دون سواه ، يقول تعالى (تبارك الـــذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير ، الذى خلق الموت والحياة ..) (٢)

ولم يدّع احد من البشر انه يستطيع ذلك ،ولاعبرة بدعوى ابله بليد لا يعرف معنى الاحياء والاماتة ،او معاند مكابر يسلك سبل المغالطة لقومه ،فيفسر لهـــم معنى الاحياء والاماتة بقتل احد رجلين واطلاق سراح الآخر ،كما يذكر المفسرون ذلك عن نمرود ابراهيم عليه السلام الذى حاجه فى ربه .

يقول تعالى "(الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت،قال انا احى واميت،قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب،فبهت الذى كفر،والله لا يهدى القوم الظالمين) (٣) .

فحين ادعى ذلك المكابر تلك الدعوى التى يعلم ابراهيم عليه السلام كذبـــه فيها ،عدل به الى امر مشاهد للناس جميعا ،فطلب منه ان يتصرف فيه بغير المألوف والمعهود للناس،ان كانت لديه القدرة الكاملة كما يدعى ، ذلك الامر هو ان يأتى بالشمس من المغرب،اذ ان رب ابراهيم يأتى بها من المشرق ،فبهت الكافر،ولـــم

---

(١) سورة الانعام آية ٩٥ .

(٢) سورة الملك آية ١ ٢

(٣) سورة البقـــرة آية ٢٥٨

يحر جوابا ،والله غالب على امره ،ومظهر دينه وناصر رسله ، وقد عني القرآن الكريم عناية خاصة بظاهرة الحياة فجعلها من الادلة التي تنبه المخاطب الغافل عن التفكر في سر هذا الامر العجيب الذي جعل سببا لوجوده ،ذلك ان الانسان كان معدوما ثم اصبح انسانا حيا يسير على هذه الارض متمتعا بما اوجده له خالقه من نعم كثيرة على ظهرها ،يشاهد نوع الحياة التي تدب فيه من اين جاءت وكيف سببها .

يقول الفخر الرازي "(ودليل الاحياء والاماتة دليل متين قوي ذكره الله سبحانه في مواضع من كتابه كقوله" (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ..) وقوله " (ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ،ثم رددناه اسفل سافلين) (١)

ويقول سيد قطب في تفسير الآية (فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت.. الخ)" (انها المعجزة التي لا يدري سرها احد ،فضلا على ان يملك صنعها احد ،... وتقف البشرية بعد كل مارأت من ظواهر الحياة واشكالها ، وبعد كل مادرست من خصائصها واطوارها .. تقف امام السر الغيب كما وقف الانسان الاول ،تدرك الوظيفة والمظهر ،وتجهل المصدر والجوهر ، والحياة ماضية في طريقها ... لقد عجزت كل محاولة لتفسير ظاهرة الحياة ،على غير اساس انها من خلق الله ... ومنذ ان شرد الناس من الكنيسة في اوربا .. (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) وهم يحاولون تفسير نشأة الكون وتفسير نشأة الحياة ،بدون التجاء الى الاعتراف بوجود الله .. ولكن هذه المحاولات كلها فشلت جميعا .. ولم تبق منها في القرن العشرين الا محاكات تدل على العناد ، ولا تدل على الاخلاص ، واقوال بعض

---

(١) الفخر الرازي (التفسير الكبير ج ٨ / ص ٢٣و٢٤

(علمائهم) الذين عجزوا عن تفسير وجود الحياة الا بالاعتراف بالله تصور حقيقة موقف (علمهم) نفسه من هذه القضية) (١).

والمؤمنون الصادقون فى ايمانهم، الذين يؤمنون بالله يكفيهم فى ذلك ماقاله خالقهم عن خلق هذه الحياة، وماشاهدوه فى الواقع امامهم، من تكرر خلق الحياة كل لحظة، لان عقولهم الفطرية لم تلوث بشكوك المرتابين واباطيلهم.

واما اولئك الذين اصابتهم لوثة الشك، فلا يؤمنون الا (بالعلم) فمن المناسب ان ينقل لهم بعض اقوال هؤلاء العلماء الذين عجزوا عن تفسير الحياة الا ان تكون من صنع خالق قادر هو (الله) سبحانه وتعالى.

وفى ذلك يقول" (ايرفنج وليام نوبلوس) اخصائى الحياة البرية فى الولايات المتحدة، واستاذ العلوم الطبيعية فى جامعة ميشجان.

تحت عنوان — المادة وحدها لا تكفى — "(ان العلوم لا تستطيع ان تفسر لنا كيف نشأت تلك الدقائق الصغيرة المتناهية فى صغرها، والتى لا يحصيها عد، وهى التى تتكون منها جميع المواد، كما لا تستطيع العلوم ان تفسر لنا بالاعتماد على فكرة المصادفة وحدها كيف تتجمع هذه الدقائق الصغيرة لكى تكون الحياة. ولا شك ان النظرية التى تدعى ان جميع صور الحياة الراقية قد وصلت الى حالتها الراهنة من الرقى بسبب حدوث بعض الطفرات العشوائية والتجمعات والهجائن تقول ان هذه النظرية، لا يمكن الاخذ بها الا عن طريق التسليم، فهى لا تقوم على اساس المنطق والاقناع) (٢)

---

(١) سيد قطب (فى ظلال القرآن ج ٣/ ص ٣١١ و ٣١٢ الطبعة الثانية سنة ١٩٦١م دار احياء التراث العربى بيروت — لبنان —

(٢) من كتاب (الله يتجلى فى عصر العلم ص ٥٢، تأليف نخبة من العلماء الامريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الارض ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨م الناشر مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع القاهرة.

ويقول مؤلف كتاب(مصير البشرية) (ليكونت د يونوى)" (. . . نكرر القول هنا بأنه لا توجد حقيقة واحدة فى يومنا هذا تقدم تفسيرا قاطعا لمولد الحياة وتطور الطبيعة ، ولقد درسنا مسألة اصل الحياة ، وسواء اردنا ام لم نرد ، فاننا مضطرون الى ان نقبل فكرة تدخل قوة سامية يدعوها العلماء ايضا (الله) (عكس الصدفة) او ان نعترف ببساطة بأننا لا نعلم شيئا عن هذه الامور سوى بعض آليات ، وهذه ليست مسألة اعتقاد فحسب ، ولكنها حقيقة علمية لا نزاع فيها ، ولسنا من اولئك الماديين المريقين الذين يتمسكون بآرائهم واعتقاداتهم رغم كونها سلبية بدون اى برهان) (١)

وقد اورد الشيخ نديم الجسر فى كتابه (قصة الايمان) بعض آيات من كتاب الله ، تحدثت عن خلق الحياة وتكونها من ـ الطين اللازب والماء ـ ثم اورد بعض ماقاله العلماء حول تكون الحياة ، ولنحن بدورنا نقتطف بعضا من ذلك" .

ـ الآيات ـ قوله تعالى ـ " (ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون)

وقوله تعالى ـ "(والله خلق كل دابة من ماء . .)

وقوله تعالى ـ (فاستفتهم أهم أشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون ، واذا رأوا آية يستسخرون) هذا بعض ماقاله القرآن الكريم عن تكون خلق الحياة وانه بقدرة الله تكون من الماء والطين (٢) .

---

(١) ليكونت د يونوى" مصير البشرية ص. ١٣٠ ترجمة الاستاذ احمد عزت طه ، وعصام احمد طه ، مطابع فتى العرب شارع الفردوس ـ دمشق التاريخ بدون .

(٢) الحياة فى لغة المتكلمين عرض ، والماء والطين جوهر ، والعرض لا يقوم بنفسه والله القادر خلق آدم من طين ، ثم نفخ فيه من روحه ، فدبت فيه الحياة ، وكذلك جعل نسله من ماء مهين ، ثم يأخذ ذلك الماء اطواره التى تحدث عنها القرآن ، وبينت السنة وقت وكيفية نفخ الروح فى ذلك الجنين فتدب فيه الحياة ، وكلام الشيخ نديم الجسر عن الحياة هو كلام عن الخلق ، والخلق اعم من الحياة ، ولكنهما متلازمان اذ الحياة لا تقوم بنفسها ، وانما تقوم فى ذلك المخلوق المكون من الماء والطين ، وهذا الذى يريده الشيخ بكلامه ، والله اعلم .

والعلماء قالوا كما قال القرآن بتكون الحياة من الماء والطين ،ثم وقفوا على عتبة باب الخفاء من سرها حائرين . . فقد عرفوا الشيء الكثير من فروعها واصولها ، وعناصرها وطبائعها . . . وعلموا ان جميع الاحياء تتألف من خلايا وان الخلية تتكون من النطفة الاولى (بروتوبلاسما) وعلموا ان هذه النطفة الاولى مكونة من الكربون والاكسجين ،والهيدروجين والنتروجين . . . وجربوا ان يخلقوا الحياة في شيء فعجزوا . . .ثم اعترفوا كما ذكر القرآن باستحالة خلق ذبابة — "

يقول (توماس اكيوناس) — "(ما من عالم عرف حتى اليوم حقيقة ذبابة . .)

ويقول (روجر باكون)— "(انه لا يوجد عالم من علماء الطبيعة يستطيع ان يعرف كل شيء عن طبيعة ذبابة واحدة) ويقول" (بُخْنَر) — " (ان الذرية ذاتها على بساطتها ذات بناء وتركيب يمنع معه صدورها من الجماد مباشرة ،بل ان ظهورها من الجماد ليعد في نظر العلم معجزة ليست اقل بعداً عن العقل من ظهور الاحياء العليا من الجماد مباشرة) .

والقرآن يقول للناس" (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له . .) (١)

ان العقول السليمة تتلاقى على الحق ،وكلما ازداد تعلما كان تلاقيها على الحق ايسر وأقرب ،ومن اجل هذا رأينا العلماء بعد ذلك الانتكاس المادي الذي اعترى بعضهم في اواخر القرن التاسع عشر يرجعون الى التلاقي على الحق ويكادون يجمعون اليوم اجماعا بلسان اكابرهم على ان " هذه القوانين والنواميس، التي نشأت على اساسها الحياة وتطورت تنطوي على وحدة القصد ،والارادة والعناية

---

(١) سورة الحج آية ٧٣

والحكمة يستحيل معها على العقل السليم المفكر ان يؤمن بأن هذه الحيـــاة خلقت وتطورت بالمصادفة العمياء.

فهذا اللورد كلفن العالم الانجليزى يعلن هذا الايمان على الناس، ويسخر من القائلين بالمصادفة فى خلق هذه الحياة ويعجب من اغضاء بعض العلمـــاء عما فى آثار الحكمة والنظام من حجة دامغة وبرهان قاطع على وجود الله ووحدانيته. حيث يقول" (يتعذر على الانسان ان يتصور بداية الحياة واستمرارها دون ان تكون هنالك قوة خالقة مسيطرة واننى اعتقد من صميم نفسى ان بعض العلماء، فى ابحاثهم الفلسفية عن الحيوان، قد اغضوا اغضاء عظيما مفرطا عما فى نظام هـذا الكون من حجة دامغة. فان لدينا فيما حولنا براهين قوية قاطعة على وجـــود نظام مدبر وخير وهى براهين تدلنا بواسطة الطبيعة على ما فيها من أثر ارادة حرة، وتعلمنا ان جميع الاشياء (الحية) تعتمد على خالق واحد احدى ابدى).

ويقول — انشتين — (ان جوهر الشعور الدينى، فى صميمه، هو ان نعلـــم بان ذلك الذى لا سبيل لمعرفة كنه ذاته موجود حقا، ويتجلى بأسمى آياك الحكمة، وابهى انوار الجمال... وانني لا استطيع ان اتصور عالما حقا لا يدرك ان المبادىء الصحيحة لعالم الوجود مبنية على حكمة تجعلها مفهومة عند العقل. فالعلم بلا ايمان يمشى مشية الاعرج، والايمان بلاعلم يتلمس تلمس الاعمى) اهـ(١)

---

(١) الشيخ نديم الجسر (قصة الايمان ص٤٢٣—٤٢٥) بتصرف الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م منشورات المكتب الاسلامى، بيروت.

ثانيا "دليل العناية"

المتأمل فى نظام هذا العالم، وتأليف اجزائه يجد فيه الدلالة الواضحة على قدرة خالقه، وكمال علمه وحكمته وحسن لطفه وعنايته، بالعالم كله اذ الرعاية شاملة لكل افراده، والعلم محيط بكل جزئياته.

﴿ ((وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها. ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين)) (١)

((... وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ..)) (٢)

فالناظر بعين البصيرة فى هذا العالم كله" علويه، وسفليه، كبيره، وصغيره، يجد فيه العناية التامة به اولا، وبمن خلق الله له هذه الموجودات وسخرها له، ثانيا، فالسموات وافلاكها والارض ومحتوياتها، خلقت بالحق، وبه حفظت، كما قال تعالى "(ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق) (٣)

وقال تعالى "(وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين) (٤)

فاذا تأمل الانسان بفكره وعقله فى بعض جزئيات هذا العالم المسخر لمصالحه والتى عليها استقرار حياته، كفاه ذلك دليلا واضحا، وحجة بينة على ان هذا

---

(١) سورة الانعام آية ٥٩

(٢) سورة فاطر آية ١١

(٣) سورة الحجر آية ٨٥

(٤) سورة الانبياء آية ١٦

العالم مخلوق لخالق ، حكيم قدير عليم قد قدر هذا العالم ، فأحسن تقديـــره ، ونظمه فأتقن تنظيمه .

فمن تلك الجزئيات ، الشمس ، وما تضمنته من مصالح عليها قوام حياة النـــــاس واحوالهم ، وحياة المخلوقات جميعا ، من حيوان ونبات ، فان الناظر فيها يلمس كمال العناية ، واللطف من الله تعالى والرحمة بهذا الانسان ،

تعاقب الليل والنهار" واول ماينتج عن طلوع الشمس وغروبها ، تعاقب الليـــل والنهار ، اللذان هما من اعجب آيات الله ، وبدائع مصنوعاته ، كما قال تعالى " (ومن آياته الليل والنهار...) (١) ←

---

(١) سورة فصلت آية ٣٧

فلو لا تسخير العليم القدير لها ، لتعطل أمر العالم ، اذ كيف يتصرف الناس ، ويسعون لكسب معاشهم ، وطلب أرزاقهم ، اذا لم يكن هناك ضياء يبصرون به . ثم كيف يكون لهم قرار وهدوء تستريح به أبدانهم ، ويستجدون فيه قواهم ، اذا لم يكن هناك ليل يسكنون فيه ، فنعمة الليل والنهار الناتجين عن طلوع الشمس وغروبها من أعظم آيات اللطيف الخبير ، الذى جعل تلك الشمس المشرقة للناس بمنزلة السراج يرفع لأهل البيت ، زمنا لقضاء حوائجهم ، ثم يغيب عنهم مثل ذلك الزمن ، ليهدؤوا ويستريحوا ، تماما كما هدى الانسان لايقاد مصباحه عند الحاجة اليه ، واطفائه بعد قضائها ، وقد نبه الله عباده الى تلك العناية والرحمة بهم ، فى جعله الليل والنهار متعاقبين ، ليتمكنوا من طلب المعاش والسعي فى تحصيل الرزق فى النهار المبصر ، والهدوء والراحة ، فى لباس الليل الهادىء ، وبين أن ذلك التصريف الحكيم حاصل بأمره وتقديره ، ومشيئته وارادته ، يقول تعالى: (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون) .

— قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون .

— ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . (١) .

أى ، لعلكم تشكرون نعمة الله واحسانه اليكم ، ولطفه وعنايته بكم ، فى جعله الليل والنهار متعاقبين ، على الدوام والاستمرار ؛ وقد خص آية الليل بحاسة السمع لقوة سلطانها فى هدوء الليل ، اذ تسكن فيه الحركات ؛ كما خص آية النهار بالبصر لشدة ادراكه المبصرات فيه ، هذه المخلوقات التى هي السموات وأفلاكها ، والأرض ومحتوياتها جميعها مسخرة بأمر خالقها محفوظة بعنايته المستمرة فى كل لحظة فهو الخالق لكل شيء ، الآمر له بما أراد ، القائم بحفظه ، كما قال تعالى : (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) . (٢) . وقال تعالى : (الله لا اله الا هو الحي القيوم ، لاتأخذه سنة ولانوم ، له مافى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايحيطون بشيء من علمه الا بماشاء وسع كرسه السموات والأرض ولايؤده حفظهما وهو العلى العظيم) . (٣) .

---

(١) سورة القصص من آية ٧١ — ٧٣ (٢) سورة الاعراف آية ٥٤

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٥

فهو قيوم السموات والارضين ، فلاقيام لهما ولا استقرار الا به سبحانه وتعالى — كما قال تعالى : (ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا) . (١) .

الانسان :

ومع أن رعاية الله وعنايته ، سبحانه وتعالى ، شاملة للعالم كله ، والانسان جزء من هذا العالم ، الا أنه قد خصه الله بمزيد من تلك العناية والرعاية ، فقد هيأ له كل احتياجاته الروحية منها ، والجسمية :

فمن الناحية الروحية :

تعهده بارسال رسله ، وانزال كتبه ، المشتملة على الهدى والنور ، ففيها طمأنينة قلبه ، واشباع روحه ، وهدوء نفسه ، حيث تضعه في الخط المستقيم الواضح ، الذى يصله بربه وخالقه ، كما بينت له السبل المتفرقة المضلة التى تؤدى به الى مايمزق كيانه ، ويشتت أمره ، بحيث تجعله ، كالعبد المملوك لشركاء يتشاكسون فيه ، يجره أحدهم ذات اليمين ، والآخر ذات الشمال ، أو كالحيران الذى استهوته الشياطين ، فأضلته عن سبيل الهدى حتى لايدرى الى أين يسير ، يقول تعالى : (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولايضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين) . (٢) .

وذلك كله من كمال رحمته بعباده ، فان رحمته جل شأنه تشمع اهمال عباده وعدم تعريفهم ماينالون به غاية كمالهم ، واسمه الرحمن تتضمن لارسال الرسل ، وانزال الكتب ، أعظم من تضمنه ، انزال الغيث ، وانبات الكلأ ، واخراج الحب .

---

(١) سورة فاطر آية ٤١

(٢) سورة الانعام آية ٧١

فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح ، أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح . (١) .

أما من الناحية الجسمية : فقد خلق له مافى الأرض جميعا ، وسخر له مافى السموات والأرض ، وكان من عنايته أن أوجده فى المكان الموافق لحياته (٢) ، فالأرض التى وجد عليها ، وهي المكان الذى اختاره الله ليكون مقرا لهذا الانسان ، قد زودها بكل مستلزمات الحياة ، من ماء وهواء ، وتربة صالحة للزرع والبناء وغير ذلك ، فهي المهاد ، والفراش ، والمسكن الذى أعده الله بكل احتياجات البشر الضرورية منها وغير الضرورية ففيها الغذاء والدواء ، والمشرب ، والملبس ، والمركب ، يقول تعالى فى معرض الامتنان على عباده بما أسداه اليهم من النعم التى لاتحصى : (الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ماسألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار) . (٣)

أ

---

(١) ابن القيم ، مدارج السالكين جـ ١ ص ٨ تحقيق محمد حامد فقى ، الناشر دار الكتاب العربى بيروت لبنان ، مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٥هـ — ١٩٥٦م .

(٢) ابن رشد الكشف عن مناهج الأدلة ص ١٠٩ — ١١٠ الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م .

(٣) سورة ابراهيم الآيات ٣٢ — ٣٤ .

الحـــر والبرد :

اقتضت الحكمة الالهية والعناية الربانية ، تعاقب الحر والبرد ، لما فى ذلك من مصالح للبلاد والعباد ، وقد ربط السميع العليم ذلك بتصريف الشمس وتقدير مطالعها فى منازلها المختلفة منزلة بعد أخرى ، وبسبب ذلـــك التنقـل الذى قدره الله تحدث تلك الفصول المتعاقبة فيظهر البرد ، ويظهـــوره تختفى الحرارة ، وتبرد الظواهر ، فيكون ذلك سببا لا ستكشاف الهواء ، فيحصل السحاب ، والمطر الذى به حياة الارض ومن عليها ، ويعقب نزول المطر اخراج النبات من الارض رزقا للعباد ، كما قال تعالى : " وأنزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا بـــه جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقـا للعباد ، واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج " (١)

فمن عنايته بعباده ورحمته بهم ، اخراج تلك الاقوات والثمار ، والحبوب ، والفواكه متعاقبة متلاحقة شيئا بعد شيء ، ولم يخلقها سبحانه وتعالى جملة واحدة ، فانها لو خلقت كذلك ، على وجه الارض لفاتت المصالح التى رتبت على تلاحقها .

ومن كمال عنايته ورحمتـــه دخول فصل الحر الذى به يحصل نضج تلك الثمار واستواؤها ، ولولا تقديره سبحانه وتعالى ذلك وتيسيره لبقيت فجة غير صالحة لأكل ولا ادخـــار ؛ كل ذلك حاصل بتقدير من الحكيم العليم الذى عاقب بيـــن تلك الفصول ، التى يقتضى كل فصل منها من الفواكه ، والنبات مالا يقتضيـــــه الفصل الآخر ، فهذا حار ، وهذا بارد ، وهذا معتدل ، وكل نوع فى فصلـــه موافق للمصلحة التى خلق من اجلها ؛ كما أن من رحمته أن جعل دخول أحدهما الحر والبرد ــ على الآخر بتدرج ، اذ جعل سبحانه بين الحر الشديد ، والبرد القارص ، برزخا ينتقل فيه الحيوان ، على ترتيب وتمهل ، لطفا به ، ورحمة لضعفه لأنه لو انتقل دفعة واحدة ، من الحر الشديد ، الى البرد القارص ، لعظـــم ضرره ، وأشتد أذاه ؛

---

(١) سورة ق من آية ٩ ــ ١١

وفى ذلك حكمة بالغة ، وآية باهرة ، ولولا العناية الالهية ، والحكمة الربانيـــة ، والرحمة والاحسان لما كان ذلك ؟ وهل يمكن ان يقال : ان هذا التقدير والتدبير حادث بها لا تفاق والمصادفة ؟؟ أو أنه صادر من فاعل مختار قدر ذلك وأراده ؟

فلو قال قائل ان السبب فى ذلك التدرج والمهلة ، انما كان لابطاء سير الشمس فى ارتفاعها الى مستوى خط الاستواء مثلا ثم انخفاضها عنه .

قيل له فما السبب فى ذلك الا نخفاض والارتفاع ؟؟ ولو قال ان السبب فى ذلـك هو بعد المسافة بين مشارقها ومغاربها . لتوجه السؤال ايضا عن السبب فـــى بعد المسافة ؟

ولا تزال الأسئلة متوجهة . كلما عين سببا حتى تفضى به الى أحد أمرين :

— اما مكابرة ظاهرة ودعوى ان ذلك حاصل بالاتفاق من غير مدبر ولا صانع .

— واما الاعتراف بـرب العالمين ، والاقرار بقيوم السموات والأرضين ، وأنه الفاعـــل المختار المقدر لذلك ؟ اذ ليس بين الامرين واسطة ، الا هوس الشياطيـــن وخيالات المبطلين ، التى اذا طلع عليها فجر الهدى كانت فى اول المنهزميـــن والله متم نوره ولو كره الكافرون " (١)

---

(١) ابن القيم مفتاح دار السعادة ج ١ — ١٩٨ — ٢١٥ بتصرف

معرفـــة الحساب :

ولما كانت حاجة الناس الى معرفة الحساب من الأمور الضروريـــة التى لاغناء لهم عن معرفتها ، فبالحساب يعرفون مواقيت الديون المؤجلة ، والاجارات ، وعقود المعاملات على اختلاف أنواعها ، كما أن به تعرف المدد ، وتحدد مواقيت المعاهدات ، والعبادات ، وغير ذلك لأن معرفة هذه الأمور ضرورية لحياة الناس ومعاملاتهم ، وهى قائمة على معرفة الحساب ، الذى ربطه السميع العليم بهذين القمرين النيرين :

الشمس والقمر ، قال تعالى : " يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس (١) والحج " .

فخلقه الله تعالى للقمر من عجائب آياته الدالة على عنايته بعباده ، اذ يبديه الله تعالى كالخيط دقيقا ، ثم يتزايد نوره شيئا فشيئا كل ليلة الى ان يصير بدرا ، ثم يأخذ الاستدارة فى النقصان حتى يعود (٢) كالمرجون القديم ، كما قال تعالى : " والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم " (٣)

فيتميز بذلك عدد الاشهر والسنين ، ويقوم حساب العالم فبالشمس تعرف الأيام وبسير القمر فى منازله تعرف الشهور والاعوام ، لأنه لو كان الزمن نسقا واحدا متساويا مرقدا ، لما عرف شيء من ذلك ، وقد نبه الله عباده الى ذلك حيث يقول : هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون (٤)

ويقول : " وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا (٥)

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٩ (٢) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ج ١ ص ١٩٨ وابن كثير ، التفسير ج ٢ ص ٤٠٧

(٣) سورة يس آية ٣٩ .

(٤) سورة يس آية) ٥ (٥) سورة الاسراء آية ١٢ .

ثالثا : دليل النظام :

النظام ، والاتقان ، والتقدير فى هذا العالم ، شامل لجميع مخلوقات الله كلها ، ذلك أن الكون منظم ومنسق ، وانتظامه مرتبط بإرادة الله وقدرته ، كما أن استمرار على هذه الحال منوط باختيار الله تعالى ومشيئته قال تعالى : " صنع الله الذى اتقن كل شيء " .. (١)

وقال تعالى : " وخلق كل شيء فقدره تقديرا " (٢)

وقال تعالى : " انا كل شيء خلقناه بقدر " (٣)

فلا عبث اذن ولا فوضى ، وانما هو نظام ، واتقان وتقدير وتدبير ، قال تعالى : " وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار " (٤)

وقال تعالى : " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون " (٥)

تعالى الله عن ظن الكافرين علوا كبيرا ،

وقد عبر القرآن الكريم عن دقة هذا النظام الكونى ، الذى جعله خالقه آية من آياته الدالة على وجوده ، وقدرته ، وعلى علمه وحكمته ، واتقان مصنوعاته ، فقال تعالى : " وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون " (٦)

ودليل النظام يعتمد على دليل الخلق ، غير أنه يزيد عليه التوضيح والبيان لما فى ذلك الخلق من ابداع ، واختراع ، وتنظيم ، واتقان ، وما تدل عليه هذه المخلوقات من قصد فى ايجادها وحكمة فى تسييرها وتدبيرها ؛

---

(١) سورة النمل آية ٨٨ (٢) سورة الفرقان آية ٢

(٣) سورة القمر آية ٤٩ (٤) سورة ص . آية ٢٧ .

(٥) سورة المؤمنون آية ١١٥ (٦) سورة يس الآيات من ٣٧ — ٤٠

ودليل النظام من الادلة التى يدركها العقل الانسانى ويرضاها بيسر وسهولة لانه لايحتاج فى ادراك مدلوله الى كد ذهن واعمال فكر ، وغوص فى لجج الاستدلالات المنطقية الجافة ، لانه خطاب موجه ممن يعلم طبائع النفوس البشرية ، فاقتضت حكمته الالهية ، أن يخاطب الناس كافة ، بالدليل الايسر ، والاسهل والاوضح ، والذى يزداد على مر الايام وضوحا ، كلما تقدمت وسائل العلم ، وانكشفت أسرار النواميس الدالة على النظام (١) .

والاتقان ، مصداقا لقوله تعالى : " سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق (٢) .

فلو نظر الانسان فى عالم الافلاك والكواكب ، لرأى عجائب الخلق متجلية ، ودلائل النظام والاتقان واضحة ، فهى تسير على نظام ثابت لا يختل ، كل كوكب منها يسير فى مدار لا يتعداه ، وانتظام دورته فى زمن معين لا يتجاوزه ، واختصاص كل كوكب بوظيفة خاصة يؤديها حسب ما قدر له ، كل ذلك بحساب دقيق مقدر لا يزيد ولا ينقص ، فحركتها دائبة من غير فتور ولا خلل ، وذلك بتقدير من العزيز العليم .

ان ذلك كله ينبىء عن دقة فى الصنع ، واحكام فى النظام ، وتحديد للهدف المقصود وقد أشارت الآية الكريمة الى تلك الدقة المتناهية ، حيث تقول " لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون " ، فسير الشمس والقمر بحساب دقيق جعل احدهما لا ينبغى له أن يدرك الآخر ، ولا يسبقه ، لأنهما لم يوجدا بالاتفاق والمصادفة ، وانما وجدا بالقصد والارادة والاختيار ، وكان سيرهما وحركتهما بتقدير العليم الحكيم .

---

(١) الشيخ نديم الجسر ، قصة الايمان ص ٢٨١ بتصرف

(٢) سورة فصلت آية ٥٣

يقـــول سيد قطب في تفسير الآية ـ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ... الخ ... ومشهد قدوم الليل ، والنور يختفي ، والظلمـة تغشى ... مشهد مكرور يراه الناس في كل طبقة من خلال أربع وعشرين ساعة " فيما عدا بعض المواقع التي يدوم فيها النهار ، كما يدوم فيها الليل أسابيع واشهر اقرب القطبين في الشمال والجنوب ، وهو مع تكراره اليومي عجيبة تدعوة الى التأمل والتفكير ، والشمس تجري لمستقر لها " ..

وحين نتصور أن حجم هذه الشمس يبلغ نحو مليون ضعف لحجم أرضنا هذه ، وأن هذه الكتلة الهائلة ، تتحرك وتجري في الفضاء ، لا يسندها شيء ، ندرك طرفا من صفة القدرة التي تصرف هذا الوجود ، عن قوة وعن علم ... ذلك تقدير العـــزيـز العليم الى ان يقول ... وأخيرا يقرر القرآن دقة النظام الكوني الذي يحكم هذه الأجرام الهائلة ويرتب الظواهر الناشئة عن نظامها الموحد الدقيق " لا الشمس ينبغي لهـا ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون "

ولكل نجم أو كوكب فلك أو مدار ، لا يتجاوزه في جريانه ، أو دورانه ، والمسافات بين النجوم والكواكب مسافات هائلة ، وقد قدر خالق هذا الكون الهائل أن تقـــوم هذه المسافات الهائلة بين مدارات النجوم والكواكب ووضع (تصميم) ـ تنظيم الكون على هذا النحو ليحفظه بمعرفتـــه من التصادم والتصدع ، ـ حتـــى يأتي الأجل المعلوم ـ فالشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل يسبق النهار ولا يزحمـه في طريقه لأن الدورة التي تجيء بالليل والنهار لا تختل ابدا فلا يسبق أحدهما الآخر في الجريان ـ " وكل في فلك يسبحون " (١)

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ج ٧ ص٢٥ـ٢٦

ودورة الشمس والقمر والكواكب ، ليست مضبوطة بالساعة ، أو الدقيقة ، وانما هى مضبوطة بسرعة الضوء أو الشعاع ، الذى قدرت سرعته بقطع ، " (١٦٨ ألف ميل فى الثانية تقريبا (١)) يؤيد ذلك ما نقله ابن القيم وأقره ، من اتفاق أرباب الهيئة وعلمائها ، من أن الشمس بقدر الأرض مائة (٢) ونيفا وستين مرة ، والكواكب التى نراها كثير منها أصغرها بقدر الأرض قال : وبهذا يعرف ارتفاعها ، وبعدها ،

وانت ترى الكوكب كأنه لا يسير ، وهو من أول جزء من طلوعه الى تمام طلوعه يكون فلكة قد طلع بقدر مسافة الأرض مائة مرة مثلا ، وهكذا يسير على الدوام ، والعبد غافل عنه وعن آياته (٣) .

---

(١) الشيخ نديم الجسر ، قصة الايمان ص ٣٠٤ ومحمد قطب منهج التربية الاسلامية ص ٩٤ .

(٢) قلت هذا التقدير حسب وسائلهم التى توصلوا بها الى هذا التقدير والا فالعلماء اليوم يقدرون الحجم أكبر بكثير من ذلك ، كما ذكر السيد قطب فى النص الذى نقلناه عنه .

(٣) ابن القيم مفتاح دار السعادة جـ ١ ص ١٩٨ .

ز/جاها

" مسلك المتكلمين ، والفلاسفة في اثبات وجود الله تعالى "

بعد أن عرضنا مسلك القرآن الكريم في اثبات وجود الله تعالى ، وهو الأصل في هذا البحث ، ذلك أن معرفة الله تعالى ، المعرفة الحقة واثبات وحدانيته هما المطلب الأول ، رأينا أن نذكر فكرة موجزة عن المسالك الأخرى في اثبات وجود الله تعالى ، حتى يطلع القارئ على الفرق بين المسلكين ، وسأتبع في ذلك مسلك الايجاز وسيكون كلامي هنا مختصرا لا اطناب فيه ، اذ المقصود هو التمايز بين منهج القرآن الكريم وغيره من المناهج ، لقول القائل : فبضدها تتميز الأشياء ، فيدرك الفرق بينهما ، ويتضح مسلك القرآن اتضاحا كاملا ، وممتاز امتيازا تاما ، لأنه قد قيل أيضا : ألم تر أن السيف ينقص قدره اذا قيل ان السيف أمضى من العصا .

أولا : مسلك المتكلمين : يذهب جمهور المتكلمين (١) الى اثبات وجود الله تعالى ، عن طريق حدوث العالم ، ذلك أن الحدوث عندهم هو العلة المحوجة الى المؤثر ، فاذا ثبت أن العالم حادث فلابد له من محدث ، يبرزه من حيز العدم الى حيز الوجود ، وهذه قضية بدهية عندهم ، فمن رأى بيتا مبنيا منسقا علم أن له بانيا ضرورة ، الا أن بعض مشايخ المعتزلة يرون أن هذه القضية استدلالية ، وليست بدهية (٢) والواقع خلاف ماقالوا .

ولا شك أن القرآن الكريم ، قد سلك في اثبات وجود الله تعالى ، مسلك حدوث العالم أيضا بالاضافة الى المسالك الأخرى التي أرشد اليها ، ولكن الفرق بين المسلكين ، مسلك المتكلمين ، ومسلك القرآن هو في الطريق الى معرفة كيفية اثبات هذا الحدوث . فبينما نجد القرآن الكريم يسلك بالمخاطبين سبيل الحس والمشاهدة ، لادراك حدوث العالم ، عن طريق حدوث أعيان الأشياء وتغيرها ، كحدوث السحاب المسخر بين السماء والأرض ، وكانزال الماء من السماء ، واحياء الأرض بالنبات ، وبث الله فيها من كل دابة ، وكخلق السماء والأرض ، والابل ، والانسان نفسه ، كما في هذه الآيات .

---

(١) وانما قلت جمهور المتكلمين ، لأن منهم من يستدل على وجود الله بامكان العالم كالفلاسفة .

(٢) الايجي ، شرح المواقف جـ ٨ ص ٣ .

يقول تعالى : (ان فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها كن كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم (١) يعقلون) .

فقد جعل الله تعالى هذه الأعيان الحادثة ، التى يدركها الانسان ادراكا مباشرا آيات ودلائل على وجود خالق ومحدث لها ، حيث يقول جل شأنه : (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) كما أنها أشارت الى حدوث الأعراض أيضا ، فالرياح أعيان ، وتصريفها وحركتها أعراض (٢) لها ، وكلاهما يدرك بالحس .

وقوله تعالى : (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) . (٣)

وقوله : (فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق) . (٤) .

وقوله === : (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) . (٥) .

فهذه المذكورات فى هذه الآيات أعيان حدثت بعد أن لم تكن ، فدل وجودها بعد عدمها على أن لها موجدا ، اذ لو كانت واجبة الوجود بنفسها لامتنع عليها العدم ، هكذا يثبت القرآن الكريم حدوث العالم ، ويبين تغيره المستمر الذى لايختص بمعرفته شخص دون آخر ، الى غير ذلك من الآيات التى تخاطب الناس بما يشاهدونه ويلمسونه فى حياتهم اليومية ، بل وفى أنفسهم .

ولهذا يقول أبو الحسن الأشعرى : (ان الانسان اذا فكر فى خلقه من أى شيء ابتدأ ، وكيف دار فى أطوار الخلقة طورا بعد طور ، حتى وصل الى كمال الخلقة ، وعرف يقينا أنه بذاته لم يكن ليدبر خلقته ، وينقله من درجة الى درجة ، ويرقيه من نقص الى كمال ، علم بالضرورة ، أن له صانعا قادرا عالما مريدا ، اذ لا يتصور حدوث هذه الأفعال المحكمة من طبع ، لظهور آثار الاختيار فى الفطرة ، وتبين آثار الاحكام والاتقان فى الخلقة ، فله تعالى صفات دلت أفعاله عليها لايمكن جحدها (٦) .

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٤ (٣) سورة الغاشية آية ١٧

(٢) ابن تيمية ، النبوات ص ٥٠ (٤) سورة الطارق آية ٥ ، ٦

(٥) سورة الطور آية ٣٥ (٦) الشهرستانى : الملل والنحل جـ١ ص ٩٤

طبعة دار الاتحاد العربى للطباعة سنة ١٣٨٧هـ — ١٩٦٨م الناشر مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع — القاهرة .

ويؤكد ابن تيمية أن أحسن استدلال وأوضحه على وجود الله تعالى ، هـو الاستدلال بخلق الانسان نفسه ، كما كرره القرآن ، اذ هو الدليل وهو المستدل (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) . (١) . ثم بما يحدثه الله فى هذا العالم من آثار (٢) .

بينما نجد القرآن الكريم يسلك هذا المسلك ، اذا بالمتكلمين يسلكون لاثبات حدوث العالم طريقا صعب المنال حتى على المتخصصين ، فضلا على الجمهور ، وذلك لاصطلاحاتهم التى بنوا عليها حدوث العالم ، فهم يقولون مثلا : العالم جواهر وأعراض ، وقد يستدل على اثبات الصانع بكل واحد منهما ، اما بحدوثه أو بامكانه ، والأعراض بعضها حادث بالمشاهدة ، كالضوء بعد الظلمة ، والوجود بعد العدم ، والحركة بعد السكون ، وبعضها بالدليل ، وهذه الأعراض تقوم بالجواهر ، فدل حدوثها على حدوث الجواهر ؟

فهذه المقدمات يصعب فهمها على الانسان .

فما هو الجوهر ؟ وما هو العرض ؟ مثلا . لقد اختلف المفكرون فى تحديد كل منهما اختلافا بينا .

فهل يمكن أن يدرك كل واحد منهما بالحس ادراكا مباشرا ، كما يدرك الانسان حدوث أعيان السحاب والماء ؟ وأعراض تصريف الرياح ؟؟

أو أنه يحتاج الى الاستدلال على وجود الجواهر ، وعلى تعلق الأعراض بها ، اذ أنها لاتنفك عنها ، فى نظرهم ، ثم يقيم الدليل على حدوث الأعراض ، ثم على حدوث الجواهر ، لقيام الأعراض بها ، ويثبت كل ذلك أولا ، فاذا ثبت له ذلك استدل على أن لها محدثا ثانيا .

الواقع أنهم يذكرون هذه المقدمات ، ليستدلوا بها على اثبات حدوث الجواهر ، والجوهر ، والمقصود به الذات المتحيزة ، مبني على نظرية الجواهر الفردة ، وهي التى تقول : ان العالم مكون من ذرات ، أى من أجزاء لاتتجزأ ، ثم من اجتماع تلك الذرات تتكون الأجسام ، فالذى يحدث فى الأجسام هو تجمعها ، والتجمع عرض ،

(٣)

---

(١) سورة الذاريات آية ٢١

(٢) ابن تيمية الفتاوى جـ١٦ ص ٢٦٢
الطبعة الاولى سنة ١٣٨٢هـ مطابع الرياض

(٣) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ابن الوزير
ص ٧٩ ، ٨٠

أما حدوث الجواهر فيعلم بالاستدلال بحدوث تلك الأعراض ، لا بمشاهدة حدوث الأعيان ذاتها ، وذلك لأن الجواهر التي تكونت منها هذه الأجسام قبلت الاجتماع والافتراق ، وما كانت صفته كذلك فهو حادث ، بناء على قولهم : بما لا يخلو من الحوادث فهو حادث .

ولكن هذه النتيجة غير مسلمة ، بل يعترض عليها من يثبت لله تعالى صفات الأفعال الاختيارية الواردة في النصوص الشرعية من الكتاب والسنة فهي قضية مطعون فيها .

فكأن المستدل على وجود الله تعالى بحدوث العالم عن هذا الطريق يحتاج الى ما يأتي :-

أولا : الى اثبات الجواهر الفردة ،

ثانيا : الى اثبات حدوثها ،

ثالثا : ثم الاستدلال بعد ذلك على أن لها محدثا .

وهكذا نرى أن طريقة المتكلمين في اثبات وجود الله تعالى ، شاقة ، وصعبة المنال حتى على المتخصصين فضلا عن الجمهور ، مع الاعتراضات الموجهة اليها ، والواردة عليها ، ثم بطلان نظرية الجوهر الفرد علميا الآن ، فالجوهر الفرد عندهم هو الجزء الذي لا يتجزأ ، وقد أثبت العلم الحديث تجزءه ، فدل ذلك على فساد النظرية ، ثم ان هذه النظرية مأخوذة عن الماديين الطبيعيين ، من فلاسفة اليونان ذلك أن الواضع للنظرية (الجوهر الفرد) هو (ديمقريطس (١) ٤٧٠ ق.م) الفيلسوف الذي قرر أن هذا العالم يتركب من جزيئات غاية في الصغر ، وأنها لا نهاية لها ، وهي (الجواهر الفردة) ، ورأى أن هذه الجواهر تتجمع ، وتتفرق من تلقاء نفسها ، وبواسطة حركة ذاتية فيها ، فيتكون من اجتماعها الأجسام ومن تفرقها عدم الأجسام ، وهذه الحركة لم تستمدها الجواهر من أية قوة أخرى أو أصل آخر ، وانما من طبيعتها) . (٢) .

---

(١) فيلسوف يوناني ، وجد في القرن الخامس الميلادي ، الدكتور محمد السيد نجم والدكتور عوض الله جاد حجازي ، في الفلسفة الاسلامية وصلاتها بالفلسفة اليونانية ص ٢١ الطبعة الثانية سنة ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩م .

(٢) ا . س راپوپورت ، مبادئ الفلسفة ، ترجمة احمد أمين ص ٢٥٢ ، الناشر ، دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٩٦٩م .

وقد أثبت العلم بطلان هذه النظرية ، كما أثبت الشرع أن كل حركة لابد لها من محـــرك .

ثانيا : مسلك الفلاســـفة :

أما الفلاسفة الالهيون فلم يسلكوا فى الاستدلال على وجـــود الله تعالى فسلك المتكلمين ، وهو الاســتدلال بالحادث على المحدث ، أو بالصنعة علـــى الصانـــع ، وانما ســـلكوا مسلكا آخر ، هو ما يسمى فى عرف العلماء بدليـــل الامكان ، كي يثبتوا به الواجب .

فقد قالوا : ان الموجود لايخلو من أن يكون واجبا أو ممكنا ، والواجب ماكـــان وجوده من ذاته ، والممكن ماكان وجوده من غيره ، أى أن الممكن مالايكون وجوده أولى من عدمـــه بحســـب ذاته ، وحينئذ فلابد له من مؤثر يرجح جانـــب الوجود على جانب العدم ، هذا المؤثر اما أن يكون واجب الوجود بذاتـــه ، أو ممكن الوجود ، فان كان واجب الوجود بذاته ثبت وجود الواجب وهـــو المطلـــوب .

وان كان ممكن الوجود احتاج الى علة ترجح وجوده على عدمه ، وتسلسل الممكنات الى غير نهاية ممتنـــع ، اذ لابد من الانتهاء الى علة غير محتاجة الى علـــة أخرى توجدها ، هذه العلة عندهم هي (واجب الوجود) أى الله تعالـــى .

وفى ذلك يقول ابن سينا فى كتابه : النجاة :

(لاشك أن هنا وجودا ، وكل وجود فاما واجب أو ممكن ، فان كـــان واجبا فقد صح وجود الواجب وهو المطلوب .

وان كان ممكنا فانا نوضح أن الممكن ينتهى وجوده الى واجب الوجود ... ثـــم ينتهى ابن سينا ســـلســـلة الممكنـــات الى علة واجبة الوجود ، اذ ليـــــس لكل ممكن علة ممكنة بلانهاية . (١) .

ويقول فى كتابه : الاشـــارات والتنبيهات ، مشيرا الى هذا المعنى :

(كل موجود اذا التفت اليه من حيث ذاته من غير التفات الى غيره فاما أن يكـــون بحيث يجب له الوجود فى نفسه ، أو لايكون ، فان وجب فهو الحق بذاتـــه

---

(١) ابن سينا ، النجاة ص ٢٣٥ الطبعة الثانية سنة ١٣٥٧هـ — ١٩٣٨ م .

ز/جاها

الواجب الوجود من ذاته ، وهو القيوم .

وان لم يجب لم يجز أن يقال : انه ممتنع بذاته بعد ما فرض موجودا ، أى فى قولنا كل موجود — بل ان قرن باعتبار ذاته شرط مثل شرط عدم علته صار ممتنعا ، أو مثل وجود علته صار واجبا . وان لم يقرن بها شرط ، لاحصول علة ولاعدمها بقى له فى ذاته الأمر الثالث وهو الامكان ؛ فيكون باعتبار ذاته الشيء الذى لايجب ولايمتنع ،

فكل موجود اما واجب الوجود بذاته ،

أو ممكن الوجود بحسب ذاته) . (١) .

وعلى ذلك فالممكن فى نظر الفلاسفة ليس وجوده من ذاته بل من غيره ، فان الممكن فى حد ذاته ليس وجوده بأولى من عدمه ، فاذا وجد فلابد أن يكون ذلك بمؤثر خارج عن ذاته ، وفى ذلك يقول ابن سينا :

(ماحقه فى نفسه الامكان فليس يصير موجودا من ذاته ، فانه ليس وجوده من ذاته أولى من عدمه ، من حيث هو ممكن ، فان صار أحدهما أولى فلحضور شيء أو غيبته) . (٢) .

ولكن قد يقال : هذا الواجب بذاته الذى أثبته ابن سينا ، والفارابى (٣) من قبله ، هل هو الله الخالق للعالم بقدرته ومشيئته واختياره ، كما قال تعالى : (وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) . (٤) .

وكما قال تعالى : (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) . (٥) .

---

(١) ابن سينا ، الاشارات والتنبيهات ص ٤٤٧ جـ ٣ ، القسمان الثالث والرابع تحقيق د . سليمان دنيا ، مطبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٧م .

(٢) ابن سينا ، الاشارات والتنبيهات ص ٤٤٨ جـ ٣ .

(٣) الدكتور محمد السيد نعيم ، والدكتور عوض الله حجازى فى الفلسفة الاسلامية ، وصلاتها بالفلسفة اليونانية ص ٢٢٠ ، الطبعة الثانية سنة ١٣٧٩هـ — ١٩٥٩م دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة .

(٤) سورة القصص آية ٦٨

(٥) سورة الزمر آية ٦٢ .

الواقع أن فلاسفة الاسلام لم يثبتوا للعالم خالقا ومدبرا أوجد العالم بمشيئته واختياره ، وانما أثبتوا واجب وجود بذاته ، هو - الله ، وجعلوه علة تامة ، صدر عنها معلولها من غير اختيار ولا مشيئة ، كصدور شعاع الشمس عنها .

أما خلق العالم وتدبيره ، فقد أحالوه على العقول والافلاك التى انفصلت عنه تعالى ، عند تعقله لذاته ، بدون اختياره ومشيئته ، وبواسطة تلك العقول كان الخلق والتدبير ، والايجاد والاعدام .

أما الله - واجب الوجود - عندهم - ، فلاصلة له بالعالم ، لا من ناحية الخلق ، فالخلق والتأثير انما هو للعقول والافلاك الناشئة عنه بطريق العلية ، ولا من ناحية العلم فهو لايعلم الجزئيات الكائنة فى العالم ، بل يعلم النظام العام للكون ، ذلك لأن الجزئيات ناقصة ، والله كامل ، وعلم الكامل بالناقص ينقصه فى نظرهم .

وبعد : فهذه نبذة عن بعض آراء الفلاسفة فى اثبات وجود الله سبحانه وتعالى ، وبعض صفاته .

والمتأمل فيها ، مع ماسبق عرضه من كتاب الله تعالى فى اثبات وجود الله سبحانه وتعالى ، يدرك أن - الاله - الذى أثبته الفلاسفة ، هو غير - الاله - الذى جاء وصفه فى كتاب الله تعالى - القرآن الكريم - من أنه الخالق ، القادر ، المدبر ، الحافظ لهذا العالم بمشيئته واختياره ، الذى لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، والقائل مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم :

(واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) . (١) .

وهو الذى علم عباده المؤمنين به أن يدعوه فى السراء والضراء .

أما اله الفلاسفة ، فلا يعلم عن العالم شيئا ، لانه لم يخلقه باختياره ، ولذلك فهو لايفكر فيه وانما تفكيره فى ذاته فلا يعقل سواها .

لأن واجب الوجود بذاته عندهم ، عقل ، وعاقل ، ومعقول . (٢)

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٦ .

(٢) ابن سينا - النجاة ص ٢٤٣

ز/جاها

" الفصل الرابـــع "

مسلك القرآن في اثبات النبـــوة

تمهيـد : اقتضت حكمة الله تعالى ، ورحمته بعباده ، أن يختار بمحض فضله وكرمـه من يصطفيهم من خلقه ، ممن ميزهم بخصائص لا يشـركهم فيها غيرهـم ، رسلا في كل أمة ، ليهدوا للناس طرق الخير وسبل السعادة ، فـي الدارين ؟ فيدعونهم الى عبادة الله وحده ، ويحذرونهم من عبادة غيره ، ويأمرونهم بمكارم الأخلاق ، ومحاسن العادات ، وينهونهم عن قبيحهـا : وقد بين الله ذلك في كتابه العزيز بقوله تعالى :

(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطـاغوت)(١) .

وبقوله : (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذيرا)(٢)

ولكن القرآن الكريم لم يذكر لنا أسماء جميع الأنبياء والمرسلين ، فالأنبيـاء والرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، ليسوا كل أنبياء الله ورسله ، وانما هم بعض هؤلاء الرسـل بدليل قوله تعالى : (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما)(٣) وقولـه تعالى : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم قصصنا عليك ومنهم من لـم نقصص عليـك) . (٤) .

ولقد ذكرنا في الفصل السـابق ، أن للعالم خالقا ومدبرا أوجده من العدم ، ثم حفظه ورعاه بعنايته التامة ، وأن الانسان نوع من ذلك العالم الـذي نال أكمل العناية وأتم الرعاية من خالقه جل شأنه ، فقد سخر له مافـي السموات ومافي الأرض جميعا ، واذا كان للانسان بحسب طبيعته وتركيبه جانبان ، جانب الجسم ، وجانب الروح ، وقد أشارت الآية الكريمة في قوله تعالى : (وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعا منـه) الى مايتناول حفظ الجسم وكيانه أولا ، وليس من المعقول أن يترك جانب الجسم ليطغى على جانب الروح ، بل لابد من تعاد لهما ، ليستقيم أمر الانسان وتسعد حياته ، فلابد اذا من ارشاد وتعليم يقيم هذا الجانب ،

---

(١) سورة النحل آية ٣٦

(٢) سورة فاطر آية ٢٣

(٣) سورة النساء آية ١٦٤ (٤) سورة غافر آية ٧٨ .

ويوصله الى المقصود منه ، ومايجب عليه فى هذه الحياة ، لاسيما فى الأمور التى لايستطيع الانسان الوصول اليها بنفسه . وكان من نعم الله على هذا الانسان أن منحه العقل وجعله قوة يدرك بها بعض حقائق العالم الحسى ، ويميز بها بين الضار والنافع ، الا أن الانسان لايستطيع عن طريقه ادراك حقائق العالم الغيبى ، وما وراء هذا العالم المحسوس ، لأنه من طبيعة مختلفة عن طبيعة العالم الحسى ـ ثم هو مع ذلك مسؤول عن أمور يحس بوجودها ، ويلزمه اعتقادها والايمان بها ، ولكن لاسبيل الى الوصول الى معرفة شىء عنها بنفسه وذلك مثل الايمان بالجنة والنار وما فيهما من ثواب وعذاب ، ومن هنا كانت الحاجة الى النبوة والرسالة ، كى يبين له الرسول عن طريق الوحي الالهى ، مايحتاج اليه من أمور يجهلها ويجب عليه اعتقادها ، ولايمكن الوصول اليها بعقله ، لقصور العقل الانسانى عن ادراكها ، فكان لابد له من معلم يعلمه ، ومرشد يدله ، وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام.

مهمة الرسل :

ان من أهم أهداف الرسل أن يحرروا البشرية من عبادة العباد وتأليه الأحجار ، والأشجار ، والكواكب ، وأن يوصلوها الى عبادة الله وتوحيده ، وبيان أسمائه وصفاته .

ثم يبينون لهم الحقائق الأخرى التى لايمكن للانسان أن يدركها بعقله ، كالبعث ، والحساب ، والجزاء على الأعمال فى اليوم الآخر ، حتى يؤمنوا ويصدقوا بها .

ثم بيان طرق الخير والشر ، ووضع قواعد الحق والعدل ليسود الأمن والاستقرار المجتمع الانسانى .

يقول الأستاذ محمد عبده فى (رسالة التوحيد ـ تحت عنوان ـ حاجة البشرية الى الرسالة) .

وللكلام فى بيان الحاجة الى الرسل مسلكان :

الأول : يبتدىء من الاعتقاد ببقاء النفس الانسانية بعد الموت وأن لها حياة أخرى بعد الحياة الدنيا تتمتع فيها بنعيم أو تشقى فيها بعذاب أليم ، وأن السعادة والشقاء فى تلك الحياة الباقية معقودان بأعمال المرء فى حياته الفانية ، سواء كانت تلك الأعمال ، قلبية ،

كالاعتقادات والمقاصد والارادات ، أو بدنية ، كأنواع العبـــادات والمعاملات ، ثم بين أنه ليس في مدارك العقول ، ولا طرق التفكير ، وأساليب النظر ، مايمكن الانسان من الاهتداء الى معرفة ماقدر لـــه في تلك الحياة ، التي يشعر بها ، وبأن لا بد وحة عن القدوم عليها ، لأنه لم يوهب من القوة ماينفذ الى تفصيل ما أعد له فيها .

فكان من حكمة الصانع الحكيم ، الذي أقام أمر الانسان على قاعـــدة الارشاد والتعليم ... ارسال الرسل لبيان ذلك .

الثاني : يؤخذ من طبيعة الانسان نفسه ، ويعنى به احتياج بعض الناس الـــى البعض الآخر ، وماينتج عن ذلك التعامل من خلاف ومنازعات ، والعقول لاتقف عند حد ، لذا كان لابد من اختيار أفراد من البشر يخصون للناس حدودا يقفون عندها ويشعرونهم بأن ذلك من أمر الله . (١) .

ثم فصل ذلك تحت عنوان وظيفة الرسل ، ونحن نذكر ذلك باختصـــار .

قال ـ : انهم " يرشدون العقل الى معرفة الله ، ومايجب أن يعـــرف من صفاته ، ويبينون الحد الذي يجب أن يقف عنده ، في طلب ذلـــك العرفان .

كما يبينون للناس ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم ، وتنازعته مصالحهم ولذاتهم ، فيفصلون في تلك المخاصات بأمر الله الصادع .

ثم يخصون لهم بأمر الله حدودا عامة يسهل عليهم أن يردوا اليها أعمالهم كاحترام الدماء الا بحق مع بيان الحق الذي تهدر له ، وحظر تناول شيء مما كسبه الغير الا بحق مع بيان الحق الذي يبيح تناوله ، واحترام الأعراض ... الخ .

ثم يعلمونهم من أنباء الغيب ، ما أذن الله لعباده في العلم بـــه ، مما لو صعب على العقل اكتناهه ، لم يشق عليه الاعتراف بوجوده (٢) كالملائكة والجن وأحوال الآخرة (٣) .

---

(١) الشيخ محمد عبده ـ رسالة التوحيد ص ٨٩ ـ ١٠٧ بتصرف ، الطبعة الحادية عشرة ، سنة ١٣٦٥هـ .

(٢) الشيخ محمد عبده ، رسالة التوحيد ، من ص ١١٨ ـ ١٢٣ بتصرف ، الطبعـــة الحادية عشرة سنة ١٣٦٥هـ .

(٣) من الحاشية لرسالة التوحيد ، للمعلق رشيد رضا ص ١٢١ .

وفى هذا الموضوع مباحث :

(١) المبحث الأول : فى تعريف النبى ، والفرق بينه وبين الرسول .

(٢) المبحث الثانى : فى صفات الأنبياء .

(٣) المبحث الثالث : فى العصمة .

(٤) المبحث الرابع : فى الوحى .

(٥) المبحث الخامس : فى دلائل صدق النبوة .

٢ ـ المبحث الأول : فى تعريف النبى والفرق بينه وبين الرسول .

أولا التعريف : النبى لغة : هو المنبىء أى المخبر واشتقاقه اما من النبأ بمعنى الخبر واما من النبوة أو النباوة بمعنى الشيء المرتفع ، ومنه قيل نبّا بفلان مكانه ، أى أنه ذو شرف على سائر الخلق ، والنبى موصوف بذلك لرفعة محله على سائر الناس فى عصره .

أما فى الشرع[٨] : فيطلق النبى على من اصطفاه الله تعالى واختاره ليبلغ أمره الى خلقه فيبشر من أطاعه بالجنة ، وينذر من عصاه عقاب الله وبطشه فى الدنيا والآخرة .

والرسول لغة : هو الذى يتابع أخبار من بعثه ، أخذا من قولهم جاءت الابل رسلا ، أى متتابعة . وسمي الرسول رسولا لانه ذو رسالة والرسول اسم من أرسلت وكذلك الرسالة . وأرسلت فلانا فى رسالة ، فهو مرسل ، ورسول . (١) .

أما مسماه العرفي : فهو من قال له الله تعالى ممن اصطفاه من عباده ، أرسلتك الى قوم كذا ، أوالى الناس جميعا ، أو بلغهم عنى ونحو ذلك من الالفاظ المفيدة لهذا المعنى . (٢) .

ثانيا : الفرق بين النبي والرسول :

هذا الموضوع مما اختلفت فيه وجهات نظر العلماء ، وذلك الاختلاف ناتج عن فهم كل منهم للنصوص الواردة فى هذا الباب : وقد تمخض عن هذا الخلاف رأيان :

الأول : رأى القائلين بالفرق بينهما ، وأنه ليس كل نبى رسولا ، وقد أيدوا وجهة نظرهم هذه بأدلة من الكتاب والسنة ؛ مع اختلاف بينهم فى تحديد معنى كل من النبى والرسول .

الثانى : رأى القائلين بعدم الفرق بينهما ، بل يرون أنه لايصح اثبات نبى ليس برسل ، ولهم أدلتهم التى يؤيدونها وجهة نظرهم ، من الكتاب العزيز أيضا . ونحن هنا سنعرض أدلة الفريقين ووجهة كل منهما ، ثم نعقب ذلك بمسلك القرآن لنرى موقفه من ذلك .

استدل القائلون بالفرق بين النبى والرسول من الكتاب بقوله تعالى :

(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى) . (٣) .

قالوا : فقد عطف النبى على الرسول ، والقاعدة ، أن العطف يقتضى المغايرة ، فدل على أن النبى غير الرسول ، يقول الكلبى فى تفسير الآية :

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ج ١ ص ١١٦٦ طبعة دار لسان العرب بيروت لبنان .

(٢) الايجى ، شرح المواقف ج ٨ ص ١١٨ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٥هـ ـ ١٩٠٧م . مطبعة السعادة بمصر .

(٣) سورة الحج آية ٥٢ .

ز/جاها

(النبى أعم من الرسول ، فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا . فقدم الرسول لمناسبته لقوله أرسلنا ، وأخر النبى لتحصيل العموم ، لأنه لو اقتصر على رسول لم يدخل فى ذلك من كان نبيا غير رسول) . (١) .

ويقول الالوسى فى تفسير الآية أيضا : (هذا دليل بين على تغاير الرسول والنبى . والرسول انسان أرسله الله الى الخلق لتبليغ رسالته وتبيين ماقصرت عنه عقولهم من مصالح الدارين ، وقد يشترط فيه الكتاب ، بخلاف النبى فانه أعم ، ويعضده ماروى أنه عليه السلام سئل عن الأنبياء فقال : (مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا) قيل فكم الرسل منهم ؟ قال : (ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا) . (٢) .

(٢) واستدلوا بأنهما جاءا وصفين لشخص واحد ، كما فى قوله تعالى فى وصف موسى عليه السلام :

(انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا) . (٣) وفى وصف اسماعيل عليه السلام : (انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) . (٤) فذكر الوصفين معا فى مكان واحد يدل على التغاير .

واستدلوا من السنة : بحديث أبى ذر الغفارى قال : قلت يارسول الله أى الأنبياء كان أول ؟ قال : آدم . قلت يارسول الله ونبى كان ؟ قال : نعم ، نبى مكلم . قلت يارسول الله كم المرسلون ؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر جما غفيرا ؟ وفى رواية أبى أمامة قال أبو ذر قلت يارسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا) . (٥) .

---

(١) الشيخ محمد بن احمد بن جزى الكلبى كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ج ٣ ص ٤٤ الطبعة الاولى سنة ١٣٥٥هـ .

(٢) الالوسى ، روح المعانى جـ ٦ ص ٤٨ ، ٤٩

(٣) سورة مريم آية ٥١ (٤) سورة مريم آية ٥٤ .

(٥) قال فى شرح المسايرة ص ٢٢٦ ومدار الحديث على على بن يزيد وهو ضعيف ، ورواه الطبرانى فى الأوسط والبزاز باسناد فيه المسعودى ، وهو ثقة لكنه اختلط . والحديث فى مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١١٢ رقم الحديث ٥٧٣٧ ، رواه أحمد ، قال المحقق لأحاديث المشكاة الشيخ محمد ناصر الدين البانى : ان الحديث صحيح .

فالحديث يدل على أن النبى غير الرسول، اذ لو كان معناهما واحدا لتساوى عدد الأنبياء والرسل .

ويقول أبو منصور عبد القاهر البغدادى فى كتابه أصول الدين :

(أجمع أصحاب التواريخ من المسلمين على أن عدد الأنبياء عليهم السلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا . كما وردت به الأخبار الصحيحة، أولهم أبونا آدم عليه السلام وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وأجمعوا على أن الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر (١) .

هذه أدلة القائلين بالفرق بين النبى والرسول .

القول الثانى : وهو رأى القائلين بعدم الفرق بين النبى والرسول :

هذا القول يعزى للمعتزلة ، فقد أورد الفخر الرازى قولهم وأدلتهم فى تفسير قوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى) ، وذلك بعد ذكره لرأى القائلين بالفرق بينهما ، قال : (وقالت المعتزلة ، كل رسول نبى ، وكل نبى رسول ، ولا فرق بينهما ، واحتجوا على فساد القول الأول ـ ويعنى به قول القائلين بالفرق بينهما ـ بوجوه :

أحدها : هذه الآية فانها دالة على أن النبى قد يكون مرسلا ، وكذلك قوله تعالى : (وما أرسلنا فى قرية من نبى) .

ثانيها : أن الله تعالى خاطب محمدا مرة بالنبى ، ومرة بالرسول ، فدل على أنه لا منافاة بين الأمرين .

ثالثها : أنه تعالى نص على أنه خاتم النبيين .

رابعها : أن اشتقاق لفظ النبى ، اما من النبأ وهو الخبر ، أو من قولهم نبا اذا ارتفع، والمعنيان لا يحصلان الا بقبول الرسالة .

ثم يذهب الى ترجيح قول القائلين بالفرق بينهما ، حيث قال :

(أما القول الثانى) فاعلم أن شيئا من تلك الوجوه لا يبطله ، بل هذه الآية دالة عليه ، لأنه عطف النبى على الرسول ، وذلك يوجب المغايرة وهو من باب عطف العام على الخاص . قال وقال الله فى موضع آخر : (وكم أرسلنا من نبى فى الأولين) وذلك على أنه كان نبيا فجعله الله مرسلا ،

---

(١) عبد القاهر البغدادى ، كتاب أصول الدين ص ١٧٠ الطبعة الاولى سنة ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨ م وطبعة الدولة . استانبول .

(٢)

وهو يدل على قولنا ، ثم أورد حديث أبى ذر السابق الذى أشار الى أن عدد الأنبياء أكثر من عدد الرسل .

ويقول القاضى عبد الجبار فى كتابه المغنى : فصل ـ فى الكلام على من جوز ظهورها ـ يعنى المعجزة ـ على يد نبى غير مرسل ، قال : (أعلم أن الذى قدمناه قد دل على أنها (لا)(١) تظهر الا على يد مدعى الرسالة ، لكى يصرف بها صدقه بما تحمله من مصالح الأمة وبيان أن الغرض فى ذلك مايعود على المبعوث اليه ، فاذا صح ذلك ، فان كان فى العباد من يكون نبيا ، ولايكون رسولا ، فظهور المعجز عليه ، فى أنه لايحسن ، ويكون مفسدة فى أعلام الرسل على ماقدمناه ، بمنزلة ظهوره على الصالحين ، قال : ثم يقال لهم ما الذى تريدون بقولكم انه نبى وليس برسول لأنه لابد من فائدة معقولة تعتقدونها فيه . فان قالوا : نعنى بذلك أنه تعالى يظهر المعجزات فتحصل له رتبة النبوة وان لم يحمله الرسالة . قيل لسنا نتازع الا فى ذلك ، فمن أين أن هذا جائز حتى يصح ملزعمه من اثبات نبى ليس برسل (٢) .

غير ان قول عبد الجبار هذا ، الذى يقول فيه : انه لايصح اثبات نبى ليس برسل ، والذى أخذنا منه نسبة القول الى المعتزلة بعدم الفرق بين النبى والرسول ، وماجزم به الفخر الرازى فى تفسير قوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى) من أن القول بعدم الفرق بينهما هو قول المعتزلة ، يناقضه ماذكره عبد الجبار نفسه فى كتابه المغنى ص ١٥ ، ١٦ ج ١٥(٣) .

بعد أن ذكر أن لفظة " نبى " فى اللغة تفيد الرفعة ، وأنه يجب أن تنقل عن عمومها فى اللغة الى مايختص بالأنبياء وتكون بمنزلة سائر الأسماء الشرعية لدلالة السمع على أن هذه المزية لاتحصل الا للرسول ، فيجب أن يدل على أن الاسم المفيد لها لايحصل الا له ... فاذا صح ذلك ثبت أن هذا الاسم بالتعارف ، يختص بالأنبياء عليهم السلام . ولا فرق بين أن يكونوا من البشر أو من الملائكة فى هذا الوجه / فلذلك يستحق جبريل ، صلوات الله عليه وغيره هذا الاسم كما يستحقه سائر الأنبياء ، وان كان جميع الملائكة عليهم السلام من الرسل .. الى أن قال :

---

(١) ساقط حرف " لا " ولايستقيم الكلام الا بها .

(٢) القاضى عبد الجبار بن احمد : المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ، ج ١٥ ص ٢٤٤ الناشر ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة ، للتأليف والترجمة والطباعة والنشر . سنة ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥م القاهرة

(٣) القاضى عبد الجبار ، المغنى ج ٥ ص ١٥ و ١٦

ز /جاها

ولهذه الجملة قال شيوخنا ـ رحمهم الله ـ ، في النبوة انها جزاء على عمل ، ففضلوا بينها وبين الرسالة من حيث كان المستفاد بها الرفعة ، التي هي جزاء عمله .

ولذلك قالوا : انها مستحقة ، دون الرسالة ، وهو قدر التعظيم والثواب ، وليس كذلك الرسالة " .

فقوله : وقال شيوخنا في النبوة انها جزاء على عمل ، ففصلوا بينها وبين الرسالة ، يدل على أن شيوخ المعتزلة ، أو على الاقل بعضهم ، يقول بالفرق بين النبي والرسول ، لتفريقهم بين النبوة والرسالة .

وعليه فلاتصح نسبة الجزم بالتعميم الى المعتزلة جميعا ، كما جزم الفخر الرازي بذلك ، بل لعل القائل بعدم الفرق بين النبي والرسول بعض فرق المعتزلة لا كلهم .

موقف القرآن :

الناظر في كتاب الله تعالى ، يجد أن القرآن الكريم قد خاطب الانبياء ، بما خاطب به المرسلين ، فخاطبهم جميعا بأنهم ، ممن أوحى اليهم ، وأن منهم من تعرض للاضطهاد والقتل ، وكلهم أرسل ، كما أنه يذكرهم في التفضيل تارة بوصف الرسالة ، وأخرى بوصف النبوة ، كل هذه المعاني جميعها دل عليها القرآن الكريم .

فمن ناحية الوحي : يقول تعالى : (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا) . (١) .

ويقول تعالى :

(وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون) . (٢) .

---

(١) سورة النساء آية ١٦٣

(٢) سورة يوسف آية ١٠٩

ومن ناحية الاضطهاد والقتـــل :

يقول تعالى : (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) . (١) .

ويقول تعالى : (لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) . (٢) .

ومن ناحية التفضيـــل :

يقول تعالى : (وربك أعلم بمن فى السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا) . (٣)

ويقول تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) . (٤) .

ومن ناحية الارســـال :

يقول تعالى : (وما أرسلنا فى قرية من نبى الا أخذنا أهلها بالبأســـاء والضراء لعلهم يضرعـــون) . (٥) .

ويقول تعالى : (وكم أرسلنا من نبى فى الأولـــين . . وما يأتيهـــم من نبى الا كانوا به يستهزءون .) . (٦) .

ويقول تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من قرية من رسول ولا نـــبى) . (٧) .

---

(١) سورة البقرة آية ٩١

(٢) سورة المائدة آية ٧٠

(٣) سورة الاسراء آية ٥٥

(٤) سورة البقرة آية ٢٥٣

(٥) سورة الاعراف آية ٩٤

(٦) سورة الزخرف آية ٦ ، ٧

(٧) سورة الحج آية ٥٢

ز/جاها

وهكذا نرى من خلال عرض هذه الآيات ، أن القرآن الكريم لايفرق في خطابه بين النبي والرسـول ، لافي الوحي اليهم ، ولافيما تعرض له كل منهم من اضطهاد وتكذيب ، كما أنه يذكرهم في التفضيل تارة بوصف النبوة ، وأخرى بوصف الرسـالة ، وينص على أن كلامنهم قد أرسـل .

فظاهر القرآن لايساعد القائلين بالفرق بين النبي والرسول ، بل دلالته على عدم الفرق أظهـر .

ويبقى على الباحث أن يفتش عن دليل آخر ، وبعد البحث عثرت على حديث أبي ذر السابق الذي نص على أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، وأن الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ، والذي يمكن الاعتماد عليه في الفرق بين معنى النبي والرسول ، فهو نص صريح في أن الأنبياء أكثر عددا من الرسل ، اذ لو كان كل نبي رسولا ، لما كان هناك وجه لذكر عدد الرسـل .

أما الكلام في سند الحديث وتضعيف بعض رواته ، فقد نص الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، في تحقيقه لمشكاة المصابيح جـ ٣ ص ١١٢ ، رقم الحديث ٥٧٣٧ على أن الحديث صحيـح . (١) .

وبناء على ذلك يترجح القول بالفرق بين النبي والرسـول .

ولكن من هو النبي ؟ ومن هو الرسـول ؟ أو بعبارة أخرى ، ماهو الضابط الذي يمكن أن يفرق به بين النبي والرسـول ؟

والجواب أن العلماء قد ذكروا في الفرق بينهما أمورا .

الأول : أن النبي من أتاه الوحي من الله عز وجل ، ونزل عليه الملك .
والرسول من يأتي بشرع على الابتداء ، أو ينسخ بعض شريعة من قبله . (٢) .

الثاني : أن النبي من أوحى الله اليه بشرع ، لكنه لم ينزل عليه كتـاب .
والرسول من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليـه . (٣) .

---

(١) الشيخ ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، مشكاة المصابيح ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني منشورات المكتب الاسلامي للطباعة والنشر الطبعة الاولى ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م

(٢) عبد القاهر البغدادي : كتاب أصول الدين ص ١٧٠ الطبعة الاولـى سنة ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م استنبول ـ مطبعة الدولة .

(٣) الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، الطبعـة الثانية ، الناشـر دار الكتـب العلمية طهران التاريخ (بدون) .

ز/جاها

الثالث : الفرق بينهما بالأمر بالتبليغ وعدمه ، اذ النبى انسان أوحي اليه بشرع، فان أمر بتبليغه والدعوة اليه فهو نبى رسول . والا فهو نبى غير رسول ، وهذا هو المشهور . (١) .

وقد رد على هذه الأوجه جميعها :

أما الوجه الأول : فانه يلزم عليه أن لايكون يعقوب ، واسحاق ، وسليمان ، وكثير من أنبياء بنى اسرائيل رسلا ، لأنهم لم يأتوا بشريعة جديدة ، وانما كانت شريعتهم التوراة ، مع أن القرآن قد سماهم رسلا .

وأما الوجه الثاني : فيلزم عليه أن لايكون يونس ، ولوط ، واسماعيل ، وشعيب رسلا ، لانه لم ينزل عليهم كتاب .

أما الوجه الثالث : وهو الفرق بينهما بالأمر بالتبليغ وعدمه فوجه الاعتراض عليه هو : أن العقل لايسيغ أن يوحى الله الى انسان بشرع ولا يأمره بتبليغه ، لأن الشرع علم وأمانة ، وأداء العلم واجب ، وكتمانه نقص ورذيلة .

والذى نختاره هو : أن كلا من النبى والرسول أوحي اليه وأمر بالتبليغ غير أن الرسول أوحى اليه بشرع جديد . والنبى أمر بتبليغ شريعة سابقة .

(١) دليل الوحي : قوله تعالى : (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا)(٢) .

(٢) وأما الأمر بالتبليغ فيدل عليه قتل بنى اسرائيل لبعض أنبيائهم ، كما حكى الله ذلك عنهم فى أكثر من آية ، يقول تعالى : (ضربت عليهم الذلة أين ماثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) . (٣) .

---

(١) الشيخ كمال الدين المعروف بابن أبى شريف التدسى ، شرح المسايره ص ٢٣١ ، مطبعة السعادة بمصر التاريخ (بدون) .

(٢) سورة النساء آية ١٦٣ (٣) سورة آل عمران آية ١١٢

ز/جاها

فلو لم تكن هناك دعوة من أنبيائهم تتضمن أمرا ونهيا لهم ، بما لاتهواه أنفسهم لما حدث منهم القتل لأنبيائهـــم .

ولايعترض على هذا التفريق بما اعترض به على الوجه الأول ، وهو أن عـددا من أنبياء بنى اسرائيل ، لم يأتوا بشريعة جديدة ، وانما كانت شريعتهم التوراة ومع ذلك فقد سماهم القرآن الكريم رسلا . لانا نقول : ان هؤلاء الذين سماهم القرآن رسـلا من الممكن أن يكون الله قد أوحى اليهم ببعض الأمور التى لم تكن موجودة فى التـوراة ، ولم نعلم بها ، وعدم العلم لايدل على عدم الوقوع ، وقد يستأنس لتأييد هذا الـرأى بقصة طالوت ، وقصة سليمان مع بلقيس المذكورتين فى القرآن الكريم :

وقصة طالـــوت : يقول الله تعالى فيها : (ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيـــل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم أبعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل اللـه قـال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا ألاّ نقاتل فى سبيـل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين . وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالـــوت ملكا .) . (١) الآيات .

فالذى نأخذه من هذه القصة : أن الله سبحانه وتعالى ، أوحى الى هـذا النبى بأمرين :

أحدهما : أنه أوحى اليه بأن يأمر بنى اسرائيل بالجهاد وأنه كتبه عليهم على حسب طلبهـــم .

ثانيهما : تعيين طالوت ملكا عليهم . كما يدل على ذلك صريح الآيـــة (فلما كتب عليهم القتال .

(ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا .

ففى هذه الآيات اثبات الايحاء لهذا النبى ، وقد تضمن ذلـك الوحي أمرا جديدا .

---

(١) سورة البقرة الآيات من ٢٤٦ ـ ٢٥١ .

أما قصة سليمان :

فمن المقرر أن الأنبياء السابقين كانوا يبعثون الى أقوامهم خاصة ، يدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى المغانم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة) . (١) ، ونجد فى القرآن الكريم ، أن سليمان عليه السلام وهو من أنبياء بنى اسرائيل المأمورين باتباع شريعة موسى عليه السلام ، قد دعا بلقيس وقومها الى الدخول فى دين الله تعالى ، وترك عبادة ماسواه ، كما حكى الله ذلك عنه فى قوله تعالى : (ألا تعلوا على وأتونى مسلمين) . (٢) .

نستنتج من ذلك ، أن ذلك الأمر حدث من سليمان عليه السلام بأمر من الله أوحى اليه ، اذ لايتصور أن يكون ذلك منه دون اذن من الله تعالى .

والله أعلم .

---

(١) .. محمد بن اسماعيل البخارى / صحيح البخارى باب قول النبى صلى الله عليه وسلم جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ا ج ١ ص ٥٣٣ فتح البارى رقم الحديث ٤٣٨ . ومسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة ج ١ ص ٣٧١ رقم الحديث ٥٣١ . والامام احمد ، فى المسند ج ٢ ص ٢٢٢ ، الطبعة الاولى سنة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م دار صادر للطباعة والنشر .

(٢) سورة النمل آية ٣١ .

المبحث الثاني ، صفات الانبياء :

سنعرض في هذا المبحث مجمل صفات الانبياء عليهم السلام التي وصفهم العلماء بها ، كالصدق ، والأمانة وغيرها ونبين ما ينبغي أن ينزهوا عنه من الصفات الذميمة كالكذب والخيانة وغيرها .
ثم نتبع ذلك بمسلك القرآن الكريم في هذا الموضوع .

أولا : ما هي الصفات التي وصف بها العلماء الأنبياء ؟

لقد وصف العلماء الانبياء عليهم السلام بأنهم افراد من البشر قد تميزوا على غيرهم بعلو الفطرة ، وصحة العقل ، وسداد الرأي ، وسلامة التفكير ، فهم أكمل أهل زمانهم عقلا ، وأقواهم فطنة ، وأبعدهم نظرا ، لا تلامس قلوبهم القسوة ، ولا طبائعهم الغلظة ؟ خلقهم حفظ الأمانة وأداؤها ، والصدق في القول ، وقوة البيان ، والبر والاحسان الى الخلق جميعا ، هذه بعض صفاتهم الخلقية التي وصفهم العلماء بها .

أما صفاتهم الخلقية ، فقد برأهم الله تعالى من العيوب ، فسلم أبدانهم مما تنبو عنه الأبصار ، وتنفر منه النفوس ، وتشمئز منه الجماعات البشرية .

يقول الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد ، بعد وصفه للأنبياء بما ينبغي ان يكونوا عليه خلقا وخلقا ما يأتي : " لأنهم ، لو انحطت فطرهم عن فطر أهل زمانهم ، وتضاءلت أرواحهم لسلطان نفوس أخر ، أو مس عقولهم شيء من الضعف ، لما كانوا أهلا لهذا الاختصاص الالهي الذي يفوق كل اختصاص : اختصاصهم بوحيه والكشف لهم عن اسرار علمه ، ولو لم تسلم أبدانهم عن المنفرات ، لكان انزعاج النفس لمرآهم حجة للمنكر في انكار دعواهم ، كما عصمهم الله من كل ما يشوه السيرة البشرية لأنهم لو كذبوا ، أو خانوا ، أو قبحت سيرتهم لضعفت الثقة بهم ،

أما ماعدا ذلك فهم بشر يعتريهم ما يعترى أفراده ، يأكلون ، ويشربون ، وينامون ويمرضـــون ... الخ (١)

ثانيـــا ـ مسلـك القرآن الكريم فى وصف الأنبيـــاء :

والمتأمل فى كتاب الله يجد ان هذه الصفـات التى ذكرها العلماء فى وصفهم لأنبياء الله ورسله ، قد انتزعوها واخذوهـــا من القرآن الكريم ، والسيرة العطـــرة ، لكل اولئك الصفوة المختارة مـن خلقه ، فقد تحدثت آيات من كتاب الله ، عن وصفهم بالصدق ، والأمانة ، والوفاء بالوعـــد ، ولين الجانب ، والشفقة والرحمـــة بالأمـــــة ، وأخرى نزهتهم عـن الغل والخيانـــة .

فمن تلك الآيات ما يأتـــى :

أولا ـ فى اتصافهم بالصدق قوله تعالى " واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا " (٢) وقوله تعالـــى : " يوســـف أيها الصـديـــق ... " (٣)

---

(١) الشيخ محمد عبده ـ رسالة التوحيد ص ص ٨٣ـ٨٧ بتصرف ، الطبعة الحادية عشرة سنـه ١٣٦٥هـ

(٢) ســـورة مـــريم آية ٤١

(٣) سورة يوســف آية ٤٦

وفى اتصافهم - بالأمانة

قوله تعالى : " قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين " (١)

وقوله : " قالت احداهما ياأبت استئجره ان خير من استأجرت القوى الأمين" (٢)

وفى اتصافهم بالوفاء بالوعد .

قوله تعالى : " واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا " (٣)

وفى اتصافهم بلين الجانب .

قوله تعالى : " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين " (٤)

وفى اتصافهم بالشفقة والرحمة .

قوله تعالى : " لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم " (٥)

وقوله تعالى : فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا " (٦)

وفى تنزههم عن الغلول والخيانة .

قوله تعالى : " وما كان لنبى ان يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون " (٧)

---

(١) سورة الأعراف آية ٦٨
(٢) سورة القصص آية ٢٦
(٣) سورة مريم أية ٥٤
(٤) سورة آل عمران آية ١٥٩
(٥) سورة التوبة آية ١٢٨
(٦) سورة الكهف آية ٦
(٧) سورة آل عمران آية ١٦١ .

وكما وصفهم القرآن بتلك الصفات العالية التى لا يدانيهم فيها احد من أفراد البشر ، الدالة على حسن خلقهم ، فقد وصفهم بحسن خلقهم وبرأهم من العيوب البدنية المنفرة . وكل ما جاء فى صفاتهم الخلقية يدل على أنهم أحسن الناس خلقا كما كانوا أحسنهم خلقا .

ومن ذلك ما جاء فى تبرئة موسى عليه السلام حيث آذاه قومه واتهموه ببعض العيوب البدنية فى قوله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها " (١)

فقد روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لايرى من جلده شيء استحياء منه ، فاذاه من اذاه من بنى اسرائيل فقالوا : مايستتر هذا التستر الا من عيب بجلده : اما برص ، واما أدرة ، واما آفة ، وان الله اراد ان يبرئه مما قالوا لموسى ، فخلا يوما وحده ، فوضع ثيابه على الحجر ، ثم اغتسل ، فلما فرغ اقبل الى ثيابه ليأخذها ، وان الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسى عصاه عريانا أحسن ماخلق الله وأبرأه مما يقولون ، وقام الحجر ، فأخذ ثوبه فلبسه ، وطفق بالحجر ضربا بعصاه ، فوالله ان بالحجر لندبا من أثر ضربه ، ثلاثا ، أو أربعا ، أو خمسا ، فذلك قوله (٦٩ الأحزاب) : ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها (٢)

وقوله تعالى فى وصف يوسف عليه السلام حكاية عن النسوة اللاتى تكلمن فى امرأة العزيز لما راودته عن نفسه ـ : " فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن واعتدت لهن متكئا وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم (٣)

وقوله تعالى فى وصف عيسى عليه السلام : " اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين (٤)

---

(١) سورة الاحزاب آية ٦٩

(٢) صحيح البخارى / كتاب أحاديث الانبياء / باب ٢٨ / رقم الحديث ٣٤٠٤ من فتح البارى ص ٦ ، ٤٣٦ .

(٣) سورة يوسف آية ٣١ (٤) سورة آل عمران آية ٤٥

من كل ما تقدم يتضح لنا أن الانبياء عليهم السلام ، وهم الصفوة من البشرية قد اختصهم الله بتلك الصفات ، وميزهم بها على غيرهم ليكونوا اهلا لحمل عبء الرسالة وما أثقلها ، قال تعالى : " انا سنلقى عليك قولا ثقيلا " (١) ولذلك كان اعدادهم ، واختيارهم عن علم الله وحكمته ، قال تعالى : " واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون" (٢)

فاختيار الانبياء لتحمل عبء الرسالات الى اقوامهم لايقوم على مقاييس البشر واصطلاحهم وانما يرجع الى علم الله وحكمته ، واختياره ومشيئته ، ولهذا لما اعترض كفار قريش على اختيار محمد صلى الله عليه وسلم للرسالة ، وانزال القرآن عليه دون غيره من العرب لأنه في نظرهم ، وبناء على مقاييسهم واصطلاحاتهم المادية غير أهل لذلك المنصب ، لأنه فقير لا يملك من المال ما يجعله يستحق ذلك الشرف العظيم ويمتاز عليهم به ، ذلك ان الفضل والشرف على الآخرين — في عرفهم — لاينبغي أن يناله الا أهل المال والجاه ، فرد الله عليهم ذلك الاعتراض ، كما حكاه بقوله تعالى :

" وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " (٣)

يقول ابن كثير في تفسير الآية ، اى هلا كان انزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في اعينهم من القريتين ؟ يعنون مكة والطائف قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، وأرادوا بذلك الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي ، او غيرهما ، قال الله تبارك وتعالى ردا عليهم هذا الاعتراض (أهم يقسمون رحمة ربك) أي ليس الامر مردودا اليهم بل الى الله عز وجل ، والله اعلم حيث يجعل رسالاته فانه لا ينزلها الا على ازكى الخلق قلبا ونفسا وأشرفهم بيتا وأطهرهم أصلا ثم قال عز وجل مبينا انه قد فاوت بين خلقه فيما اعطاهم من الأموال والأرزاق ، والعقول والفهوم ، وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة ، " نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون" (٤)

---

(١) سورة المزمل آية ٥
(٢) سورة الانعام آية ١٢٤
(٣) سورة الزخرف آية ٣٢
(٤) ابن كثير ، التفسير ج ٤ ص ١٢٦ ، ١٢٧

وكون النبى يختص بميزات فى عقله وسلوكه ، وحسن خلقه ، كما وصفت خديجة رضى الله عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم حين اتاه ملك الوحى ثم جاءها يخبرها بما حدث له وقال لها : لقد خشيت على نفسى . فقالت له : كلا والله لايخزيك الله ابدا ، ثم عددت الصفات والميزات التى بنت عليها ذلك الحكم ، فقالت : انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل وتقرى الضيف ، وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق (١) فهذه الصفات الحميدة ، والميزات العظيمة التى جبل الله عليها محمدًا صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ، وجعلها من شيمته وسجيته .

لاتعنى ان النبوة مكتسبة كما هو مذهب الفلاسفة (٢) .

وانما هى تفضل من الله عز وجل ورحمة يختص بها من يشاء من عباده .

---

(١) محمد بن اسماعيل البخارى ، صحيح البخارى ، كتاب بدء الوحى الباب ٣ / ج ١ ص ٢ من فتح البارى ، المطبعة السلفية ومكتبها ـ القاهرة سنة ١٣٨٠ هـ

(٢) ينكر الفلاسفة ان يكون منصب النبوة ، محصورا فى أناس معينين يصطفيهم الله عز وجل لهذا المنصب ويرون ان كل احد يستطيع بالرياضة والمجاهدة والتخلق بالاخلاق الحميدة أن يبلغ درجة النبوة ، اذ النبى عندهم من توجد فيه خواص ثلاث يمتاز بها على غيره . الاولى : ان يكون له اطلاع على المغيبات الكائنة والماضية ، والآتية ، قالوا : ولا يستنكر هذا الاطلاع لان النفوس الانسانية مجردة فى ذاتها عن المادة غير حالة فيها ، بل هى لا مكانية ، ولها نسبة فى التجرد ، فاذا صفت النفس وتجردت عن رعونتها البشرية كان لها شدة اتصال بالنفوس الملكية التى انتقشت فيها صور الحوادث التى قد رأت تحدث فى عالم العناصر فتشاهد نفس النبى تلك الصور بواسطة ارتسامها فيها كمرآة يحاذى بها مرآة اخرى فيها نقوش فينعكس عنها الى الاولى ما يقابلها .

الثانية : أن تظهر منه افعال خارقة للعادة ، لكون هيولى عالم العناصر مطيعة له ، فتنقاد لتصرفاته ، انقياد بدنه لنفسه ، فى حركاته وسكناته على وجوه شتى بحسب ارادته ، ولا يستنكر ذلك الانقياد ، لان النفوس الانسانية ليست منطبعة=

= في الابدان ، وهي بتصوراتها مؤثرة في المواد البدنية ، واذا كانت ارادة النفس وتصوراتها مؤثرة في البدن مع عدم الانطباع فيه ، فلا يبعد ان تقوى نفس النبي بحيث تنقاد له الهيولى العنصرية فتؤثر فيها ارادته وتصوراته حتى تحدث باءرادته في الارض رياح وزلازل وحرق وغرق ... الخ

الثالثة : أن يرى الملائكة مصورة بصور محسوسة ويسمع كلامهم وحيا من الله اليه قالوا : ولا يستنكر أن يحصل له في يقضته مثل ما يحصل للنائم في نومه من مشاهدة اشخاص يكلمونه بكلام منظوم دال على معان مطابقة للواقع وذلك لتجرد نفسه عن الشواغل البدنية وسهولة انجذابه الى عالم القدس ، فاذا انجذبت اليه واتصلت به في يقضته شاهد المعقولات كمشاهدة المحسوسات فان القوة المتخيلة تكسوا المعقول المرتسم في النفس لباس المحسوس وتنقشه في الحس المشترك على نحو انتقاش المحسوسات فيه من خارج . هـ شرح المواقف جـ ٨ ص ٢١٨ ، ٢٢٠ فهم لا ينكرون النبوة ، ولكنهم فسروها بما يخالف الثابت في الكتاب والسنة واجماع الأمة لانهم ينكرون صدور البعثة عن الباري بالاختيار ويفسرون واجب الوجود بأنه غير فاعل باختياره كما ينكرون نزول الملك بالوحي من السماء لاستحالة خرق الافلاك عندهم وهكذا نراهم قد فتحوا الباب للمتنبئين على مصراعيه ، فلم تختتم عندهم النبوة بل كل شخص اراد الافساد يستطيع ان يدعي النبوة .

قال تعالى : " ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم ، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم " (١)

وقال تعالى : " هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٢)

ولكن هذا الاختصاص بهذا الفضل والاتصاف بهذه الصفات الحميدة ، التى كانت من أسباب اختيارهم للرسالة والنبوة لايخرجهم عن الطبيعة البشرية ولا يؤدى بهم الى مرتبة الالوهية ، أو الى البنوة . يقول تعالى :

" ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله " (٣)

وانما هم عبيد الله سبحانه وتعالى مخلوقون له ، بل العبودية الكاملة والخالصة هى من اخص صفاتهم ، وقد وصفهم الله بها فى أعلى المقامات وأشرفها .

فقال تعالى : " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (٤)

وقال تعالى : " تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا " (٥)

وقال تعالى : " واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولى الايد والأبصار " (٦)

وقال تعالى عن المسيح عليه السلام : " ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل (٧)

وقال المسيح : " انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا " (٨)

---

(١) سورة البقرة آية ١٠٥ (٢) سورة الجمعة آية ٢ ، ٥ "
(٣) سورة آل عمران آية ٧٩ (٤) سورة الاسراء آية ١
(٥) سورة الفرقان آية ١ (٦) سورة ص آية ٤٥
(٧) سورة الزخرف آية ٥٩ (٨) سورة مريم آية ٣٠

وقد بين القرآن الكريم ، أن من صفاتهـــم :

أولا : البشريـــة فقال تعالى : " قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي أنـــما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشـــرك بعبادة ربه أحـــدا "(١)

وقال تعالى : " قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده (٢)

ثانيـــا : أنهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعـــا ، ولا يعلمون من امر الغيب شيئا الا ما علمهم الله اياه .

قال تعالى : " قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله " ولو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما مســـنى السوء ان أنا الا نذيـــر وبشيـــر لقوم يؤمنون " (٣)

ثالثـــا : وأنهم لايستطيعون تغيير نظام الكون ولا خرق نواميسه ، الا باذنه تعالى فيما يجعله لهم آية دالة على صدقهم فيما يدعون من الرسالة ،

قال تعالى : " وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجـــر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السمـــاء كما زعمت علينـــا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا (٤) نقروءه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا " .

---

(١) سورة الكهف آية ١١٠

(٢) سورة ابراهيم آية ١١

(٣) سورة آل عمران آية ١٨٨

(٤) سورة الاسراء الايات من ٩٠ ـ ٩٣

عليه

وقال تعالى : " وقالو لولا أنزل آيات من ربه ، قل انما الآيات عند الله وانمـــا أنا نذير مبين " (١)

كما بين القرآن الكريم أنه يجرى عليهم ما يجرى على سائر البشر من سنن الله التي قدرها على عباده ، من مرض ، وجوع ، وشبع ، وعطش ، وحياة ، وموت ، فهم يعيشون كما يعيش سائر افراد البشر ، قال تعالى : " انـــك ميت وانهم ميتـــون (٢)

وقد عجب كفار قريش من كون الرسول بشرا مثلهم ، يأكل كما يأكلـــون ، ويشرب كما يشربون ، ويمشى في الاسواق طلبا للمعيشة والرزق .

قال تعالى حكاية عنهم : " وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا (٣)

وقال تعالى : " الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين . واذا مرضت فهو يشفين . والذى يميتنى ثم يحيين " (٤)

---

(١) سورة العنكبوت آية ٥٠

(٢) سورة الزمر آية ٣٠

(٣) سورة الفرقان آية ٧

(٤) سورة الشعراء من آية ٧٨ ـ ٨٢

المبحث الثالث = العصمة :

نعرض في هذا المبحث فكرة موجزة عن آراء العلماء في عصمة الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه ، ثم نتبع ذلك بمسلك القرآن الكريم في هذا الموضوع.

تعريفها - عرف العلماء العصمة ، بأنها ملكة تمنع صاحبها من ارتكاب المعاصي واجتناب الطاعات ؛ وتتأكد هذه الملكة في الأنبياء بأمور : منها تتابع الوحي ، والتنبيه على مايصدر منهم سهوا والعتاب على ترك الأولى .

أما تعريفها بأنها خاصة في نفس الشخص أو في بدنه يمتنع بسببها صدور الذنب عنه ؛ فقد ردّ هذا التعريف ، بأنه لو كان صدور الذنب ممتنعا لما استحق المدح بترك الذنب ، لأنه لا مدح ولا ثواب بترك ماهو ممتنع ، لأنه ليس مقدورا له ولا داخلا تحت اختياره . (١).

أولا = آراء العلماء في العصمة :

حكى شارح المواقف ، اجماع أهل الملل والشرائع على وجوب عصمة الأنبياء في أمرين :

أحدهما = عدم تعمد الكذب فيما تدل المعجزة على صدقهم فيه كدعوى الرسالة .

ثانيهما = عدم تعمد الكذب فيما يبلغونه عن الله الى الخلائق من الأحكام الاعتقادية والعلمية ونحوها .

---

(١) الايجي ، شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٨٠ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م

ويستدلون على ذلك = بأنه لو جاز عليهم التقول والافتراء فى ذلك عقلا لأدى الى ابطال دلالة المعجزة وهو محال ، اذ المعجزة تدل على أنهم مؤيدون من الله تعالى ، والمؤيد من الله لايكذب .

أما صدور الكذب عنهم فى ذلك سهوا ، أو نسيانا ففيه خلاف ، فمنعه الاستاذ أبو اسحاق وكثير من الائمة لدلالة المعجزة على صدقهم فى تبليغ الاحكام .
وجوزه القاضى أبو بكر ، بناء على أن المعجزة انما دلت على صدق النبى فيما هو متذكر له عامد اليه .

أما وقوع الكفر منهم ، سواء كان ذلك قبل النبوة أو بعدها ، فيقول صاحب المواقف: ان اجماع الامة على أنهم معصومون من (١) ذلك أيضا .
وبراتفقه فى هذا الحكم شارح المسايرة ، فيحكى اتفاق جمهور المسلمين على عصمة الانبياء من الكفر قبل النبوة وبعدها (٢) .

قلت : ينبغى القول بعصمتهم من الكذب مطلقا سواء فى دعوى الرسالة ، أو فيما يبلغونه عن الله ، أو فيما عدا ذلك من الأمور الاخرى ، وذلك لدلالة النصوص الصريحة الدالة على ذلك ، كقوله تعالى فى وصف ابراهيم ويوسف عليهما السلام بالصدق : (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا (٣) ، وقوله تعالى : (يوسف أيها الصديق) . (٤) .
فقد وصفهما بالصدق بصيغة المبالغة .
وفى صحيح البخارى ، أن أبا سفيان أخبر ابن عباس أن هرقل أرسل اليه فى ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادّ (٥) فيها أبا سفيان وكفار قريش ، ومن ضمن الأسئلة التى وجهها هرقل الى أبى سفيان قوله : فهل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال ؟؟ . قلت : لا ، قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولاتشركوا به

---

(١) الايجى ، شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، الطبعة الاولى ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧م
(٢) الشيخ كمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن أبى شريف القدس ، شرح المسايسرة ص ٢٧
(٣) سورة مريم آية ٤١ (٤) سورة يوسف آية ٤٦ .
(٥) المد لغة يطلق على المهلة ، والمقصود هنا ، صلح الحديبية وكانت سنة ست من الهجرة ومدتها عشر سنوات كما فى السيرة ، فتح البارى جـ ١ ص ٣٤ .

شيئا ، واتركوا مايقـــول آباؤكم ، ويأمرنا بالصـــلاة والصدق والعفاف ، والصلـــة .

وفى تحليل هرقـــل لاجابـــات أبى سـفيان على أسئلته التى وجهها اليـــه استنتج منها صدق رســـالة محمد صلى الله عليه وســـلم ، فمنها قوله : وســـألتك هل كنتم تتهـــونـــه بالكذب قبل أن يقول ماقال ؟ فـذكرت أن لا ، فقد أعـــرف أنه لم يكن ليـذر الكذب على الناس ويكـــذب على الله) . (١) .

فهذه النصوص الصريحـــة تدل على أن خلقهـــم الصدق فى كل شـــــيء .

أما ماعدا ذلك من الذنوب ، فهى اما كبـــائر ، أو صغائر صدورها عنهم اما أن يكون قبل النبوة أو بعدهـــا .

وقد ذكر صاحب المواقف ، أن الجمهور من المحققين والائمة يمنعون صـــدور الكبيرة منهم عمدا بعد النبوة ، وهل ذلك المنع سمعا أو عقلا فيه خلاف ؟

ثم قال : أما صدورها عنهم سهوا أو على سبيل الخطأ فى التأويل فجوزه الاكثرون . والمختـــار خلافـــه .

أما صدور الصغائـــر عنهم عمدا فجوزه الجمهور ، فيما ليـــس من صغائـــر الخســـة ، الا الجبائى ، فيرى أنه لايجوز صدورها منهم الا بطريق السهو ، أو الخطأ فى التأويل . (٢) .

وفى المغنى لعبد الجبار ، قال : (ان الانبياء لاتجب عصمتهم فى الصغائـــر التى لاتنفر ، لانه لادليل يمنع من ذلك ، ولانه ليس فيه الا الاقلال من الثـــواب ، فهو بمنزلة ترك الاكثار من النافلة ، والقصور فى الفضـــل عن قدر من الرتبـــــة .

ولهذه الجملة كان فى الانبياء التفاضل ، فيكون بعضهم أفضـــل من بعض . (٣) .

---

(١) محمد بن اسماعيل البخارى ، صحيح البخارى ، كتاب بدء الوحي / باب ٦ / من فتح البارى جـ ١ ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) الايجى شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٣) المغنى لعبد الجبار ص ٢٨٠ جـ ١٥

(٣) القاضى عبد الجبار ، المغنى جـ ١٥ ص ٢٨٠ ، مطبعة عيسى البابى الحلبى مصر سنة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥م .

ز/جاها

أما ابن تيمية فيذهب الى القول بأن جمهور المسلمين يرون تنزيه الأنبياء عن الكبائر (١) .

وقالت الروافض : لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة ، لا عمدا ولا سهوا ولا خطأ في التأويل ، بل هم مبرؤون عنها قبل الوحي فكيف بعده . (٢) .

وجهة القائلين بأن الأنبياء في زمان نبوتهم معصومون عن الكبائر مطلقا ، عمدا وسهوا وعن الصغائر عمدا ، أنه لو صدر منهم الذنب لحرم اتباعهم ، فيما يصدر عنهم ضرورة أنه يحرم ارتكاب الذنب ، والحال أنه يجب متابعة الأنبياء في أفعالهم وأقوالهم بالاجماع .

ولقوله تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ..) .

ولو أذنبوا لردت شهادتهم اذ لا شهادة لفاسق ، بالاجماع ، ولقوله تعالى : (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) واللازم باطل بالاجماع ، ولأن من لا تقبل شهادته في القليل الزائل من متاع الدنيا ، فكيف تسمع شهادته في الدين القيم ؟ كما أنهم لو أذنبوا وجب زجرهم وتعنيفهم لعموم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا شك أن زجرهم ايذاء لهم ، وايذاؤهم حرام اجماعا ، ولقوله تعالى : (والذين يؤذون الله ورسوله) . الآية .

ولو أذنبوا لدخلوا تحت عموم قوله تعالى : (ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا) .

---

(١) ابن تيمية ، منهاج السنة جـ ٢ ص ٣٣٦ .

(٢) شرح المواقف ص ٢٦٥ جـ ٨ ، ومنهاج السنة ص ٣٣٨ جـ ٢ ، يقول الشهرستاني في الملل والنحل جـ ١ ص ١٥٥ : ان الرافضة هم شيعة الكوفة الذين سمعوا من زيد بن علي بن الحسين القول بصحة امامة المفضول مع وجود الفاضل ، فعرفوا أنه لا يتبرأ من الشخصين فرفضوه حتى أتى قدره عليه ، فسميت رافضة) . ويقول أبو الحسن الأشعري في المقالات جـ ١ ص ٨٩ : وانما سموا رافضة لرفضهم امامة أبي بكر وعمر . ويقول ابن تيمية في منهاج السنة جـ ١ ص ٣١ انه (من زمن خروج زيد بن علي بن الحسين في خلافة هشام افترقت الشيعة الى رافضة وزيدية ، فانه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم . فقال لهم : رفضتموني فسموا رافضة لرفضهم اياه ، ويسمى من لم يرفضه من الشيعة زيديا لانتسابهم اليه) .

هذه بعض حجج القائلين بالعصمة عن الكبائر مطلقا ، وعن الصغائر عمدا ، أوردها صاحب المواقف عن الامام الرازى ، ثم رد عليها بقوله : (وأنت تعلم أن دلالتها فى محل النزاع وهي عصمتهم عن الكبيرة سهوا ، وعن الصغيرة عمدا ليست بالقوية ، فان الاتباع انما يجب فيما يصدر عنهم قصدا لا سهوا ، ويشترط فى القصد أن لاينهانا عنه ، ورد الشهادة مبنى على الفسق الذى لاثبوت له فى الصغيرة عمدا ، ومع الكبيرة سهوا ، وأما الزجر فانما يجب فى حق المتعمد للكبائر دون الساهى ، والصغيرة النادرة عمدا معفوة عن مجتنب الكبائر ، قال وعليك بالتأمل فى سائر الدلائل . (١) .

ثم أورد صاحب المواقف حجج من جوز وقوع ذلك منهم فقال : (وأما من جوز صدور الكبائر عنهم بعد البعثة سهوا ، والصغائر عمدا فقد احتج على ذلك بقصص الأنبياء التى وردت فى القرآن الكريم . فمن تلك القصص :

أولا : قصة آدم عليه السلام ، فقد سمى الله ذلك منه معصية ، حيث قال : (وعصى آدم ربه فغوى) فان العصيان من الكبائر ، بدليل قوله تعالى : (ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم) ، والغواية تؤكد ذلك لأنها اتباع للشيطان ، لقوله تعالى : (الا من اتبعك من الغاوين) .
وقوله تعالى : (فتاب عليه) ولن تكون التوبة الا من ذنب ، ومخالفته للنهي عن الأكل من الشجرة ، وارتكاب المنهى عنه ذنب .

ثانيا : قصة ابراهيم عليه السلام ، فى قوله تعالى حكاية عنه : (قال هذا ربى) .
قالوا : فان كان ذلك عن اعتقاد فهو مشرك ، والا كان كذبا .
وقوله تعالى حكاية عنه (بل فعله كبيرهم هذا ؟) وهو كذب .
وقوله تعالى ===== (فنظر نظرة فى النجوم . فقال انى سقيم) ، والنظر فى النجوم حرام ، وحكمه بأنه سقيم كذب .

---

(١) الايجى ، شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٦٧

ثالثا : قصة موسى عليه السلام ، وقتله القبطى بغير حق ، لأنه لم يكن مباحا ، ولا على سبيل الخطأ ، بل كان عمدا ، لقوله : (قال هذا من عمل الشيطان) وقوله : (رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له) .

رابعا : قصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى مثل قوله تعالى : (ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض) .

وقوله تعالى : (عفا الله عنك لم أذنت لهم ..) . (١) .

وقد أجاب صاحب المواقف عن تلك القصص كلها اجابات منها القريب ومنها البعيد ، فأجاب عن قصة آدم عليه السلام بأن ذلك كان منه قبل النبوة .

وأجاب عن قول ابراهيم عليه السلام (هذا ربى) بجوابين :

الأول : أن ذلك كان قبل تمام النظر فى معرفة الله وكم بينه وبين النبوة ، اذ لايتصور النبوة الا بعد تمام ذلك .

وهذا الجواب ـ ترده حكاية اجماع الأمة على أن النبى صلى الله عليه وسلم معصوم من الكفر قبل النبوة وبعدها .

الجواب الثانى : أن قوله ذلك كان على سبيل الفرض ؛ أى أنه كان فى مقام المناظر ، لا الناظر ، وهو الأقرب الى الصواب .

وأجاب عن قوله (بل فعله كبيرهم هذا) بأن هذا الكلام من قبيل الاسناد الى السبب فان الذى حمله على الكسر هو زيادة تعظيمهم لذلك الكبير . وأجاب عن قوله : (فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم) بأن النظر فى النجوم للاستدلال على قدرة الله تعالى وتوحيده هو من الأمور المطلوبة ، وأما ترتيب الحكم بالسقم على النظر ، فقال عنه : لعل الله أخبره بأنه اذا طلع النجم الفلانى فانه يمرض ، وأقول إن سياق القصة لايساعد على هذا التأويل .

وسنذكر الآراء الأخرى فى عرضنا المسلك القرآن ـ ان شاء الله ـ .

وأما قصة موسى عليه السلام فقد أجاب عنها بأن ذلك كان منه قبل النبوة .

أما عن قصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقالوا ان ذلك عتاب له على ترك الأولى .

---

(١) الايجى : شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٦٨

(٢) الايجى ، شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٦٧ ، ٢٨٠ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٥هـ ـ ١٩٠٧م .

ثانيا : مسلك القرآن الكريم فى العصمة :

وكما وصف القرآن الانبياء عليهم السلام ، بأنهم مصطفون وأخيار ، قد أعدهم الله اعدادا خاصا لحمل رسالاته الى عباده ؛ فكذلك عرض ماحدث من بعضهم عليهم صلوات الله وسلامه ، من ارتكاب بعض ماحظره الله عليهم ، ونهاهم عنه ، كما بين القرآن ، أنهم لجؤا الى خالقهم وطلبوا عفوه ومغفرته ، كما صرح القرآن الكريم بأن الله تعالى قد قبل توبتهم وتجاوز عنهم ؛ وظاهر القرآن يدل على أن ماكان كبيرة من تلك الذنوب فقد صدر منهم قبل النبوة ، كقصة موسى عليه السلام فى قتله القبطى .

أما بعد النبوة ، فلم يرد فى القرآن صراحة مايدل على أنهم قد وقعت منهم الكبيرة ، بل كل ماورد فى القرآن كان من باب الخطأ فى التأويل .

وسنعرض لهذا الاجمال ببعض التفصيل بذكر الآيات التى ورد فيها ذكر تلك القصص .

أولا : قصة آدم عليه السلام :

يقول تعالى : (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما . واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلايخرجنكما من الجنة فتشقى ... الى قوله تعالى : وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) . (١) .

وقد أوضحت آيات أخرى ، أن الله عز وجل أباح لآدم وزوجه أن يأكلا من كل ثمار الجنة ، الا شجرة معينة فقد نهاهما عنها .

قال تعالى : (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) (٢) .

كما بين سبحانه وتعالى ، أن ابليس لا زال بهما يوقعهما ويدلهما بغروره وكيده على الوقوع فى النهى ويقسم لهما بأنه لهما ناصح أمين حتى أزلهما ، فأكلا من تلك الشجرة المحظورة عليهما .

---

(١) سورة طه الآيات من ١١٥ ـ ١٢٢

(٢) سورة الاعراف آية ١٩

قال تعالى : (فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) ، قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) . (١) .

فهذه الآيات تدل على أنه وقع من آدم عليه السلام ارتكاب الذنب ، اذ نهي عن الاكل من تلك الشجرة ، ولكنه أكل منها ، وقد سمى الله ذلك الفعل منه معصية ـ ثم أن آدم جعل ذلك العمل منه ظلما لنفسه ، وان لم يتداركه ربه بمغفرته وعفوه ، كان من الخاسرين .

يقول ابن جرير في قوله (وعصى آدم ربه فغوى) يقول : وخالف أمر ربه ، فتعدى الى مالم يكن له أن يتعدى اليه من الاكل من الشجرة التي نهاه عن الاكل منها ، (ثم اجتباه .... : اصطفاه ربه من بعد معصيته اياه فرزقه الرجوع الى مايرضى عنه ، والعمل بطاعته . (٢) .

ونقل الزمخشري عن ابن عباس قوله : (لاشبهة في أن آدم لم يتمثل مارسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة ، وذلك هو العصيان ، ولما عصى خرج فعله من أن يكون رشدا وخيرا ، وكان غيا لا محالة ، لأن النهي خلاف الرشد) . (٣)

وقد أورد ابن كثير في تفسير آيات سورة طه ماروواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (حاج موسى آدم فقال له : أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم ، قال : قال آدم : ياموسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، أتلومني على أمر كتبه الله علي قبل أن يخلقني ، أو قدره علي قبل أن يخلقني ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فحج آدم موسى . (٤) .

---

(١) سورة الاعراف آيتي ٢٢ ، ٢٣ .
(٢) محمد بن جرير الطبري ، التفسير جـ ١٦ ص ٢٤ ، ٢ الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م .
(٣) الزمخشري ، الكشاف جـ ٢ ص ٥٥٧ الطبعة الاخيرة سنة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م
(٤) ابن كثير : التفسير ص ١٦٧ ، ١٦٨ جـ ٣ . والحديث في صحيح الامام البخاري / كتاب التفسير / باب ٣ (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) من فتح الباري جـ ٨ ص ٤٣٤

هذه النصوص القرآنيـــة تدل دلالة صريحة على أن آدم عليه السـلام قد أزلـه الشـــيطان فارتكب مانهاه الله عنه وصرحت الآية الكريمة وهي قوله تعالى : (وعصـــى آدم ربه فغـــوى) بأن تلك المخالفـة كانت معصية لله تعالى ، وقد ترتب علـــى ارتكاب ذلك الذنب اخراجـــه من الجنـة : وسواء كان ذلك الذنب الذى صدر منه قبل النبوة ، كما يرى بعض العلمـــاء ، أم كان بعدها ، فقد صرح القرآن الكريم بتوبته ، وأن الله عز وجل غفر له تلك الزلة وتاب عليه ، قال تعالى : (فتلقـــى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحـــيم) . (١) .

ثانيا : قصة ابراهيم عليه الســـلام :

يقول تعالى : (واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومـك فى ضلال مبين ، وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لاأحب الآفلين .. الى قوله تعالى فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهـــى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) . (٢) .

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآيات : (والحق أن ابراهيم عليه الصـــلاة والسلام كان فى هذا المقام مناظرا لقومه مبينـا لهم بطلان ماكانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام ، فبين فى المقام الأول مع أبيه خطأهم فى عبادة الأصنـام الأرضية ، التى هي على صور الملائكة السماوية ، ليشفعوا لهم الى الخالـق العظيم الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه ، وانما يتوسلون اليـــه بعبادة ملائكته ليشفعوا لهم عنده فى الرزق والنصر وغير ذلك .

وبين فى هذا المقام خطأهم وضلالهم فى عبادة الهياكل ، وهـــي الكواكب السيارة السبعة وهي القمر وعطارد ... الخ .

---

(١) سورة البقـــرة آيـــة ٣٧

(٢) سورة الأنعام الآيات ٧٤ ـ ٧٩ .

وأشدهن اضاءة ، وأشرفهن عندهم الشمس ثم القمر ثم الزهرة ، فبين أولا صلوات الله وسلامه عليه أن هذه الزهرة لاتصلح للالهية ، فانها مسخرة مقدرة بسير معين لاتزيغ عنه يمينا ولا شمالا ولاتملك لنفسها تصرفا بل هي جرم من الاجرام خلقها الله مسيرة لما له في ذلك من الحكم العظيمة ... ثم انتقل الى القمر فبين فيه مثل مابين في النجم ، ثم انتقل الى الشمس كذلك فلما انتفت الالهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ماتقع عليه الأبصار وتحقق ذلك بالدليل القاطع (قال قوم اني بريء مما تشركون) ... وكيف يجوز أن يكون ابراهيم ناظرا في هذا المقام وهو الذي قال الله في حقه : (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) . الآيات . وقال تعالى : (ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم ..) الآيات.(١)

وبهذه الحجج القرآنية الواضحة تبين لنا أن قول ابراهيم عليه السلام ، : (هذا ربي) لم يكن من باب النظر ليكون اعتقادا ، ولا من باب الكذب لأنه لم يكن اخبارا . وانما هو من باب الفرض في حال المجادلة والمناظرة لاقامة الحجة على الخصم ، يوضح ذلك قوله تعالى بعد تلك الآيات السابقة (وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ماتشركون به ...) . الآيات.

وأما قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام : (قال بل فعله كبيرهم هذا) يعني الذي تركه ولم يكسره (فاسألوهم ان كانوا ينطقون) .

قال ابن كثير : وانما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفوا أنهم لاينطقون وأن هذا لايصدر عن هذا الصنم لأنه جماد . (٢) .

---

(١) ابن كثير ـ التفسير ج ٢ ص ١٥١ .

(٢) ابن كثير ـ التفسير ج ٣ ص ١٨٣ .

ز/جاها

وقال فى تفسير قوله تعالى : (فنظر نظرة فى النجوم ، فقال انى سقيم ، فتولوا عنه مدبرين) .

: انما قال ابراهيم عليه السلام لقومه ذلك ليقيم فى البلد اذا ذهبوا الى عيدهم فانه كان قد أزف خروجهم الى عيد لهم فأحب أن يختلى بآلهتهم ليكسرها ، فقال لهم كلاما هو حق فى نفس الأمر ، فهموا منه أنه سقيم على مقتضى مايعتقدونه (فتولوا عنه مدبرين) قال قتادة والعرب تقول لمن تفكر نظر فى النجوم ، يعنى قتادة أنه نظر الى السماء ففكر فيما يلهيهم به فقال : (انى سقيم) أى ضعيف ، قال : فأما الحديث الذى أورده ابن جرير هاهنا ... عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لم يكذب ابراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات : ثنتين فى ذات الله تعالى ، قوله (انى سقيم) وقوله : (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله فى سارة هي أختى ، فهو حديث مخرج فى الصحاح والسنن من طرق ، ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقى الذى يذم فاعله حاشا وكلا ، وانما أطلق الكذب على هذا تجوزا وانما هو من المعاريض فى الكلام لمقصد شرعى دينى كما جاء فى الحديث (ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب) . (١) .

ولفظ الحديث فى صحيح البخارى ، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : " لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات : ثنتين فى ذات الله عز وجل : قوله (انى سقيم) .

---

(١) ابن كثير التفسير جـ ٤ ص ١٣ ، والحديث : ان فى المعاريض لمندوحة ... رواه ابن عدى عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه مرفوعا ، ورواه البيهقى موقوفا ، وابن السنى فى الدرر موقوفا ، ورواه البخارى فى الأدب المفرد ؛ المناوى :/ فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ٢ ص ٤٧٢ الطبعة الاولى سنة ١٣٥٦هـ . رقم الحديث ٢٣٣٢ .

والمعاريض جمع معراض كمفتاح من التعريض ، وعرفه الأقدمون ، بأنه ذكر لفظ محتمل يفهم منه السامع خلاف مايريده المتكلم . والمتأخرون كالمولى التفتازانى عرفه بأنه ذكر شيء مقصود بلفظ (غير) حقيقى أى مجازى أو كنائى ليدل به على شيء آخر لم يذكر فى الكلام /المناوى / فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ٢ ص ٤٧٢ .

وقوله : (بل فعله كبيرهم هذا) وقال : بينما هو ذات يوم وسارة اذ أتى على جبار من الجبابرة ، فقيل له : ان هاهنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل اليه فسأله عنها فقال : من هذه ؟ قال : أختى ، فأتى سارة قال : ياسارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك ، وان هذا سألنى عنك فأخبرته أنك أختى ، فلاتكذبينى .

فأرسل اليها ، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ . فقال ادعى الله لى ولا أضرك ، فدعت الله فأطلق . ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد ، فقال : ادعى الله لى ولا أضرك ، فدعت فأطلق . فدعا بعض حجبته فقال : انكم لم تأتونى بانسان ، وانما أتيتمونى بشيطان ، فأخدمها هاجر . فأتته وهو قائم يصلى ، فأومأ بيده : مهيم ؟ قالت : رد الله كيد الكافر ـ أو الفاجر ـ فى نحره ، وأخدم هاجر .

قال أبو هريرة : تلك أمكم يابنى ماء السماء . (١) .

قال ابن حجر فى الفتح : وأما اطلاقه الكذب على الأمور الثلاثة فلكونه قال قولا يعتقده السامع كذبا ، لكنه اذا حقق لم يكن كذبا لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمرين فليس بكذب محض .

وقوله (هذه أختى) يعتذر عنه بأن مراده أنها أخته فى الاسلام كما فى رواية هشام بن حسان أنه قال لها : (ان هذا الجبار ان يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك ، فان سألك فأخبريه أنك أختى ، وانك أختى فى الاسلام . قال : وفى الحديث مشروعية أخوة الاسلام ، واباحة المعاريض . (٢) .

---

(١) محمد بن اسماعيل البخارى / صحيح البخارى / كتاب الأنبياء / باب قول الله تعالى : (اتخذ الله ابراهيم خليلا) . فتح البارى جـ ٦ ص ٣٨٨ .

(٢) فتح البارى جـ ٦ ص ٣٩٤ .

ز/جاها

قصة موسى عليه السلام :

يقول تعالى : (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ، قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم . (١) .

فوكزه ، قال مجاهد : طعنه بجمع كفه ، وقال قتادة : وكزه بعصا كانت معه ، فقضى عليه ، أى كان فيها حتفه فمات . (٢) .

ولا ريب أن قتل النفس بغير حق من الكبائر ، وقد كان قتل موسى عليه السلام للقبطى كذلك . لكن صريح القرآن يدل على أن ذلك الذنب وقع من موسى عليه السلام قبل النبوة ، فعلى اثر ذلك الحادث خرج من مصر خائفا من بطش فرعون وملئه ، حينما علم أنهم يأتمرون لقتله ، وبعد أن وصل الى مدين ، وقضى المدة عند شعيب ، ثم سار بأهله عائدا الى مصر ، وفى مسيرته تلك تمت بعثته الى فرعون وقومه ، وعندها قال موسى عليه السلام مخاطبا ربه ، (قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون) . (٣) .

وقال له فرعون ذلك أيضا ، يقول الله تعالى : (قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين . وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين . قال فعلتها اذا وأنا من الضالين) . (٤) . قوله (من الكافرين) أى .. الجاحدين لنعمتنا عليك ، فقد قابلت ذلك البر والاحسان منا اليك بفعلتك تلك فقتلت منا رجلا ، قاله ابن عباس رضى الله عنهما وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم واختاره ابن جرير .

---

(١) سورة القصص آية ١٥ ، ١٦

(٢) ابن كثير ، التفسير جـ ٣ ص ٣٨٢

(٣) سورة القصص آية ٣٣

(٤) سورة الشعراء آية ١٨ ، ١٩

وقوله (وأنا من الضالين) أى قبل أن يوحى الى وينعم الله على بالرسالة والنبوة .

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم (وأنا من الضالين) أى الجاهلين ، قال ابن جريج وهو كذلك فى قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . (١) .

وقد صرح القرآن الكريم بأن موسى عليه السلام لجأ الى ربه فطلب منه العفو والمغفرة من ذلك الذنب الذى ارتكبه ، كما بين القرآن أيضا أن الله عز وجل تجاوز عنه وغفر له ذنبه ، بقوله تعالى : (قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم (٢) .

---

(١) ابن كثير التفسير جـ ٣ ص ٣٣٢

(٢) سورة القصص آية ١٦

ز/جاها

ماذكر عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :

يقول تعالى : (ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) . (١) .

يبين الله عز وجل لعباده ، أن سنته المطردة لأنبيائه جميعا ، أن لايكون لهم أسرى الا بعد الاكثار من القتل ليذل الكفر وأهله ويقل حزبه ، ويعز الاسلام وأهله ؟ وقد ذكر المفسرون لهذه الآيات ، أنه فى غزوة بدر بعد انتهاء المعركة ، وانتصار المسلمين على أعدائهم ، أسر المسلمون من كفار قريش سبعين أسيرا ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه فى أولئك الأسرى ماذا يصنع فيهم ؟ وقد أشار بعض الصحابة بقتلهم ، وأشار البعض الآخر باستبقائهم لعل الله يهديهم للاسلام ، ثم أخذ الفدية منهم ليستعين بها المسلمون على حوائجهم ، فكان الأمر موضع اجتهاد منه صلى الله عليه وسلم ، اذ لم ينزل عليه وحي فى ذلك . وهو الرؤوف الرحيم بأمته يرجو الله أن يهديهم الى دينه وتوحيده .

ولذا فقد أخذ برأى القائلين باستبقائهم وأخذ الفدية منهم ، وكان الأولى أن يأخذ برأى القائلين بقتلهم .

فنزل قوله تعالى : (ماكان لنبى ... الآية) مؤيدا لرأى القائلين بالقتل ، ومؤكدا أن تلك هي سنة الله لجميع أنبيائه مع أعدائهم ، وكان الأولى الأخذ بها . ومبينا أنه لولا حكم منه تعالى سبق اثباته فى اللوح المحفوظ ، وهو أن لايعاقب المخطىء فى اجتهاده ، أو أن لايعذب قوما لم يصرح لهم بالنهي ، لمسهم فيما أخذوه من الفداء عذاب عظيم . واختار ابن جرير فى تفسير قوله (لولا كتاب سبق ...) أى لهذه الأمة باحلال الغنائم . (٢) .

بهذا يتبين لنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يخالف أمرا ولم يرتكب نهيا ، وانما اجتهد فوقع اختياره على خلاف الأولى . والله أعلم . »

---

(١) سورة الأنفال آية ٦٧ ، ٦٨ . (٢) محمد بن جرير الطبرى ، التفسير ص ٤٤ جـ ١٠
وابن كثير ، التفسير جـ ٢ ص ٣٢٥ ، ٣٢٦
وأبو السعود ، التفسير جـ ٢ ص ٥٠٨ ، ٥٠٩

وقوله تعالى : (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) . (١) .

صريح فى أن الله تعالى عفا عنه عليه الصلاة والسلام ما وقع منه عند استئذان المتخلفين فى التخلف عن الغزو معتذرين بعدم استطاعتهم ، ومؤكدين ذلك بايمانهم .

وكان الأولى أن لا يأذن لهم ، بل يتوقف ويتأنى حتى ينجلى أمرهم وينكشف حالهم فيعلم الصادق منهم فى عذره ، ويظهر الكاذب فيما أخبر به عند اعتذاره (٢) . وهذا يدل على أن ذلك كان اجتهاداً منه صلى الله عليه وسلم اذ لم يأته نص فى ذلك فوقع اختياره على خلاف الأولى .

قال قتادة عاتبه كما تسمعون ثم أنزل التى فى سورة النور فرخص له فى أن يأذن لهم ان شا نقال تعالى : (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم) الآية .

وقد قال مجاهد : نزلت هذه الآية فى أناس قالوا : استأذنوا رسول الله ، فان اذن لكم فاقعدوا وان لم يأذن لكم فاقعدوا ، ولهذا قال تعالى : (حتى يتبين لك الذين صدقوا) فى ابداء الأعذار ، (وتعلم الكاذبين) .

---

(١) سورة البقرة آية ٤٣

(٢) أبو السعود ، التفسير ص ٥٥٦ ج ٢

(٣) ابن كثير ـ التفسير ج ٢ ص ٣٦٠ .

ز/جاها

المبحث الرابـــع : الوحـــي :

مقدمـــة :

ذكرنا فى المبحث السابق ، أن النبوة تفضل من الله تعالى ورحمـــة اختص الله بها من شـــاء من عباده ، ليبشـــروا من أطاعه واتبـــع رضوانه بالخـيرات ، وينذروا من خالـــف أمره وكذب رسله بالعقاب ، فبذلك تقـوم الحجة على الناس جميعا ، قال تعالى : (رســـلا مبشـرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيـــزا حكيما) . (١) .

وذلك الانذار والتبشـــير ، انما يكون بما يوحيه الله تعالى اليهـــم . قال تعالى : (قل انما أنذركم بالوحـي . ولا يسمع الصم الدعـــاء اذا ما ينذرون) . (٢) .

وقال تعالى : (قل انما أنا بشـــر مثلكم يوحى الى أنما الهكم الـــه واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربـــه أحـــدا) . (٣) .

ولذلك نرى مع أهل الســـنة ـ أن النبـــوة ليست مكتسبة ، تأتـــى للشخص نتيجـــة لمجهوده وعمله ، وانما هي اصطفاء ـ واختيـــار من الله الحكيم لأنـــاس ، منحهـــم الله تعالى موهبة خاصـــة ، وقدرة فائقـــة ـ يمتازون بها على من سواهم .

ومن هنا نرى أنه لا يسـوغ وصف نبى من أنبيـــاء الله ورسله بالعبقريـــة ولا بنبوغ الشـخصية ، ولاما أشـــبه ذلك من الالقاب التى شـــاعت على أقلام بعض الكتاب . ذلك أن العبقرية مثلا قد لا تمثل الا جانبـــا واحدا من جوانب الحياة ، كأن يكون عبقريا فى السياسة ، أو فى الطب ، أو فى الهندسة ، أو فى الكيمياء ، اذا استطاع الشخص أن يصل الـى الدرجة العالية فى هذه المهنة أو فى هذا العلم .

---

(١) سورة النســـــــاء آية ١٦٥

(٢) سورة الأنبيـــــــاء آية ٤٥

(٣) سورة الكهـــــــف آية ١١٠

أما النبوة فهي صفـــة شـاملة لجميع جوانب الحيـاة كلها ـ وكيف لا تكون كذلك وهي من وهب الموجود وجوده . ولذلك فقد خص الله تعالى رسله وأنبياءه بتلك القـدرة على تلقي وحيه الذي وصفه بالثقل في قوله تعالى : (انا سنلقي عليك قولا ثقيـــلا) . (١) .

تعريف الوحـي لغة :

يقال : وحيت اليه ، وأوحيت . ووحى وحيا ، اذا كلمـــه بما يخفيه عن غيره ، ومنه ، الاشـــــارة ، والكتابة ، والرســـالة ، والالهام ،

قال أبو اسحاق : وأصل الوحي في اللغة كلها : اعلام في خفـــاء (٢) .

وعليه ، فالوحي لغة : هو الاعلام الخفي الســـريع الخاص بمن يوجه اليـــه بحيث يخفى على غيره .

ومعنى وحي الله الى أنبيائه متضمن لمعنى الخفـــاء والســـرعة . (٣) .

أما شرعا فقد عرفوه : بأنه كلام الله المنزل على أنبيائه .

وعرفه الشيخ محمد عبده ـ في رسالتة التوحيـــد ـ : بأنه عرفـــان يجده الشخص من نفســـه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة ، أو بغير واسطة ، والأول بصوت يتمثل لسمعه ، أو بغير صوت ، ويفرق بينه وبين الالهام بـــأن الالهام وجدان تستيقنه النفس ، وتنساق الى مايطلب على غير شعور منها من أين أتى ، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش ، والحزن والســـرور . (٤) .

---

(١) سورة المزمـــل آية ٥

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ، وحي .

(٣) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ص ٣٤ ، الطبعة الثالثة سنة ١٣٥٤هـ .

(٤) الشيخ محمد عبده ، رسالة التوحيد ص ١٠٨ .

كيفية الوحـــي :

أما الكيفية التى يتصل بها هؤلاء الصفوة من عباد الله بالمـــلأ الأعلى فقد بينتها الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى : (وما كان لبشـــر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنـــه مايشـــاء انه على حكيم) . (١) .

وهو انه تبارك وتعالى ، تارة يقذف فى روع النبى صلى الله عليـــه وسلم شيئا لايتمارى فيه أنه من الله عز وجل ، وهو المشار اليه فى الآية بقوله : (وما كان لبشـــر أن يكلمه الله الا وحيا) ؛

النوع الثانـــي :

أن يسمع النبى صلى الله عليه وسلم كلام الله مباشرة من غير أن يراه وهـــو المشار اليه بقوله تعالى : (أو من وراء حجاب) كما حدث فى تكليم موسى عليه السلام - ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء والمعراج .

النوع الثالث :

أن يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء - كما ينزل جبريل عليه السلام بالوحي الى الأنبياء ، وقد بين النوع الثالث من أنواع الوحي ، وهو الوحي بواسطة الملك حديث عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنـــه سأل رسول الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى ، وقد وعيت عنه ماقال ، وأحيانا يتمثل لى الملـــك رجلا فيكلمنى فأعى مايقول) قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيتـــه ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا (٢) .

فقد بين هذا الحديث صفة ذلك الاتصال الشديد القوى على النفوس البشرية

---

(١) سورة الشورى آية ٥١ (٢) محمد بن اسماعيل البخارى . صحيح البخارى كتاب بدء الوحي ، من فتح البارى جـ١ ص ١٨ رقم الحديث ٢ وقوله فيفصم - بفتـــح أوله وكسر المهملة ، أى يقلع وينجلى مايغشاه - (يتفصد - من الفصد وهو قطع العرق لاسالة الدم - شبه جبينه بالعرق المفصود مبالغة فى كثرة العرق . فتح البارى جـ١ ص ٢١

لأحد أنواع الوحي وهو الوحي بواسطة الملك وهو جبريل عليه السلام ، ذلك أن الملائكة موصوفون بالشدة والقوة قال تعالى : (علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى) . (١) . كما بين الحديث أيضا صفة هذا البشر المتلقي لوحي الله صاحب الروح الصافية القابلة لتلك العلوم والملقاة اليها ، اذ يفصم عنه وقد وعى عنه ماقال ، يقول ابن حجر في فتح البارى :
وفي قولها أى عائشة رضي الله عنها : (في اليوم الشديد البرد) دلالة على كثرة معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي ، لما فيه من مخالفة العادة وهو كثرة العرق في شدة البرد ، فانه يشعر بوجود أمر طارئ زائد على الطباع البشرية . (٢) .

وهناك نوع رابع من أنواع الوحي : وهو الرؤيا الصالحة في النوم .

ففي صحيح البخارى عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : أول مابدئ به رسول الله من الوحي ، الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح . (٣) .

فهذه الآية الكريمة التي دلت على أغلب أنواع الوحي ، وهي قوله تعالى (وماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا .. الخ) الآية.

وهذا الحديث الذى فصل نوعا من أنواعه ، وهو الوحي بواسطة فقد بين كيفية الاتصال بين الانسان البشرى ، وتلك الروح الملائكية التى هي من عالم آخر غير هذا العالم المحسوس ، ولكن هل يستبعد وقوع ذلك بحجة أنه أمر غير مشاهد ؟؟
الجواب ، لا . وكيف يكون ذلك الاستبعاد ، وقد أثبت العلم المادى سماع الصوت من مكان بعيد من غير رؤية المتكلم ؛

---

(١) سورة النجم آية ٥ ، ٦ (٢) ابن حجر العسقلانى . فتح البارى جـ ١ ص ٢١
(٣) محمد بن اسماعيل البخارى . صحيح البخارى كتاب بدء الوحي من فتح البارى جـ ١ ص ٢٢ رقم الحديث ٣ .

كما أثبت أيضا سماع الشخص من يخاطبه ورؤيته له ، في حين لا يراه الحاضرون معه في مجلس التخاطب ، بل لا يسمعون الا ازيز اكدوى النحل كما جاء في بعض صفات الوحي . (١) .

فمثال الأول : مانسمعه من الأحاديث التي تحملها الينا موجات الأثير عابرة الوهاد والسهول والبحار دون رؤية ذويها ، بل بعد وفاتهم أحيانا .

ومثال النوع الثاني : ماذكره الدكتور عبد الله دراز في كتابه : النبأ العظيم . بعد وصفه لتلك القوة الغيبية التي تتصل بتلك النفس المحمدية ، وأنها قوة خارجية ، لأنها لا تتصل بتلك النفس المحمدية الا حينا بعد حين ، وهي قوة عالمة ، لأنها توحى اليه علما ، يقول مايأتي :

(فأما الذي يؤمن بالغيب فسيؤمن بهذا الحديث عنه وان لم يره ، لأنه رأى أثره ، ولأنه يؤمن بمن أخبره . وأما الجاهلون الذين أوتوا قليلا من علم ظاهر الحياة ، وظنوا أنهم أحاطوا بكل شيء علما ، فانهم سيكذبون بكل مالم يحيطوا بعلمه ، وسيقولون لك : لعله اضطراب في أعصاب البصر خيل اليه أنه يرى شيئا من لا شيء ، وأنت فاستعذ بالله من عمى القلوب والعيون ، وقل : كلا (مازاغ البصر وما طغى) . أو يقولون : لعله اضطراب في قوى الفكر صور له المعاني أشباحا ماثلة ، والأحلام حقائق مجسمة ، فابرأ الى الله من هذا الجنون ، وقل : كلا (ماكذب الفؤاد مارأى) . نعم لقد عجبوا أن يكون انسان يرى الملائكة عيانا وبكمهم جهارا بل عجبوا أن يكون في الدنيا خلق لا يرونه بأعينهم ، وصوت لا يسمعونه بآذانهم . فقالوا كيف يرى محمد مالا نرى ويسمع مالا نسمع ،

---

(١) جاء في حديث عائشة تبنيه الرسول لبعض صفات الوحي بصلصلة الجرس ، وهذا بالنسبة لمقامه صلى الله عليه وسلم ، وشبهه عمر رضي الله عنه بدوى النحل بالنسبة الى السامعين ، فتح الباري جـ ١ ص ١٩ .

ز/جاها

ولعمري لنحن أحق أن نعجب من هذا العجب ؛ فاننا نفهم أنه لو ساغ مثله في عصور الجاهلية الأولى ، ماكان ليسوغ اليوم وقد ملئت الأرض بالآيات العلمية التي تفسر لعقولنا تلك الحقائق الغيبية .

وان أقرب هذه الآيات الى متناول الجمهور آية الهاتف (التلفون) فقد أصبح الرجلان يكون أحدهما في أقصى المشرق ، والآخر في أقصى المغرب ، ثم يتخاطبان ويتراءيان ، من حيث لا يرى الجالسون في مجلس التخاطب شيئا ، ولا يسمعون الا أزيز اكدوى النحل الذي في صفة الوحي . (١) .

فهل يستبعد بعد ذلك امكان الوحي بتلك الصور التي وردت بها النصوص على القدرة الالهية ؟

ولكن مثل هذا يقال لمن يؤمن بالله ، ويصدق بوجوده .

---

(١) الدكتور عبد الله دراز ، النبأ العظيم ص ٨٣ ، ٧٥ ، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

ز/جاها

المبحث الخامس — دلائل صدق النبوة :

لاثبات هذا المطلب مسلكان : أحدهما عقلي وذلك بدراسة أحوال الانبياء قبل بعثتهم .
والآخر نقلي وهو دليل المعجزة :

المسلك الاول : يرى بعض العلماء أنه في الامكان معرفة النبوة من غير طريق المعجزة ، ذلك أن المقصود هو معرفة صدق مدعي النبوة أو كذبه ، فانه اذا قال اني رسول الله ، فهذا الكلام لايخلو ، اما ان يكون صدقا مطابقا للمخبر به ، واما ان يكون كذبا مخالفا له ، فاذا لم يكن مدعي الرسالة صادقا في دعواه الرسالة ، فلا بد أن يكون كاذبا ، لأنهما متقابلان بالتناقض فلا بد أن يثبت احدهما ، الصدق أو الكذب ، فاذا لم يثبت الصدق ثبت انه كاذب ، سواء تعمد الكذب ام كان ضالا مخطئا ، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما هو دون دعوى النبوة ، فكيف بدعوى النبوة ؟ لأن مدعي النبوة اما أن يكون من افضل الخلق وأكملهم ، واما ان يكون من انقص الخلق وارذلهم ، واما من احد ادعى النبوة من الكذابين الا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز ،
وما من احد ادعى النبوة من الصادقين الا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر — وانواع الخيرات ما يدل على انه صادق في دعواه عند العقلاء ، ذلك ان الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور ، ويأمرهم بأخرى ، كما أنه لا بد أن يفعل أمورا ، فالصادق منهم يظهر في نفس ما يأمر به ، وما يخبر عنه ، وما يفعله ، ما يبين صدقه ، ذلك انه لا يأمر الا بمعروف كعبادة الله وحده ، ويحسن الجوار وصلة الأرحام ، والبر باليتامى ، والعطف على المساكين ، ولا يخبر الا بصدق ، اذ يأتي ما يخبر به مطابقا للواقع ، كما انه لا يفعل الا خيرا ، لا سيما وقد علم الناس جنس ما جاءت به الرسل وما كانوا يدعون اليه ويأمرون به ، ولم تزل آثار المرسلين في الارض ، ولم يزل عند الناس من آثار الرسل ما يفرقون به بين الرسل وغيرهم ،

فلو قدرنا ان رجلا جاء فى زمن امكان بعث الرسل ، وامر بالشرك وعبادة الاوثان ، واباحة الفواحش ، والظلم ، والكذب ، ولم يأمر بعبادة الله ، ولا الايمان باليوم الاخر ، هل كان مثل هذا يحتاج أن يطالب بمعجزة ، أو يشك عاقل فى أنه مدع وكاذب فى دعواه انه نبى ؟ وأنه يفترى الكذب على الله والناس ، فالكاذب يظهر فى نفس ما يأمر به ، وما يخبر عنه ، وما يفعله ما يبين كذبه ، ويظهر فجوره ، كما قال تعالى : " هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم ، يلقون السمع واكثرهم كاذبون " (١)

فاذا كان مدعى الرسالة معروفا بالصدق والامانة ، وصحة العقل وسلامة التفكير وحسن السيرة ، وكان مايدعو اليه ويأمر به من جنس ماجاء به الانبياء والمرسلون ، وكان ذلك فى زمان امكان بعث الرسل ، أمكن تصديقه .

ومن هنا يمكن القول ، بأن العقل يرشد الى صحة النبوة ، فبه تعرف دلائلها ، وعن طريقه يتم التمييز بين النبى الصادق ، والمتنبىء الكاذب .

واذا نظر الباحث فى سيرة الانبياء والرسل لوجد فيها الدليل الواضح على صدقهم فيما يدعون اليه ، فقد عرفوا بين أقوامهم بالاستقامة ، وصدق القول والأمانة وحسن المعاملة .

وبالمقابل اذا نظر فى سيرة المتنبىء وجد ان ما أشارت اليه الآية الكريمة وهى قوله تعالى : " هل أنبئكم على من تنزل الشياطين " هو حالهم فلا يوجد فيما يأمرون به ويدعون اليه ويفعلونه ، الا الافك ، والاثم ، والفجور ، فسيرتهم خير شاهد على كذبهم فى دعواهم النبوة .

---

(١) شيخ الاسلام ابن تيمية ، شرح العقيدة الأصفهانية من ص ٢٨٨ ـ ٩١ بتصرف ، طبعة سنة ١٣٨٥هـ تقديم حسنين مخلوف .

(٢) سورة الشعراء آية ٢٢١ .

المسلك الثاني : مسلك القرآن في هذا الموضوع : " وهو المسلك النقلي "

الرسل والأنبياء من خيرة أهل زمانهم أخلاقا وسلوكا ، وأعلاهم نسبا ، يقضون فترة حياتهم قبل النبوة على نهج مستقيم لايؤخذ عليهم في سلوكهم ومعاملاتهم أي مأخذ ، الى أن يأتيهم أمر الله تبارك وتعالى لانقاذ الامة مما حل بها من تدهور وانحراف في العقيدة والاخلاق ، فيواجهون اقوامهم بتلك الدعوة الخيرة التي تأخذ بأيديهم الى سبل الخير والرشاد ، من غير ان يطلبوا منهم أجراً على تبليغ ذلك الامر وتحمل تلك المشقة ، فيما يصلح احوالهم ، ولا يريدون مخالفتهم الى ما ينهو ننهم عنه ، وانما يريدون بذلك الاصلاح ، كما قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام : " قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بنية من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه إن أريد الا الاصلاح ما أستطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب " (١)

ويحدثنا القرآن الكريم بأن فريقا من المدعوين صدق هؤلاء المرسلين فآمن بهم وبدعوتهم وتابعهم فيما يدعونهم اليه ، وأن جماعة آخرين كذبوهم ولم يؤمنوا بدعوتهم بل رموهم بالكذب والافتراء .

يقول تعالى : " واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون .
اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون . قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون ... الى قوله وجاء من اقصا المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون " (٢)

---

(١) " سورة هود آية ٨٨ " . (٢) سورة يس آية ١٣ ـ ٢٣ "

كما بين القرآن الكريم أن الدافع لأولئك المكذبين لرسل الله وأنبيائه هو الكبر والحسد ، وليس هو التباس الحق بالباطل فى نظرهم ، ذلك لانهم يعرفون رسلهم الذين ارسلوا اليهم فلم تخف عليهم سيرتهم واحوالهم . ولم يكونوا فى موضع الاتهام والريبة ؛ يقول تعالى : " أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون " . " أى أنهم لا يعرفون محمدا وصدقه وأمانته وصيانته التى نشأ بها فيهم أفيقدرون على انكار ذلك والمباهتة فيه ، ولهذا قال جعفر ابن أبى طالب رضى الله عنه للنجاشى ملك الحبشة : ايها الملك ان الله بعث فينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته ، وكذلك قال ابو سفيان لملك الروم هرقل حين سأله وأصحابه عن صفات النبى صلى الله عليه وسلم ونسبه وصدقه وأمانته ، وكانوا بعد كفارا لم يسلموا ، ومع هذا لم يمكنهم الا الصدق فاعترفوا بذلك (١) وكان مما قاله هرقل : وهكذا الانبياء تبعث فى نسب قومها " (٢)

لكن حين يتمادى المكذبون للرسل فى عنادهم ، ويشتد تعنتهم على أنبيائهم فيطلبون منهم الحجج والبينات الدالة على صدقهم فيما يدعونهم اليه ، وأن الذى جاءوا به هو من عند الله ، نجد اجابة الرسل لهم على ذلك فى الغالب أن تلك الحجج والبينات هى بأمر الله ومشيئته ، فان أراد الاتيان بها فهو القادر على ذلك ، .

أما هم فبشر مثلهم لا يمتازون عليهم الا بما خصهم الله به من وحيه ورسالته ؛ ومع ذلك فقد اوضح القرآن الكريم أيضا أن بعض الأنبياء قد يلجئون الى الله تبارك وتعالى ، الذى ارسلهم فيطلبون منه أن يمدهم بتلك الآيات ، فيمدهم سبحانه ويصدقهم فى دعوتهم ، ويستشهدون به فيشهد لهم ،

---

(١) ابن كثير ، التفسير . ج ٣ ص ٢٥٠

(٢) محمد بن اسماعيل البخارى ، صحيح البخارى ، كتاب الوحى من فتح البارى ج ١ ص ٣٢

يقـــول تعالى : " اذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينـــزل علينا مائدة من السماء قال اتقـــوا الله ان كنتـــم مؤمنيـــن ٠
قالوا نريد أن نأكل منهـــا وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكـــون عليها من الشاهدين ٠ قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيـــدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنـــا وانت خيـــر الرازقين ٠ قال الله انى مـــنزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبـــه عذابا لا أعذبـــه أحدا من العالميـــن " (١)

وقـــد امد الله جميع انبيائه ورسله بآيات بينات وحجج واضحات ، لا يستطيع البشر الاتيان بمثلهـــا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، كفلق البحر بضربة عصـا ، وقلـــب العصا حية ، واحياء الموتى ، وانشقاق القمر ، وانزال القرآن ٠
أيد بهم تبلك المعجزات التى لا يقدر عليها الا الله الخالق ، القوى القادر الـــذى اذا اراد شيئا قال له كن فيكون ٠

المعجزة = تعريفهـــا :

قال فى لسان العرب " المعجزة بفتح الجيم وكسرها ، مفعلة من العجز اى عدم القدرة (٢) ٠

يقال ابو منصور عبد القادر البغدادى فى كتابه أصول الدين : " المعجزة فى اللغة مأخوذة من العجز الذى هو نقيض القدرة ٠ والمعجزة فى الحقيقية فاعل العجز فى غيره وهو الله تعالى ، كما أنه هو المقدر لأنـــه فاعـــل القدرة فى غيره ٠ وانما قيل لأعلام الرسل عليـــهم السلام معجزات لظهور عجز المرسل اليهم عن معارضتهـــم بأمثالها " ٠ (٣)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " وآيات الانبياء من فعل الله سبحانه وتعالى يفعلها آية وعلامة لهم على صدقهم كما انشقاق القمـــر ،

(١) سورة المائدة آية ١١٢ ـ ١١٥ ٠
(٢) ابن منظور ، لسان العرب مادة ، عجز ٠
(٣) أبو منصور عبد القاهر البغدادى ٠ أصول الدين ص ١٧٠ ، الطبعة الاولى سنة ١٣٤٦هـ ١٩٢٨م

وقلب العصا حية ، واخراج يده بيضاء ، والاتيان بالقرآن ، والاخبار بالغيب الذى يختص الله به ، فأمر الآيات الى الله لا الى اختيار المخلوق ، والله يأتى بها بحسب علمه وحكمته وعدله ومشيئته ورحمته (١)

ويقول ابن حزم ـ فى الفصل ـ موضحا لبراهين النبوة بعد أن تكلم عن ضرورتها ، :

" واذ قد تكلمنا على انه لا بد من نبوة ، وصح ذلك ضرورة ، فلنتكلم على براهينها التى يصح بها علم صدق مدعيها اذ وقعت ، فنقول : انه قد صح أن البارى تعالى هو فاعل كل شىء ظهر ، وأنه قادر على اظهار كل متوهم لم يظهر ، وعلمنا بكل ما قدمناه أنه تعالى مرتب هذه الرتب فى العالم ، ومجريها على طبائعها المعلومة منا ، الموجودة عندنا ، وأنه لا فاعل فى الحقيقة غيره تعالى (٢) ثم رأينا خلافا لهذه الرتب والطبائع قد ظهرت ، ووجدنا طبائع قد احيلت ، وأشياء فى حد الممتنع قد وجبت ووجدت ، كصخرة انفلقت عن ناقة ، وعصا انقلبت حية ، وميت احياه انسان ومئين من الناس رووا وتوضئوا اكلهم من ماء يسير فى قدح صغير يضيق عن بسط اليد فيه لا مادة له . فعلمنا ان محيل هذه الطبائع ، وفاعل ـ هذه المعجزات هو الاول الذى احدث كل شىء ، ووجدنا هذه القوى قد أصحبها الله تعالى رجالا يدعون اليه ويذكرون انه تعالى أرسلهم الى الناس ، ويستشهدون به تعالى ، فيشهد لهم بهذه المعجزات المحدثة منه تعالى فى حين رغبة هؤلاء القوم اليه فيها ، وضراعتهم اليه فى تصديقهم بها ، فعلمنا علما ضروريا لا مجال للشك فيه أنهم مبعثون من قبله عز وجل ، وانهم صادقون فيما أخبروا به عنه تعالى ، اذ لا سبيل فى طبيعة مخلوق فى العالم الى التحكم على البارى ، ولا على طبائع خلقه بمثل هذا ، ووجوب النبوة اذ ظهر على مدعيها معجزة من احالة الطبائع المخالفة لما بنى عليه العالم (٣) .

---

(١) ابن تيمية ، النبوات ص ٢٨٢ طبعة سنة ١٣٤٦هـ

(٢) أى لهذه الاشياء المخلوقة بطبائعها الموجودة عليها .

(٣) ابن حزم ، الفصل فى الملل والاهواء والنحل ص ٥٨ ، ٥٩ ج ١ طبعة سنة ١٣٨٤هـ مطبعة محمد على صبيح بالازهر بمصر . ١٩٦٤م

ونخلص من هذا الى أن المعجزة فى الاصطلاح الصرفى :

هى الامـر الخارق للعادة ، السالم من المعارضة ، المقرون بالتحدى المقصود منه بيـان صدق من أدعى أنـه رسول الله " .

ووجه دلالتها على صدق مدعى الرسالة : أنها كانت مما يعجز الخلق عن الاتيان بمثلها لما لم تكن الا فعلا لله سبحانه وتعالى .

وقد سماها القرآن الكريم ، آية ، وبينة ، وبرهانا :

قال تعالى : " ... ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله لكل أجل كتاب (١) "

وقال تعالى : " ... ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون (٢) "

وقال تعالى : مخاطبا موسى عليه السلام : " أسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين (٣) "

ويقص علينا القرآن الكريم تعنت كثير من الأمم على أنبيائهم ، وطلبهم منهم الآيات الدالة على صدقهم ، فقد حكى الله تعالى ، عن قوم صالح عليه السلام قولهم : " انما انت من المسحرين ، ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين (٤) "

وعن قوم هود عليه السلام قولهم : " قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين " (٥) .

وعن فرعون قوله لموسى عليه السلام : " قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين (٦) "

---

(١) سورة الرعد آية ٣٨
(٢) سورة المائدة آية ٣٢
(٣) سورة القصص آية ٣٢
(٤) سورة الشعراء آية ١٥٣ ، ١٥٤ .
(٥) سورة هود آية ٥٣
(٦) سورة الأعراف آية ١٠٦

أنواع المعجـــزات :

اقتضت حكمة الله تعالى أن يخص كل رسول بما يثبت صدقه ويؤيد دعوته ، ويقنع من أرسل اليهم بأن الذى جاء بـه انما هو من عند الله ، وليس من صنعه ، واختراع خياله افتراء على الله وتضليلا لهـــم ،

وقد ورد فى القرآن كثير من أنواع تلك الآيات العظيمة الخارقـــة لمألـوف البشر الدالة دلالة صريحـة على صدق انبيائه تعالى فيما يدعون اليه . ولما كان القصد من تلك المعجزات انما هو تأييد الرسل واظهار صدقهم فيمـا يبلغونه عن ربهم فقد اقتضت حكمته تعالى ان تكون تلك الايات والبراهيـــن من جنس ما برع فيه أهل زمانهم غالبا ليكون عجزهم عنها حجة عليهـــم ؛ فلما برع قوم موسى عليـــه السلام فى فنـــون السحر آتاه الله معجزة من هذا الباب ، فجاءهم بما يبهر عقولهم ويخضع رقابهم ، مما جعل السحرة العالمين بفنون السحر يدركون ان ذلك الامر ليس من جنس السحر ، وانما هو من عنـد الله ، تأييدا لرسوله فأسرعوا الى الايمان بالله ، و تصديق رسوله فيمـــا دعاهم اليه ، ولم يردهم عن ايمانهم بخالقهم تنكيل فرعون وبطشه بهـــم .

وكذلك كانت معجزة عيسى عليه السلام فقد برع قومـــه فى فنون الطـــب ـ كما يرى ابن كثير (١) ـ فجاء هم بما يعجز عنه الأطباء من ابراء الأكـــمه والأبرص ، واحياء الموتى .

وكذلك معجزة خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة ، فلما كـان العرب فى عهد بعثته قد نبغوا فى البلاغة والفصاحة وتفوقوا على غيرهم فى صناعة الكلام وضروب البيان كانت معجزته ، الكبرى الباقية ما بقيت شريعته (القرآن الكريم) .

---

(١) ويعلل ابو زهرة كون معجزات المسيح من هذا النوع لا لأن أهل زمانه كانوا اطباء ، بناء على رأى الفيلسوف المؤرخ الفرنسى " رينان " من أن اليهود ليسوا علـى علم بالطب ـ وانما لأن أهل زمانه قد سادهم انكار الروح فى اقوال بعضهـــم وافعال جميعهم ، فجاء عليه السلام بمعجزة هى فى ذاتها أمر خارق للعبادة مصدق لما يأتى به الرسول ، وهى اعلان صادق للروح وبرهان قاطع على وجودها محمد ابو زهرة ، محاضرات فى النصرانيه ، الطبعه الثانيه سنة ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م

يقول ابن كثير فى البداية والنهاية :

" كانت معجزة كل نبى فى زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان ، فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزته بما يناسب أهل زمانه ، وكانوا سحرة أذكياء ، فبعث بآيات بهرت الأبصار ، وخضعت لها الرقاب ، ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهى اليه وعاينوا ماعاينوا من الأمر الباهر الهائل الذى لايمكن صدوره الا عمن أيده الله ، واجرى الخارق على يديه تصديقا له أسلموا سريعا ، ولم يتلعثموا ، وهكذا عيسى ابن مريم بعث فى زمن الطبائعية الحكماء ، فأرسل بمعجزات لايستطيعونها ولايهتدون اليها ، وأنى لحكيم ابرأ الأكمه الذى هو أسوأ حالا من الأعمى والأبرص والمجذوم ، ومن به مرض مزمن ، وكيف يتوصل أحد من الخلق الى أن يقيم الميت من قبره ، هذا مما يعلم كل أحد أنه معجزة دالة على صدق من قامت به ، وعلى قدرة من أرسله ، وهكذا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين بعث فى زمن الفصحاء البلغاء ، فأنزل الله عليه القرآن العظيم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فلفظه معجز تحدى به الانس والجن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة ، وقطع عليهم بأنهم لايقدرون لا فى الحال ولا فى الاستقبال ، فلم يفعلوا ولن يفعلوا ، وما ذاك الا لأنه كلام الخالق عز وجل والله تعالى لايشبهه شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله . (١) .

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية جـ ٢ ص ٨٤ ، الطبعة الاولى سنة ١٩٦٦م ص ٢٠

المعجـــزة الخالدة :

كانت الرسالات السابقة على رسالة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم رسالات موقتـة تحمل طابع الخصوصية ، اذ كل نبى كان يبعث الـــى قومـه خاصة ، حتى إنـــه فى الزمن الواحـد كان يبعث نبيان كل منهما الـــى قرية او جماعة ، كما فى قصـة ابراهيـم والوط عليهـما السـلام ؛ وقد انزل الله على أولئـك الانبيـاء كتبا سماويـة متضمنة لهدايـة تلك الأمم فى دينهـم ودنياهـم ، ولعلمـه سبحانه وتعالى ، أن تلك النبوات موقتـة بزمن ، فقد كانت تلـك الكتب المنزلـة أيضـا تحمل حلولا موقتـة بقـدر ذلك الزمـن ، وبما يتسـع له أفق تلـك الأمـة ، وما يصـل اليـه ذلك العصـر من تقـدم وازدهـار ؛ ومما يوضـح ان تلك الرسـالات تنتهـى بزمن ظهـور الرسالـة العامة للناس جميعـا ما يأتـى : ـ

أولا : أن الله سبحانه وتعالى لم يتكفـل بحفظ تلك الكتب السماويـة المنزلـة على أولئـك الانبياء ، وانما وكل حفظها الى علمائهـم ، يقول تعالى : " انا انـزلنـا التوراة فيهـا هدى ونور يحكم بها النبيـون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيـون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليـه شهداء فـلا تخشـوا الناس واخشـون ولا تشتروا بآياتـى ثمنـا قليـلا ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئـك هم الكافرون " (١)

وهذا تكليف من الله لهم بحفظ تلك الكتب ، والمكلف قد يؤدى ما كلف بـه كاملا وقد يقصر فى أدائه ، بل قد يعصى ويخالف ما أمر به ، وهـذا هو الذى حدث من اولئك المستحفظين ، فقد مدوا يد العبث الى تلك الكتب السماوية فحرفوا وبدلوا ، كما حدثنا القرآن بذلك .

---

(١) سورة المائدة آية ٤٤ .

ثانيـــا : أن معجزة كل نبى من أولئك الأنبياء عليهم السلام ، كانت منفصلة عن صلب منهجه التشريعى ، أى عن الكتاب الذى انزل عليه ، فهى آية حسية ، مما جعلها مقصورة على الطائفة التى شهدت بعثة ذلك الرسول وحضرت زمنه ، مثل قلب العصا حية ، واخراج اليد السوداء بيضاء ـ وابراء الأكمه والأبرص ، واحياء الموتى ، ولذا فهى باقية بباء بقاء الله لها .

أما معجزة خاتم الأنبياء ، فهى خالدة كخلود رسالته ، مشهودة لكل من أتى بعد زمنه ، كشهود من حضر زمنه ، تلك المعجزة هى " القرآن الكريم " الذى تحدى به الانس والجن وقطع بعجزهم عن الاتيان بمثله ، أو بسورة من مثله ، فكانت معجزته فى صلب منهجه ، أى فى ضمن الكتاب الذى أنزل عليه ، ولذا فهى باقية ببقاء ذلك الكتاب المنزل ، المشتمل على المعجزة ، الذى تعهد الله بحفظه ، ولم يكله الى علماء الأمة الاسلامية كما وكل حفظ تلك الكتب السابقة الى علمائها ، فقال تعالى : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (١)

وهذا لايعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعط آية حسية ، كما أعطى الأنبياء قبله ، فانشقاق القمر ، المدلول عليه بقوله تعالى : " اقتربت الساعة وانشق القمر . وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر (٢) آية حسية . وفى صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه " أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر " . وكذلك روى من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : " انشق القمر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم شقين : فقال : اشهدوا (٣)

---

(١) سورة الحجر آية ٩ (٢) سورة القمر آية ١ ، ٢ .

(٣) محمد بن اسماعيل البخارى ـ صحيح البخارى / باب سؤال المشركين أن يريهم النبى (ص) آية ، فأراهم الشقاق القمر ، من فتح البارى ج ٦ ص ٦٢١ رقم حديث عبد الله بن مسعود ٣٦٣٦ وحديث أنس ٣٦٣٧ ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى

ونبـــع الماء من بين أصابعه ، كما فى حديث أنس رضى الله عنه ، المتفق عليه قال :
" أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإناء وهو بالزوراء ، فوضع يده فـــى الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ القوم ، قال قتـــادة قلت لأنس : كم كنتـــم ؟ قال : ثلاثمائـــة ، أو زهاء ثلاثمائـــة " (١)

واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل :

فقد روى البخارى من حديث أنس بن مالك ، يقول أى أنس " قال ابو طلحـــة لأم سليم : لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفـــا اعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟
قالت : نعم ، فأخرجت أقراصا من شعير ، ثم أخرجت خمارا لها فلفت الخبز ببعضـــه ، ثم دسته تحت يدى ولاثتنى (٢) ببعضه ، ثم ارسلتنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلك أبو طلحة ؟ فقلت : نعم . قال : بطعام ؟ قلت : نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معـــه : قوموا . فانطلـــق وانطلقت بين ايديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم .
فقالت : الله ورسوله اعلم . فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معـــه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلمى يا أم سليم ما عندك ، فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت ، وعصرت أم سليم عكة فآدمتـــه ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ماشاء الله ان يقول ،

---

(١) محمد بن اسماعيل البخارى / صحيح البخارى / باب علامة النبوة فى الاسلام / من فتح البارى ج ٦ ص ٥٨٠ ، رقم الحديث ٣٥٧٢ ، ومسلم / باب فى معجزات النبى (ص) ج ٤ ص ١٧٨٢ ترتيب محمد فؤاد عبد الباقى رقم الحديث ٦
(٢) أى لففتنى به يقال لاث العمامة على رأسه أى عصبها ، والمراد أنها لفت بعضه على رأسه وبعضه على أبطه . من فتح البارى ج ٦ ص ٥٨٩

ثم قال : ائذن لعشرة ، فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : ائذن لعشرة فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : ائذن لعشرة ، فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : ائذن لعشرة ، فأكل القوم كلهم حتى شبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا " (١)

هذه الآيات الخارقة للعادة كلها آيات حسية ، وهناك آيات أخرى لا يتسع المقام لذكرها ، وقد جاءت على يده صلى الله عليه وسلم لا للتحدى بها ، وانما لبيان أن نبوته صلى الله عليه وسلم من جنس النبوات السابقة ، والا فان القرآن الكريم كان — بتوجيهاته يصرف الناس عن طلب مثل هذه الايات — لأن سنة الله اقتضت أن مثل تلك الآيات اذا أتى بها ولم يؤمنوا حل عليهم عذاب الاستئصال ، كما حل بالأمم السابقة قبلهم (٢) والله يريد لهذه الأمة البقاء — ولذا نراه يوجههم الى التأمل فى هذه الآية المعنوية " القرآن الكريم " وما اشتمل عليه من هداية ، وارشاد ، تلك الآية التى ستبقى للأجيال بعدهم ، اذ أنها آية ما بعدها آية وقد عجزوا عن الاءيتان بمثلها ، بل بسورة من مثلها ؟

يقول تعالى : " وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين ، أو لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون " (٣)

---

(١) محمد بن اسماعيل البخارى ، صحيح البخارى / باب علامات النبوة فى الاسلام / من فتح البارى ج ٦ ص ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، رقم الحديث ٣٥٧٨ ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى

(٢) الا قوم يونس فقال تعالى : " فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين " سورة يونس آية ٩٨

(٣) سورة العنكبوت آية ٥٠ ، ٥١ "

الفصل الخامس

مسلك القرآن فى اثبات البعث والجزاء

تمهيد :

خلق الله العباد لطاعته ، وكلفهم بعبادته ، كما قال تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (١) ، وقد رسم لهم سبيل الخير ، كما بين لهم طرق الشر ، ولما كانت الطبيعة البشرية فيها الاستعداد لقبول الخير والشر ، كما قال تعالى (ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها (٢)) فقد يطغى جانب الشر أحيانا على جانب الخير ، استجابة لداعى الشهوة ، الموجودة فى الطبيعة البشرية ، فهى غالبا ما تجمح بصاحبها إلى تعدى الحدود التى يتحتم على المرء ألا يتجاوزها ، فيوقع الظلم على الآخرين .

وواقع الحال يبين لنا أن كثيرا ممن ارتكبوا تلك الجرائم فى حق غيرهم ، وأوقعوا الظلم بالآخرين قد غادروا هذه الحياة الدنيا ، ولم ينل المظلوم حقه منهم ، مع العلم بأن كل ذلك واقع بعلم الله القوى القادر السميع البصير ، الذى يمهل ولا يهمل ، والذى حرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرما .

ولما كان الظالم والمظلوم قد غادرا هذه الحياة الدنيا ، ولم يأخذ المظلوم حقه من ظالمه ولما كانت عدالة الله تعالى تقتضى القصاص وأن يأخذ المظلوم حقه من الظالم كان لابد من حياة أخرى ، غير هذه الحياة ، يتم فيها تقاضى الحقوق بين العباد ويقتص فيها للمظلوم من الظالم ، هذه الحياة هى التى تكون فى الآخرة ، حين يبعث الله الناس من قبورهم ، (يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون) (٣) ولذا كان من المحتم على المرء الاعتقاد ، بوقوعه وتحققه . وهذا أمر يرشد اليه العقل ، ويحتمه المنطق ، وتدل عليه النصوص الدينية ، قال تعالى : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون) (٤) .

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦
(٢) سورة الشمس آية ٧ ، ٨
(٣) سورة المعارج آية ٤٣
(٤) سورة المؤمنون آية ١١٥

وقال تعالى : (أيحسب الانسان أن الانسان أن يترك سدى ٠ ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى ٠ فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ٠ أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) (١) ٠

لكن كثيرا من الناس قد ضلوا فى هذا الباب ، فقصرت عقولهم عن ادراك هذا المعنى فأنكروا البعث بعد الموت ، بلا دليل ، سوى أنهم استبعدوا وقوعه بعد تفتت الأجساد وتمزقها ٠

قضية البعث:

ولما كانت قضية البعث والحساب ، واعادة الحياة الى الموتى بعد تفتت تلك الأجساد ، واختلاطها بأجزاء الأرض ، من معضلات العقيدة ، شأنها فى ذلك شأن قضية الوحدانية ، فى الغرابة والاستبعاد ، وقد اقتضى هذا الاستبعاد تعجب المنكرين للبعث ووقوعه ، ممن يقولون به ، مبينا وموضحا تعجب هؤلاء المنكرين : (ق والقرآن المجيد ٠ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب ٠ أءذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) (٢)

لذلك فقد سلك القرآن الكريم لاثباتها مسالك مختلفة فى طريقة العرض والاستدلال ، فتارة يذكر الشبهة ثم يرد عليها ، وأخرى يذكر الدليل أولا وبعد استقامته يورد القضية ، وحينا يخبر عن وقوع ذلك البعث والحساب خبرا قاطعا ، مع طيي الدليل لوضوحه ٠

وقد تجلى مسلك القرآن الكريم فى عرضه للقضية بأسلوبه الفطرى السهل الواضح لأنه خطاب للفطرة البشرية بما هو فى متناول ادراكها ٠ وقد عنى القرآن الكريم بقضية البعث عنايته بقضية الوحدانية ، فكما تعددت الآيات الدالة على اثبات الوجود الالهى ووحدانيته ، فقد كثرت الآيات التى تقرر البعث ٠ وتؤكد وقوعه ٠

وأعظم حجة لدى المنكرين للبعث ، والأحرى أن نسميها أعظم شبهة لديهم هى : استبعاد اعادة الأجسام بعد تمزقها ، وتفتتها ، ثم اختلاطها بأجزاء الأرض ، اذ تصبح متصورة بصورة التراب ، فكيف يمكن اعادتها الى حالتها التى كانت عليها من قبل ؟؟

هذا أمر غريب على عقول المنكرين ، وعجيب فى نفس الوقت عندهم ، والحديث

---

(١) سورة القيامة الآيات من ٣٦ ــ ٤٠
(٢) سورة ق آية ١ ــ ٣

نعته خرافة ، والمتحدث به ، اما مفتر على الله الكذب ، واما مجنون سلب عقله ، فخيل له جنونه ذلك الحديث وأجراه على لسانه .

وقد عبر شاعرهم عن ذلك الانكار ، مبينا أن الحديث عنه خرافة بقوله :

حياة ثم موت ثم نشـــر حديث خرافة يا أم عمـــرو
أيوعدنا بأنا بعد موت نكون وكيف حياة أصداء وهام (١)

ويقول الحق جل شأنه ، مخبرا عن ذلك الجحود العنيد والانكار الشديد ، ونسبتهم الى قائله الجنون ، أو الكذب والافتراء على الله : (وقال الذين كفروا هل ندلكم علـــى رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد .

أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضـــلال البعيد . أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهـــم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب)(٢) .

فقد عجب كفار قريش من هذا الحديث الذى لم تستوعبه عقولهم ، فظنوا أن هذا الايجاد عبث لأن الحديث عن بعث هذه الأجسام لمجازاتها على أعمالها فى حياتها الدنيا حديث خرافة ، أو حديث كذب وافتراء على الله ، أو مس من جنون أصاب قائلـــه ، فأجرى على لسانه هذا الحديث العجيب الغريب ، ولذا فقد انطلقوا يخاطب بعضهـــم بعضا ، بهذا القول الذى حكاه الله عنهم ، قائلين (هل ندلكم على رجل ينبئكـــم) أى يحدثكم أو يخبركم بما تتعجبون منه لغرابته ، وهو أنكم اذا مزقتم كل ممزق ، فتفرقـــت أجسامكم ، واختلطت بأجزاء الأرض ، فأصبحتم ترابا ، (انكم لبعد ذلك كله (لفى خلـــق جديد) أى ستخلقون خلقا جديدا فتعودون كما كنتم . ثم قالوا بعد ذلك التعجـــب والاستغراب ان هذا الحديث الصادر من هذا الرجل ، ما هو الا افتراء على الله وكـــذب عليه ، (أفترى على الله كذبا) أو أن قائله مسلوب العقل فجنونه يوهمه ذلك الأمر ويلقيـــه على لسانه (أم به جنة) .

وقد بين سبحانه وتعالى ، أن الأمر ليس كما ذكروا ، فليس الرسول صلى الله عليـــه وسلم مفتريا على الله ، كما أنه لم يمسه جنون ، وانما الأمر راجع اليهم هم ، فعـــدم ايمانهم بالآخرة ، المترتب على عدم الايمان بقدرة الله ، هو اختلال فى العقل ، وغاية الضلال عن الفهم والادراك ، لقدرة الخالق ، وجلال حكمته .

---

(١) جواد على - تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٤٦ ج ٦

(٢) سورة سبأ آية ٧ — ٩

لا سيما وأدلة القدرة على ذلك مشهودة ومعاينة ، ثم ذكرهم بتلك الأدلة فقال : ((أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية) آية : أى دلالة واضحة على قدرة الله ، فكيف يستبعد عليه اعادة تلك الأجسام الضعيفة بعد تفرقها • وهو القادر على خلق هذه الآيات العظيمة ، من السماء والأرض ، ذلك هو دليل البعث ، لأنه يدل على كمال القدرة ، ومن المقدور عليه اعادة خلق الانسان وايجاده مرة أخرى ، وقد قرن هذا الدليل بالتهديد حيث قال : (ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء) ، ثم بين تعالى أن المنتفع بتلك الآيات كل من يرجع الى ربه ويتوب اليه • لا من يتمادى فى عناده وتعصبه ، فقال تعالى : (ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب) •

مسالك القرآن الكريم :

ذكرنا فى التمهيد أن القرآن الكريم فى معالجته لقضية البعث والجزاء ، تارة يعرض شبهة المنكرين ثم يرد عليها ، وأخرى يذكر الدليل على البعث أولا وبعد أن يتقرر ويتضح يورد القضية ، وحينا يخبر عن وقوع البعث والجزاء خبرا قاطعا مع طى الدليل لوضوحه •

ولما كان القرآن الكريم قد استوعب عددا كثيرا من الآيات التى تعالج هذا الموضوع فسنعرض نماذج منها تحت تلك المسالك المشار اليها ، إذ لا سبيل إلى استيعاب تلك الآيات كلها فى هذا البحث •

المسلك الأول : عرض الشبهة ثم الرد عليها :

أشرنا فى التمهيد الى أن أعظم شبهة عند المنكرين للبعث ، هى شبهة الاستبعاد ، فقد قالوا : كيف يمكن اعادة الأجسام الى حالتها الطبيعية التى كانت عليها ، بعد أن صارت ترابا ؟؟ ذلك أمر غير معقول عندهم •

وفى النموذج التالى عرض لهذه الشبهة ، وبيان لانكارهم وتعجبهم ممن يؤمنون بالبعث ، ثم دحض لتلك الشبهة ، وبيان لزيفها بالأدلة الواضحة البينة المشهودة •

يقول الله تعالى حاكيا عن المشركين استبعادهم وقوع البعث بعد الموت وعدم امكانه

وتعجبهم من شأنه وشأن القائل به .

١ — : (ق والقرآن المجيد .

٢ — بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب .

٣ — أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) (١)

يقسم تبارك وتعالى بالقرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى هو تنزيل من حكيم حميد ، وجواب القسم هو مضمون الكلام الآتى بعد القسم ، وهو اثبات النبوة ، واثبات المعاد وتقريره وتحقيقه (٢) ، ثم يحكى تعجب المشركين من أن يأتيهم منذر منهم ، أى بشر من جنسهم ، ولم لا يكون من جنس آخر كالملائكة مثلا ؟

ثم يتبع ذلك بما هو أعجب عندهم من دعوى النبوة ، وهو اخبار الرسول لهم ، بأن بعد هذه الحياة الدنيا ، حياة أخرى ، وهى بعثهم من قبورهم أحياء ، مرة ثانية ، للحساب والجزاء على الأعمال الكائنة منهم فى تلك الحياة الماضية ، اذ كيف يمكن وقوع ذلك بعد ما تمزقت الأجسام وتفرقت بحيث أصبحت ترابا ؟؟

ان القول برجعة تلك الأجسام مرة أخرى أمر مستبعد ، ومستحيل فى اعتقادهم ، (أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) .

لكن هذه الاستحالة وذلك الاستبعاد الذى يعبرون عنه بالنسبة لمن ؟؟

هل يكون ذلك بالنسبة للقدرة الالهية التى إذا أرادت الشئ قالت له كن فيكون فى نفس اللحظة من غير توقف على شئ آخر أصلا ؟؟

أو يكون بالنسبة لقدرهم العاجزة ؟؟

الواقع أنهم يعبرون بذلك عن أنفسهم ، ويستبعدون البعث وقوعه ظنا منهم أن قدرة الله تشبه قدرتهم ، فقاسوا قدرة الله على قدرتهم وقياس الغائب على الشاهد باطل فى نظر العقلاء ، ولذلك صور الله عز وجل هذا الظن الخاطئ فى قوله تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم) (٣) ولذا فقد استعظمت عقولهم هذا الأمر وجعلته فى حكم المستحيل ، ولا فلو نظروا بغير هذه النظرة القاصرة ، وتأملوا فى أنفسهم فى مبدأ خلقهم ، وفيما بين أيديهم من الآيات الدالة على القدرة الالهية التى لا يعجزها شئ متى ما أرادته لما صدر منهم هذا القول المنكر .

---

(١) سورة ق آية ١ / ٣ .

(٢) سورة ابن كثير ، التفسير ج ٤ ص ٢٢١

(٣) سورة يس آية ٧٨

وبعد ذكره تعالى للشبهة التي ينكتون عليها يبدأ في الرد عليهم فيقول :

١ — (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ .
٢ — بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج .
٣ — أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج .
٤ — والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج .
٥ — تبصرة وذكرى لكل عبد منيب .
٦ — ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد .
٧ — والنخل باسقات لها طلع نضيد .
٨ — رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج (١)

فنراه تبارك وتعالى يحشد في هذه الآيات عددا من الأدلة ، المعنوية منها والحسية المشاهدة ، التي تخاطب العقل وتستثير الوجدان .

٢ — الأدلة المعنوية (العقلية) .

بين سبحانه وتعالى في الآية الأولى ، أنه لا مكان لهذا الجحد ، ولا وجه لذلك الاستبعاد ، فاعادة الأجسام الى ما كانت عليه أولا ، بعد تمزقها واختلاطها بأجزاء الأرض من الأمور اليسيرة على القدرة الالهية ، ذلك أن اعادة الشئ المتفرق أجزاء ، أو المستحيل عن صورته الى صورة أخرى ، كتحول الجسم البشري الى صورة التراب مثلا ، يتوقف على أمرين .

أحدهما : العلم بتلك الأجزاء المتفرقة ، أو بتلك الصورة المستحيلة عن صورتها الاصلية .

ثانيهما : القدرة على اعادة تلك الأجزاء — أو تلك الصورة الى حالتها السابقة وقد أوضحت الآية الكريمة أن علم الله شامل ومحيط ، فهو تعالى يعلم أين ذهبت تلك الأجزاء وكيف تفرقت فقد عم علمه جميع الكائنات صغيرها وكبيرها حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم ، فاذا كان ذلك معلوما

(١) سورة ق الآيات من ٤ — ١١

لله تعالى ، ومكتوبا ومحفوظا ، كما قال تعالى (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) فكيف يستبعد عليه اعادتهم بعد حالتهم تلك أحياء كما كانوا ؟ !

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما بين النفختين أربعون . قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون يوما ؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون شهرا ؟ قال : أبيت . ويبلى كل شىء من الانسان الا عجب ذنبه فيه يركب الخلق) (١)

فدل الحديث على نقص جسم الانسان وتحلله ، وذهابه فى الأرض ، الا ذلك الجزء وهو عجب الذنب ، الذى قيل انه كحبة الخردل (٢) ، وفيه يركب الانسان ، فيبقى بعينه . والحديث على ظاهره عند جمهور العلماء . وقد خالف المزنى فقال : ان " الا " بمعنى الواو ، أى وعجب الذنب أيضا يبلى . وورد قوله هذا بما جاء صريحا به فى رواية مسلم من أن الأرض لا تأكله أبدا . ونص الرواية فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ان فى الانسان عظما لا تأكله الأرض أبدا فيه يركب يوم القيامة)) قالوا : أى عظم هو ؟ يارسول الله

---

(١) محمد ابن اسماعيل البخارى ، صحيح البخارى / كتاب التفسير / باب ٤ ونفخ فى الصور ... رقم الحديث ٤٨١٤ من فتح البارى ج ٨ ص ٥٥١ .
وقول أبى هريرة " أبيت " معناه أبيت أن أجزم بأن المراد أربعون يوما ... الخ بل الذى اجزم به أنها أربعون مجملة ، وذلك الذى سمعت .
وقد روى هذا الحديث الامام مسلم فى صحيحه فى / كتاب الفتن / باب ٢٨ ما بين النفختين / رقم الحديث ١٤١ ج ٤ ص ٢٢٧٠ ، ترقيم عبد الباقى ، وفيه ((ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل)) وبهذه الزيادة رواه البخارى أيضا ، فى كتاب التفسير / باب يوم ينفخ فى الصور — ج ٨ ص ٦٨٩ فى فتح البارى رقم الحديث ٤٩٣٥ .
(٢) جاء ذلك فى حديث أبى سعيد عند الحاكم وأبى يعلى ، قيل يارسول الله ما عجب الذنب ؟ قال : مثل حبة خردل)) والعجب ، بفتح المهملة وسكون الجيم بعدها موحدة ، ويقال له ((عجم)) بالميم أيضا عوض الباء ، وهو عظم لطيف فى أصل الصلب ، وهو رأس العصص ، وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع . فتح البارى ج ٨ ص ٥٥٢ .

قال : ((عجب الذنب)) (١)
ذاك دليل العلم .

أما دليل القدرة على الاعادة ، فقد بينته الآيات التالية لهذه الآية ، وهى الآيات المشتملة على الأدلة الحسية المشاهدة ، كخلق السماء ، والأرض ، فالقادر على خلقها مع عظمهما ، قادر على اعادة الانسان الضعيف من باب أولى ، ثم ان الاعادة للمعدوم الممكن ، من الأمور الممكنة عقلا .

فالعقل لا يمنع من أن من قدر على إيجاد الشئ ، قادر على إعادته بعد عدمه إذ أن ذلك من الأمور الممكنة التى لا يستطيع العقل السليم انكارها .

وبعد أن بين الله لهم شمول علمه واحاطته بالجزئيات والكليات اذ أن العالم بجزئيات الأشياء لا تخفى عليه كلياتها . بين لهم سبب اضطرابهم فى أمر البعث ، وأنه تكذيبهم للحق الذى جاءهم من خالقهم ، اذ الاخبار عنه حق ، والمخبر به صادق قال تعالى (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج) أى مضطرب غير مستقر .

ب ـ الأدلة الحسية :

وبعد ذكره تعالى ، لشمول علمه واحاطته ، ثم بيانه لسبب اضطرابهم فى أمر البعث .

اتجه الى نوع آخر من الأدلة ، وهى الأدلة الحسية المشاهدة ، الدالة على كمال قدرته سبحانه وتعالى ، فقال تعالى منكرا عليهم عدم اعتبارهم بهذه الأدلة المشهودة على القدرة الالهية : (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) فهذه السماء التى يدرجون تحتها أفلا ينظرون الى ابداعها وحسنها ، واحكام بنائها ، وما زينت به من كواكب ثابتة وسيارة ، ألم يأخذوا منها دليلا على القدرة المبدعة التى لا يعجزها شئ .

وهذه الأرض التى يمشون عليها ، أفلا ينظرون اليها ، كيف مدت لهم وأرسيت بالجبال لئلا تضطرب بهم ، وما أنبتنا فيها من الأنواع المختلفة الطعوم والأشكال رزقا للعباد قال تعالى (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) ثم بين تعالى أن هذه الآيات الكونية جميعها أوجدها تبارك وتعالى (تبصرة وذكرى) أى تبصيرا وتذكيرا (لكل عبد منيب) راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنعه .

---

(١) مسلم : صحيح مسلم / كتاب الفتن وأشراط الساعة / باب ما بين النفختين / رقم الحديث ١٤٣ ج ٤ ص ٢٢٧١ ترقيم عبد الباقى .

ثم تابع الأدلة الحسية على البعث ، فضرب لهم مثلا باحياء الأرض بعد موتها فقال : (ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد • والنخل باسقات لها طلع نضيد • رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) •

فهذا مثل ضربه الله للمنكرى البعث بما يشاهدونه من حال الأرض قبل نزول المطر عليها وهى جدباء مقفرة ، فحين ينزل عليها الماء تهتز وتربو فتنبت من كل زوج بهيج أى حسن المنظر ، وذلك بعد ما كانت يابسة لانبات فيها ، فأصبحت تهتز خضراء (١)

فهذا مثال للبعث والاحياء بعد الموت والهلاك ، ولذلك يقول جل شأنه (كذلك الخروج) يقول جل شأنه أى مثل ذلك الأخراج للنبات من الأرض ، يحيى الله الموتى فيخرجهم من قبورهم أحياء للحساب والثواب والعقاب •

فهذا المشاهد بالاحساس من آثار قدرته تعالى أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث كخلق السماء والأرض قال تعالى (أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى ، بلى انه على كل شئ قدير (٢) واحياء الأرض بعد موتها كما قال تعالى (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير (٣) •

وكما رأينا فى هذا العرض لبراهين القرآن الكريم على اثبات البعث ، تلك البراهين التى لاتدع مجالا للشك عند العقل الفطرى السليم فى امكان وقوعه وعدم استبعاده •

فبالمقابل ، ليست لدى المنكرين لوقوعه ، حجة يستندون اليها فى انكارهم الا الاستبعاد المستند الى الوهم والظن ، كما قال تعالى (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا) (٤) اذ ليس هناك علم يقينى بامتناع البعث بعد الموت وعدم امكانه ، وانما هناك ظن ووهم ناتج عن تكذيبهم بالحق الذى جاءهم من الله تبارك وتعالى ، فالله هو الحق وقوله الحق ، وليس بعد الحق الا الضلال المبين ، ولذلك فان المكذب بالحق مضطرب ليس لديه أساس متين يستند اليه قال تعالى (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج) أى مضطرب غير مستقر •

النموذج الثانى — من المسلك الأول :

وقد أوضحت الآيات التالية من سورة ، يس ، ذلك الانكار الشديد المستند الى

(١) ابن كثير ، التفسير ج ٤ ص ٢٢٢ •
(٢) سورة الأحقاف آية ٣٣
(٣) سورة فصلت آية ٣٩
(٤) سورة الجن آية ٧

شبهة استبعاد اعادة الأجساد الى حالتها الأولى بعد أن أصبحت عظاما رميما تذروها الرياح .

يقول تعالى : ١ — (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) .
٢ — وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم
٣ — قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم .
٤ — الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم فيه توقدون .
٥ — أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم .
٦ — انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .
٧ — فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون)

سبب نزول الآيات:

ذكر المفسرون لهذه الآيات ، أن أبى ابن خلف أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده عظم رميم يفته ويذروه فى الهواء ، وهو يقول : يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا ؟؟ فقال رسول الله : " نعم يميتك الله تعالى ، ثم يبعثك ثم يحشرك الى النار . فنزلت الآيات من آخر سورة يس .

وفى رواية أن العاصى بن وائل السهيمى ، أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففته بين يديه ، فقال : يا محمد أيبعث الله هذا حيا بعد ما أرم ؟؟
قال : نعم يبعث الله هذا ، ثم يميتك ثم يحييك ، ثم يدخلك نار جهنم " فنزلت الآيات (٢)
فقد تبين لنا من أسباب النزول اعتراض بعض المشركين على الرسول صلى الله عليه وسلم فى تقريره البعث ، وقد أكدوا انكارهم ذلك بما ضربوه من المثل لله تعالى ، فكان ضروريا أن يرد عليهم انكارهم ، وأن يبطل لهم مثلهم ، والآيات وان كان سبب نزولها خاصا ، فهى عامة فى كل منكر للبعث ، لما هو مقرر فى الأصول من أن العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب ، والألف واللام فى قوله (أولم ير الانسان) للجنس فيعم كل منكر .
بنيت الآيات أن استبعاد الاعادة للأجسام بعد الموت آت من انسان لم ينظر فى مبدأ

---

(١) سورة يس الآيات من آية ٧٧ — ٨٣
(٢) محمد بن جرير الطبرى ، التفسير ج ٢٣ ص ٣٠ ، ٣١ ، الطبعة الثانية سنة ١٣٧٣هـ
وابن كثير التفسير ج ٣ ص ٥٨١ ١٩٥٤م مطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر .

خلقه أولا ، اذ لو نظر فى نشأته الأولى نظر تبصر واعتبار ، لكفاه خلقه من نطفة ، ضعيفة حقيرة ، دليلا على اعادته بعد موته ، فنسيانه لمبدأ خلقه من تلك النطفة هو الذى دعاه لهذا الانكار ، ثم ضربه المثل لله القادر ، بقدرة الانسان العاجز (أو لم ير الانسان) نشأته الأولى ، أى ألم يعلم (أنا خلقناه) أى ابتدأنا خلقه وايجاده (من نطفة) من منى يمنى وما أضعف النطفة وأعجزها (فاذا هو) بعد العجز والضعف انسان قوى ناطق (خصيم مبين) أى بعد تلك الأطوار الضعيفة أصبح يخاصم ويجادل أبين جدال وأبلغ خصام ، ومن ذلك خصامه وجداله فى أمر البعث والجزاء ، ينكر قدرة خالقه الذى أنشأه أول مرة ، ويدعى عدم قدرته على اعادته ثانيا ، (وضرب لنا مثلا) أى صفة غريبة عجيبة يعارض بها قدرتنا الثابتة بالدليل القاطع على اعادته ، فجعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ثم بين تعالى ، أن سبب ذلك هو ذهوله وعدم التفاته الى خلقه الأول فقال : (ونسى خلقه) وكان من حقه ألا ينسى فيستدل به على امكان عوده كما بدأه ، ولو تأمل فى ذلك لعلم أن القدرة التى سوته أولا لا يعجزها بأى حال اعادته ثانيا بعد أن صار كما يرى عظاما رميما مفتتا ، وأن تلك الرجعة ليست بعيدة على القوى القادر ، وقد قدم قوله (ونسى خلقه) على ضرب مثله تنبيها على جهله وغبائه وغفلته ، عما فى نفسه وبين يديه من الأدلة ، وماذا قال فى مثله الذى يعتمد عليه فى تأييد دعواه ؟؟ (قال : من يحيى العظام وهى رميم) بالية متفتة . فقد أتى ذلك المنكر للبعث المستبعد لوقوعه الى النبى صلى الله عليه وسلم آخذا بيده عظما رميما يفته ويذروه فى الهواء ، قائلا للنبى صلى الله عليه وسلم : أترى يحيى الله هذا العظم بعد ما أرم ؟؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : نعم ويدخلك النار . وقد دفع سبحانه وتعالى هذه الشبهة بقوله (قل) أمر للنبى صلى الله عليه وسلم أى ذكر هذا الناسى لفطرته الدالة على حقيقة الأمر وكمال القدرة (يحييها) أى يخلق الحياة فيها (الذى أنشأها) أوجدها من العدم (أول مرة) فى بدء الخلق والنشأة ، فهو الذى أنشأ هذا العظم الذى تفته بيدك من نطفة ما — لاعظم فيه ، فالقادر على إنشائه أولا ، ثم احلال الحياة فيه مرة أخرى ، كما قال تعالى : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ..)

لا يعجزه إعادته

يقول الفخر الرازى : (ومنهم — أى المنكرين — من ذكر شبهة وان كانت فى آخرها تعود الى مجرد الاستبعاد وهى على وجهين أحدهما أنه بعد العدم لم يبق شيئا فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود ؟ (وثانيهما) أن من تفرقت أجزاؤه فى مشارق العالم

ومغاربه وصار بعضه فى أبدان السباع وبعضه فى جدران الرباع كيف يجمع ؟ بل لو أكل انسان انسانا آخر فكيف الاعادة ؟ وقد رد على الشبهة الأولى بقوله (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) يعنى كما خلق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا ، كذلك يعيده وان لم يبق شيئا مذكورا .

أما الشبهة الثانية فقد أبطلها بقوله (وهو بكل خلق عليم) ثم ذكر الأجزاء الأصلية فى الانسان ، والأجزاء الفضيلة ، والله عالم بكل ذلك فهو يعيد كل جزء الى صاحبه ثم يعيد فيه الحياة) (١)

فعلم الله شامل بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد ـ انشاء واعادة محيط بجميع الأجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الأشخاص أصولها وفروعها ، كما قال تعالى : (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) قادر على اعادتها على النمط السابق الذى كانت عليه كما قال تعالى : (بلى قادرين على أن نسوى بنانه) والبنان أدق شئ فى الانسان وأصغره .

ثم أشبع ذلك بالأدلة المحسوسه الدالة على كمال القدرة الالهية مبينا لهم أنه لا وجه لهذا الاستبعاد ، اذ كيف يكون ذلك وبين أيديهم من الآيات الكونية الدالة على أن الخالق لا يعجزه شئ ما يكفيهم ، لو نظروا فيه بعين البصيرة والتأمل .

فقال تعالى : (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انتم منه توقدون)

فهذه آية عظيمة دالة على كمال القدرة الالهية التى توجد الضد من ضده فهذا الشجر الغض الذى يقطر ماء ، أحدث منه الخالق القادر هذه النار المضادة له ، وهذا أمر أعجب وأغرب من اعادة الغضاضة الى ماكان غضا فطرأت عليه اليبوسة والبلى .

كما أن هذه الآية متضمنة للرد على شبهة يوردها المنكر لاعادة الحياة بعد الموت ذلك أن الموت بارد يابس ، والحياة طبعها الرطوبة والحرارة ، فاذا حل الموت لم يمكن أن تحل فيه الحياة بعد ذلك لما بينها من التضاد .

والحقيقة أن الشبهة واهية وغير واردة على موضوع البعث أصلا ، ذلك أن الممتنع هو الجمع بين الضدين فى آن واحد ، أى بأن يكون الجسم حيا وميتا فى وقت واحد

---

(١) الفخر الرازى ، التفسير الكبير ج ٢٦ ص ١٠٩ الطبعة الثانية ، الناشر دار الكتب العلمية طهران .

والبعث بعد الموت ليس من هذا الباب ، لأنه حياة بعد موت ، لا مع موت ، فحين ما حل بالجسم الموت ارتفعت الحياة فبقى ميتا الى حين وقت البعث ، فلما عادت اليه الحياة مرة ثانية ارتفع الموت ، فليس هناك جمع بين ضدين .

وقد تابع أدلة الرد على المنكرين للبعث والحساب منكرا على الانسان استبعاده وقوع البعث الجسطانى وامكانه قائلا : (أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) ومتى قدر على ذلك فهو قادر على اعادة أعيانهم — ولو اتجه الانسان مع فطرته الصحيحة التى فطره الله عليها ، لأجاب بقوله (بلى) أى هو قادر على ذلك لأن هذه الاجابة هى مقتضى ما يعترفون به ولا ينكرونه (ولئن سألتم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) (١)

ولأنه تعالى (هو الخلاق العليم) أى كثير الخلق ، وكثرة الخلق ناشئ عن كمال القدرة ، وهو (العليم) الذى لا يخفى عليه شئ ، فعلمه شامل بجزئيات الأشياء وكلياتها ، كما قال تعالى (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين (٢) .

وقال تعالى (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين (٣) .

ثم دل على كمال قدرته ونفاذ مشيئته فقال (انما أمره) أى شأنه ، (اذا أراد شيئا) من الأشياء (أن يقول له كن فيكون) أى فيحدث ما أراده من غير توقف على شئ آخر فكيف يصعب على من هذه قدرته اعادة هذا الانسان بعد بلاه وتمزقه .

روى البخارى فى صحيحه عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلا فيمن سلف أو فيمن كان قبلكم — قال كلمة (٤) يعنى أعطاه الله مالا وولدا ، فلما حضرت الوفاة قال لبنيه : أى أب كنت لكم ؟ قالوا : خير أب . قال : فانه لم يبتئر (٥) — أو لم يبتئر عند الله خيرا وان يقدر الله عليه يعذبه ، فانظروا اذا مت فأحرقونى حتى اذا صرت فحما فاسحقونى — أو قال فاسحكونى — فاذا كان يوم ريح عاصف فأذروني فيها . فقال

---

(١) سورة العنكبوت آية ٦١
(٢) سورة سبأ آية ٣
(٣) سورة الأعراف آية ٧
(٥) لم يبتئر — فسره قتاده لم يدخر .
(٤) قوله قال كلمة — فسرها بقوله أعطاه الله مالا وولدا أى الكلمة التى قالها قبل ذكر القصة .

نبى الله صلى الله عليه وسلم : فأخذ مواثيقهم على ذلك وربى ، ففعلوا ثم أذروه فى يوم عاصف ، فقال الله عز وجل ، كن ، فاذا هو رجل قائم ، قال الله : أى عبدى ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ قال : مخافتك ـ أو فرق منك ـ قال : فما تلافاه أن رحمه عند ها ، وقال مرة أخرى : فما تلافاه غيرها فحدثت به أبا عثمان فقال : سمعت هذا من سلمان غير أنه زاد فيه : أذرونى فى البحر أو كما حدث)) (١)

فقد دل هذا الحديث على كمال القدرة التى لا يعجزها شئ فكل ما أراده الله عز وجل متوقف على قوله له (كن) فاذا هو كائن كما أراد .

وقد أورد ابن كثير فى تفسير قوله تعالى (إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) حديثا رواه الامام أحمد عن أبى ذر رضى الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((ان الله تعالى يقول يا عبادى كلكم مذنب الا من عافيت فاستغفرونى أغفر لكم ، وكلكم فقير الا من أغنيت ، انى جواد ماجد واجد أفعل ما أشاء عطائى كلام وعذابى كلام اذا أردت شيئا فانما أقول له كن فيكون)) (٢) ثم نزه نفسه عما ينسبه اليه الكافرون من العجز فقال (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون) فبيده مقاليد السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله ، واليه ترجع العباد فى يوم المعاد فيجازى كل عامل بعمله .

النموذج الثالث ـ من المسلك الأول :

وفى سورة الاسراء يذكر الله عز وجل تلك المحاورة بين منكرى البعث والرسول صلى الله عليه وسلم فيقول تعالى : ١ ـ (وقالوا أءذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا

٢ ـ قل كونوا حجارة أو حديدا .

---

(١) محمد بن اسماعيل البخارى : صحيح البخارى ، كتاب التوحيد / باب ٣٥ قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) من فتح البارى ج ١٣ ص ٤٦٦ ـ ٤٦٧ رقم الحديث ٧٥٠٨ . ورواه فى كتاب الرقاق / باب ٢٥ الخوف من الله / من فتح البارى ج ١١ ص ٣١٢ ، ٣١٣ رقم الحديث ٦٤٨١ . ورواه مسلم فى كتاب التوبة / باب ٤ فى سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، رقم الحديث ٢٥ . ورواه الامام احمد فى المسند ج ٥ ص ٢٦٩

(٢) ابن كثير ، التفسير ج ٣ ص ٥٨٢

٣ ـ أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا ٠

٤ ـ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا) (١) فقد حكى شبهة منكرى البعث فى الآية الأولى، تلك الشبهة هى استبعاد وقوع المعاد فان عقولهم لم تتصور امكان الاعادة ووقوعها ، بعد تمزق الأجساد وتفرقها ، وقد بين لهم عز وجل أنه لامكان لهذا الاستبعاد ، ولا مجال له مع القدرة الالهية ، ولهذا وبخهم بهذا الأسلوب التعجيزى ، فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يجيبهم بقوله : (قل) يامحمد مجيبا هؤلاء المنكرين لقدرتنا ، على اعادة أجسامهم الضعيفة الى حالتها الأولى التى أوجدناها عليها ، (كونوا حجارة أو حديدا) أو أى نوع يعظم عندكم عن قبول الحياة ، لكمال المباينة ، والمنافاة بينها وبينه ، فانكم مبعوثون ، ومعادون للمجازاة على أعمالكم لامحالة ، ولكنهم بعد ما سمعوا ، أمعنوا فى جحودهم ، فقالوا : اذا كنا كذلك من حجارة أو حديد ، (من يعيدنا) ؟ فجاءهم الجواب بما هو مسلم عندهم لو عقلوا (قل الذى فطركم أول مرة) ٠ أى هو الذى انشأكم أولا ، ولم تكونوا شيئا مذكورا ، هو القادر على اعادتكم ثانيا ، وأنتم تعترفون بأنه خالقكم ، ومنشئكم (ولئن سألتم من خلقهم ليقولن الله ٠٠) فكيف تستبعد عليه الاعادة ؟؟

غير أنهم لم يعيروا هذا الدليل اهتماما ، ولذا فهم يحركون رؤوسهم استهزاء وسخرية قائلين استبعادا لوقوعه (متى هو ؟) أى متى سيكون هذا الأمر الغريب الذى تعدنا به فبين لهم سبحانه أنه قريب ذلك لأنه آت ، وكل آت قريب ، (قل عسى أن يكون قريبا) وذلك يوم يدعوا الله الخلائق فيستجيبون لتلك الدعوة ٠ قال تعالى : (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون (٢) أى اذا أمركم بالخروج منها ، فانه لا يخالف أمره ولا يمانع ، (وتظنون ان لبثتم الا قليلا) حين ترون ما وعدتم به ، كقوله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) (٣) ومثل هذه الآيات فى السورة نفسها قوله تعالى :

١ ـ (٠٠٠ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ٠

(١) سورة الاسراء آية ٤٩ ـ ٥٢
(٢) سورة الروم آية ٢٥
(٣) سورة النازعات آية ٤٦

٢ — ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا : أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا .

٣ — أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا) (١)

فقد أخبر تعالى فى الآية الأولى عن حشر المنكرين للبعث على أقبح صورة جزاء لهم على كفرهم به تعالى ، وانكارهم لآياته وتكذيبهم لأنبيائه ، ولما استعظموا اعادتهم خلقا جديدا بعد أن صاروا رفاتا ، أى مفتتة أجسادهم ، أجابهم بما يقرون به وهو خلق السموات والأرض وهى أعظم من خلقهم ، فالقادر على ايجادها قادر على اعادتهم من باب أولى ، اذ القادر على خلق الأكبر ، لا يعجزه خلق أو ايجاد ما هو أصغر منه فى بدائه العقول (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس (٢) فقال (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم ..) وهى قدر على خلق مثلهم فهو قادر على اعادة أعيانهم ، كما قال تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ..) (٣) .

المسلك الثانى : تقديم الدليل ، ثم ايراد القضية بعد استقامته ووضوحه :

النموذج الأول :

يقول الله تعالى ، من سورة المؤمنون

: (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين .

ثم انكم بعد ذلك لميتون . ثم انكم يوم القيامة تبعثون) (٤)

فى هذه الآيات قدم الله سبحانه وتعالى ، الاستدلال على امكان البعث والجزاء يوم القيامة ، بخلق الانسان فى أطواره المتعددة حيث خلقه من طين ، والمراد به آدم عليه السلام ، ثم جعل نسله ، أى ولده من بعده من ماء مهين ، كما قال تعالى

---

(١) سورة الاسراء آية ٩٧ — ٩٩
(٢) سورة غافر آية ٥٧
(٣) سورة الروم آية ٢٧
(٤) سورة المؤمنون آية ١٢ — ١٦

فى سورة السجدة : (الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين • ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (١)

وقيل المراد بالانسان ، الجنس فى ضمن خلق آدم •

ثم شرع يبين تلك الأطوار المتعددة التى مر بها خلق الانسان الى أن أصبح بشرا سويا ، عاقلا ناطقا ، فقال (ثم جعلناه نطفة) ماء ، وهو المنى المهين أى المحتقر (فى قرار مكين) أى مستقر وهو الرحم ، ثم بين تحول هذه النطفة من حالة الى أخرى خلقها علقة ، أى دما جامدا ، ثم خلق العلقة مضغة لحم لا تمايز فيها ، ثم خلق تلك المضغة عظاما • بأن جعلها عمودا للبدن على هيئات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة الالهية ، ثم كسوة تلك العظام لحما على مقدار ما يناسب كل عضو ، ويليق بهيئته حتى يكون خلق الانسان فى أحسن تقويم وأجمله ، كل ذلك التحول من حالة الى أخرى يتم فى ذلك المكان المظلم الضيق ، بقدرة العليم الحكيم (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ••) (٢)

ثم تحويله الى خلق آخر مباين للخلق الأول ، مباينة ما أبعدها ، فقد أصبح انسانا حيا ، سميعا بصيرا ، متكلما ، عاقلا ، بعدما كان جمادا ، نقلة هائلة بين النطفة الضعيفة الميتة ، وبين الانسان الحى الناطق ، فلا علاقة عقلية ، ولا تلازم بينهما اللهم الا القدرة الالهية ، التى تقول للشئ كن فيكون ؟ (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) (٣)

ولما كانت هذه الأطوار لخلق الانسان ، من أعظم الدلائل على القدرة الالهية والحكمة الربانية ، فقد أثنى سبحانه وتعالى على نفسه بقوله (فتبارك الله أحسن الخالقين)

هكذا يعرض الله تبارك وتعالى ، هذا الدليل على المخاطبين ، بحيث لا يمكنهم انكاره لأنه من مشاهداتهم ، فمن منهم لا يعرف عن كيفية خلق الانسان شيئا ، كل واحد منهم يعلم من نفسه أنه وجد على هذه الأطوار التى ذكرها القرآن الكريم ، كما يعلم ذلك عن طريق مشاهداته ، لوجود أبنائه ، وأبناء جنسه •

وهكذا بعد أن اتضح الدليل واستقر ، وهو أنه تعالى ، قادر على الانشاء والايجاد

---

(١) سورة السجدة آية ٧ ، ٨
(٢) سورة الزمر آية ٦
(٣) سورة الروم آية ١٩

من العدم ، أورد قضية البعث بعد الموت في يوم القيامة ، فقال : (ثم انكم بعد ذلك لميتون) أى بعد تمام خلقكم . ثم هروجكم من بطون أمهاتكم ، واستيفائكم آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) أحياء من قبوركم ، فتحاسبون على أعمالكم ، وتنالون جزاءكم ، قال تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين (١)

٢ — النموذج الثانى : من المسلك الثانى :

يقول تعالى من سورة السجدة :

(الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون .

وقالوا أءذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد ، بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون . ولو ترى اذا لمجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) (٢)

يخبر تعالى أنه أحسن الأشياء التى خلقها فأتقنها وأحكمها ، كما قال تعالى (صنع الله الذى أتقن كل شئ) ومن تلك الأشياء المخلوقة المجلية فيها بدائع الصنعة خلق الانسان ، ثم شرع فى بيان بدء خلقه فقال (وبدأ خلق الانسان من طين) .

ويعنى به خلق آدم عليه السلام كما قال تعالى (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين) ثم جعل نسله ، أى قدر خلق ذريته من تلك النطفة التى تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة . مذكرا لهم بنعمه التى منحهم اياها من السمع والبصر والعقول ، كل تلك القوى التى قل شكرهم لله عليها أنشأها من تلك النطفة التى عبر عنها بالشئ المحتقر لحقارته ، وبعد ذكره تعالى لنشأتهم الأولى المتمثلة فى خلق أبيهم آدم ، ثم بيانه لكيفية تناسلهم من بعده — وما أنعم به عليهم من القوى الظاهرة والباطنة مما يدلهم على قدرته وحكمته ، أورد قضية البعث ، اذ لا يعقل — إن كانوا يعقلون — أن يخلقهم الله ويعدهم هذا الاعداد عبثا ، ذلك ظن الذين كفروا .

---

(١) سورة الأنبياء آية ٤٧

(٢) سورة السجدة الآيات ٧ — ١٢

فقال : (وقالوا أءذا ضللنا فى الأرض) أى اختلطت أجسامنا بعد تمزقها وتفتتهـــا بأجزاء الأرض ، من قولهم ـ ضل السمن فى الطعام ـ أى اختلط به ، (أئنا لفـــى خلق جديد) أى أئنا لنعود بعد تلك الحال الى حالتنا السابقة ، استبعادا منهـم لذلك الأمر ، وهذا الاستبعاد الذى يعبرون عنه ، هو بالنسبة لقدرهم العاجـــزة ، اذ قصرت عقولهم فظنوا أن قدرة الخالق كقدرهم كما قال تعالى حكاية عنهم (وضـــرب لنا مثلا ونسى خلقه ..) (١)

ـ وضارب المثل بعضهم لكنهم متفقون على ذلك ـ فسبب الانكار المستند الى شبهـــة الاستبعاد ناشئ عن نسيان الخلق الأول ولذا فالمولى عز وجل يذكرهم بتلك النشـــأة قال تعالى حكاية عنهم (ويقول الانسان أءذا مامت لسوف أخرج حيا أو لا يذكر الانســان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) (٢)

ولو أنهم التفتوا الى مبدأ خلقهم لعلموا أن القدرة التى أنشأتهم أولا لا يعجزهـــا اعادتهم ثانيا .

ولما كان استبعادهم لاعادتهم للحياة مرة أخرى بعدما شاهدوا من الأدلة لامكان له ، أتبعه بالاخبار القاطع بوقوعها فقال : (قل) أمر للنبى صلى الله عليه وسلم أى قل يا محمد مخبرا ومنذرا منكرى البعث (يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون) فهـو اخبار قاطع بتلك الاعادة ، مستند الى الدليل السابق ، وهو النشأة الأولى ، مؤكد بتلـك الحالة التى يكونون عليها بعد رجوعهم الى ربهم ، فى حالة كونهم معترفين بذنوبهـــم ، طالبين الرجوع الى الحياة الدنيا مرة أخرى ، ليصلحوا أعمالهم ، بعد أن رأوا الخـــبر اليقين ، قال تعالى حاكيا تلك الحالة عنهم وما يقولونه (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم قائلين (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون) والله يعلـــم انهم لكاذبون فى دعواهم اصلاح أعمالهم اذا رجعوا للحياة مرة أخرى . قال تعالـــى (ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بـل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) (٣) .

---

(١) سورة يس آيـــة ٧٨
(٢) سورة مريم آيـــة ٦٦ ـ ٦٧
(٣) سورة الأنعام آيـــة ٢٧ ـ ٢٨

٣ — النموذج الثالث : من المسلك الثاني :

وفي مطلع سورة الرعد نموذج يهز المشاعر ويستثير الوجدان ، اذ يحتوى على آيات الله الكونية التي يعترف المخاطبون بأنها أنشئت بقدرة الله القوى العزيز ، يقول تعالى :

١ — (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون .

٢ — وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل والنهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

٣ — وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون .

٤ — وان تعجب فعجب قولهم أءذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (١)

تبدأ الآيات الكريمة برسم المشاهد الكونية الدالة على القدرة الالهية ، السماء وما شملت من أفلاك ، والأرض وما حوت من أنهار وجبال ، وما أخرجت من ثمار ، ثم التعجب من حال من ينكر البعث والحياة مرة أخرى بعد أن شاهد هذه الآيات المعروضة على العقول والأبصار ، يقول تعالى : (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) وهو اخبار منه تعالى عن كمال القدرة وعظيم السلطان ، فبأمره رفع السموات عن الأرض ، هذه السموات التى لا يحيط بها البصر ادراكا ، ولا يعلم مقدار سمتها وعظمتها الا خالقها رفعها بأمره ، ويمسكها بقدرته أن تزول ، مستشهدا على ذلك برؤية المخاطبين لها مرفوعة بغير عمد تسندها ، محكمة البناء لا شقوق فيها ولا تصدع ، فنحن نكرر النظر اليها مرات ومرات ، فترجع أبصارنا كالة من غير أن تدرك شيئا مخلا ، فى هذا البناء الهائل والسقف المرفوع ، وانما تدرك فيه الابداع والاتقان ، المنبئين عن الحكمة والتدبير . (ثم استوى على العرش) والعرش من الأمور المغيبة عنا ، والله هو وحده العالم بسعته وعظمته وتنقلنا الآيات من مشهد السماء المرفوعة بغير عمد ، الى مشهد التسخير والتقدير (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ، فقد خلقهما بقدرته وسخرهما بارادته

(١) سورة الرعد الآيات من ٢ — ٥

يجريان دائبين لا يفتران ، الى أجلهما المسمى ، وقد خص كلا منهما بخاصته فجعل الشمس سراجا وهاجا ، وجعل القمر نورا ، كلاهما ترتبط بها حياة الانسان فى نفسه ، وفى جميع شئون حياته اليومية والشهرية والسنوية ، أمور تلمس القلوب وتخاطب المشاعر بما يحسه الانسان ويدركه كجزء من حياته .

(يدبر الأمر) كله ، فله الخلق والأمر ، فمن تدبيره خلق السموات وحفظها ، ومن تدبيره وتقديره ، خلق الشمس والقمر ، وتسخيرهما يجريان الى أجلهما المسمى .

(يفصل الآيات) الكونية المشاهدة الدالة على عظيم القدرة ونفاذها ، والآيات الدينية المبينة للطريق السوى الذى يلزم المكلف سلوكه والحقائق الغيبية التى لابد من الايمان بها ، واعتقادها . (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) .

(لعلكم) حين رؤيتكم لآياته الكونية المفصلة ، وادراككم لما فيها من اتقان واحكام ، دالين على قدرة من فصلها وبينها (توقنون) بأن وراء هذا التدبير المحكم مدبرا حكيما ، وأن لهذا التفصيل والتوضيح ، مفصلا عليما حكيما لابد من لقائه ، بعد الحياة الأخرى ، لمجازاتكم على أعمالكم ، فذلك اللقاء ، وتلك المجازاة ، مما يوحى به ذلك التدبير والتفصيل ، فالخلق يكون عبثا ان لم تكن هناك مجازاة على الاحسان والاساءة ، قال تعالى : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون) .

تلك مشاهد العلو الكونية ، عرضت على المخاطبين ، ذلك العرض الموحى بالقدرة المبدعة من ورائها ، ليأخذ منها الانسان المنكر للبعث ، أن خالقها ، وحافظها ، قادر على اعادته بعد موته .

ثم تأخذ الآيات القرآنية بيد المخاطب ، الى هذه الأرض التى يعيش عليها ، قائلة ، اذا لم تكتف أيها المرتاب فى قدرة خالقك ، بما تشاهده ببصرك من فوقك ، فالتفت الى ماتحت قدميك ، وما هو مبسوط أمام عينيك ، من هذه الأرض التى مدت ، فوسعت ، وأرسيت فاستقرت ، وشقت بالأنهار الجارية ، وأنبتت من كل الثمرات ، ثم تعاقب الليل والنهار المستمر لما فيه سعادتك وقوام حياتك ، كل هذه آيات تدعو الانسان للتفكير فيها وفيما توحى به (ان فى ذلك) المتقدم ذكره ، من رفع السماء بلا عمد ، وتسخير الشمس والقمر ، وخلق الأرض ، ومدها وحفظها ، وشق أنهارها ، واخراج زروعها وثمارها ، (لآيات لقوم يتفكرون) .

وتمضى الآيات القرآنية ، فى توضيحها لآيات الله الكونية ، فبعد عرضها الاجمالى

لما تنبته الأرض ، من أزواج الثمار المختلفة ،

تعود الى توضيح جزئية منها ، لتضع المنكر للبعث ، أمام القدرة الالهية ، تلك الجزئية التى يشاهدها الانسان ببصره ، ويمارس عمليتها بيده ، ويتذوق ثمارها بفمه ، فهو دليل تبصره العين ، وتلمسه اليد ، ويذوقه الفم ، فأى دليل أقرب وأمس بحياة الانسان ، من هذا الدليل الذى يلمسه الانسان بنفسه ، فيقول تعالى موضحا ذلك : (وفى الأرض قطع متجاورات) بعضها لاصق فى بعض لا يفصل بينهما جنس غريب من غير جنسهما ، (وجنات) تشمل أنواعا من الأشجار المختلفة ، ففيها الأعناب ، والزروع ، والنخيل الصنوان وغير الصنوان ، هذه الأنواع كلها (تسقى بماء واحد) اما من السماء كماء المطر ـ أو المستخرج من الأرض ، كماء الآبار ، والعيون وتنبت فى تربة واحدة ، وصلة الأحوال الطبيعية بها ، كالحرارة ، والبرودة ، واحدة ، ومع ذلك ، تأتى ثمارها مختلفة الطعوم ، وألوانها مختلفة الأشكال ، فمن أين جاء لها ذلك الاختلاف فى اللون والشكل ، وتفضيل بعضها على بعض فى الطعم والذوق مع أن كل الأسباب الظاهرة واحدة ؟؟

ليس من جواب على هذا السؤال ، الا أن ذلك من فعل الخالق العليم ، والمدبر الحكيم ، (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) لآيات ، أى دلالات واضحات على كمال القدرة المبدعة ، لمن أعمل فكره وعقله ، فى مخلوقات الله تعالى .

هذه الآيات الكونية ، العلوية منها والسفلية ، تهدى المتفكر فيها ، المستعمل لعقله الفطرى ، الذى فطره عليه خالقه ، على أنها قد أوجدت ، وأحكمت ، ونظمت بتدبير حكيم عليم ، قادر ، تقتضى حكمته برجوع الخلائق اليه ، وملاقاتهم له ، وتدل دلالة واضحة على أن من طلب دليلا غير هذه الأدلة ، على قدرة الله لاعادته للحياة مرة أخرى أنه ممن يعجب من قوله ، ويستهزأ من طالبه ، وهكذا نرى أن الله تبارك وتعالى ، بعد أن عرض هذه الأدلة على المخاطبين المنكرين للبعث ، وبعد أن اتضح الدليل لديهم بما لا يدع مجالا للشك فى قدرة الخالق على اعادتهم ، أورد قضية البعث معجبا رسوله صلى الله عليه وسلم من الجاحدين لقدرته تعالى ، على اعادتهم خلقا جديدا ، بعد أن تفتت أجسامهم فصارت ترابا ، فيقول جل شأنه ، (وان تعجب) يامحمد (فعجب قولهم أئذا كنا ، ترابا أئنا لفى خلق جديد ، ولم يكن هذا الانكار الصادر منهم ، لعدم الدليل على البعث ، وانما كان بسبب كفرهم ، المتأصل فى

نفوسهم ، فاستحقوا أن يحكم الله عليهم ، بعد أن أقام عليهم الحجة البالغة ، بالأغلال في أعناقهم ، والسلاسل يسحبون في النار الصاحبة لهم ، المستمرة معهم ، (أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فيخلدون فيها جزاء لهم على كفرهم وعنادهم ، كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها ليذوقوا العذاب .

قال تعالى (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما) (١)

النموذج الرابع : من المسلك الثاني :

يقول تعالى من سورة الحج :

١ — (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج .

٢ — ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شئ قدير .

٣ — وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من القبور . (٢)

ان أسلوب القرآن في مخاطبة الناس لاقامة حججه وبراهينه لا يختص بفئة من الناس ذات صفات معينة ، ذلك لأنه يخاطب الفطرة البشرية في عموم أفرادها ، وكل فرد منهم يستطيع أن يأخذ من ذلك الخطاب الموجه بقدر ما أوتي من ذكاء وفطنة .

وهذه الآية الكريمة من سورة الحج تمثل هذا الأسلوب القرآني الواضح فهي تقوم على مقدمات صادقة ، تنبثق عليها نتائج قطعية ، مع ما تمتاز به من السهولة والوضوح في ادراك ما تضمنته من معان من غير كد ذهني أو اجهاد فكري ، وذلك لبعدها عن أقسية المناطقة ، وتعقيدات الفلاسفة .

يقول تعالى موجها خطابه للناس جميعا ، والمقصود منه الذين يتشككون في أمر البعث فيستبعدون وقوعه ، بعد أن تفرقت الأجسام وتلاشت فذهبت في الأرض ، وصارت ترابا ، يقول لهؤلاء (ان كنتم في ريب) أي في شك من قدرتنا على اعادة هذه الاجسام ،

(١) سورة النساء آية ٥٦

(٢) سورة الحج آية ٥ ٧

المختلطة بالتراب ، استبعادا لامكان ذلك وشكا فى وقوعه ، فانظروا فى بدء خلقكم الأول فانا خلقناكم من تراب . وذلك فى ضمن خلق أبيكم آدم عليه السلام ثم جعلنا خلقكم بعده فى صورة أغرب من خلق الانسان من تراب ، فقد خلقناكم من نطفة ماء ثم أخذت تلك النطفة أطوارها المتعددة وصورها المختلفة ، فقد كان هذا الانسان الجاحد لاعادته مرة أخرى ، نطفة ماء ، ثم تحولت تلك النطفة الى علقة أى دم جامد ثم تحولت الى مضغة لحم ، مخلقة ، أى متبينة الخلق مصورة ، وغير مخلقة لم يستبين خلقها وصورتها ، تلك أطوار النطفة التى تمر بها فى رحلتها الى أن تصبح جنينا يتحرك فى ذلك القرار المكين (من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم) قدرتنا على الخلق والاعادة ، (ونقر فى الأرحام) من تلك النطف بعد تمام الخلق (ما نشاء الى أجل مسمى) وهو وقت الوضع (ثم نخرجكم طفلا) أى أطفالا تتنسمون الحياة ، مزودين بجميع الوسائل اللازمة لمواجهة الحياة الجديدة على هذه الأرض من رئة يتنفس بها ويسمع وبصر وأيد يبطش بها ، وأرجل يمشى بها ... الخ ما هنالك من صفات وأعضاء وضعها الخالق العظيم فى الانسان مما يدل دلالة قطعية على أن هذا الانسان قد أعد اعداده هذا عن علم وحكمة ، وبعد خروجه لهذه الحياة رباه خالقه بنعمه الى أن أصبح شخصا قويا ، (ثم لتبلغوا أشدكم) .

(ومنكم من يتوفى) أى فيختم الله بالوفاة فى أجله المعلوم من يشاء ، ويعمر من يعمر منكم حتى يبلغ من العمر أرذله ، فيرتد عقله وتصوراته ومشاعره الى حالة الطفولة الأولى ، فيجهل بعد العلم ، ويضعف بعد القوة (ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) ، تماما مثل يوم خلق وبرز وجوده لهذه الحياة طفلا فالآية الكريمة تخاطب المنكر للبعث ، قائلة له : ان من كانت هذه قدرته فى خلقك وانشائك ، فى حياتك الأولى ، وفى أطوارها المتعددة التى مرت بها أيعجزها احياؤك بعد موتك ، واعادتك بعد فنائك ؟؟

كيف يكون ذلك وهو القادر على كل شئ وهو الخلاق العليم .

وبعد أن استكملت الآية الاستدلال بالعالم الانسانى فى نشأته الأولى ، وكيفية تنقله فى أطوار خلقه المتعددة .

أتبعه باستدلال آخر يكثر ضربه فى القرآن استدلالا به على البعث ذلك هو احياء الأرض بعد موتها .

فقال تعالى : (وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ٠)

فهمود الأرض ، عبارة عن يبسها وافقارها من النبات بمنزلة الذات المسلوبة الحياة ؛ فهى ميتة يابسة ، لا نبات فيها ٠

واهتزازها وربوها وتحركها بالنبات بعد نزول المطر عليها ، بمنزلة الحياة تسرى فى الموات ؛ فتنبت من كل زوج بهيج ، وذلك بمنزلة خروج الأموات من قبورهم ٠

وبعد أن يتقرر الدليل ويتضح لدى المخاطبين بما لا يدع مجالا للشك فى قبول النتيجة يورد القضية المستدل عليها فيقول (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير) فالله هو الموجود بذاته لذاته ومن شأنه احياء الموتى ؛ فهو الذى خلق الموت والحياة ، وهو القادر على الخلق بدءا واعادة ، لأنه على كل شئ قدير (وأن الساعة) وهى موعد الحياة الثانية ٠ (آتية لا ريب فيها) لوضوح دلائلها ، ثم ختمت الآية بالنتيجة المطلوبة ، وهى القضية التى يرتاب فيها المنكرون للبعث ، فقال تعالى (وأن الله يبعث من فى القبور) ٠ تلك القبور التى تحتوى على أجساد الموتى ، التى تفتت ، ورمت ، واختلطت بغيرها ، ذلك أن الله تعالى قادر على اعادتها ، ليوفيها الحساب على عملها فى الحياة الدنيا ٠

المسلك الثالث: هو اخبار الله تعالى بوقوع البعث من غير أن يذكر الدليل على ذلك ٠

ذكرنا فى أول هذا المبحث ، أن أعظم شبهة يستند اليها منكروا البعث هى استبعادهم اعادة الأجسام الى ماكانت عليه بعد أن صارت ترابا ، واختلط بعضها ببعض : وعرفنا مسلك القرآن الكريم لعلاج تلك الشبهة ودحضها فى المسلكين السابقين ٠ وهما : اما أن يورد الشبهة أولا ثم يبين بطلانها بالدليل ٠

واما أن يذكر الدليل على البعث والاعادة أولا ، وبعد وضوحه وتقريره يورد القضية ٠ وهناك مسلك ثالث سلكه القرآن الكريم فى قضية البعث ، وهو أنه يذكر رأى المنكرين للبعث من غير أن يذكر شبهتهم ، بل يذكر دعواهم مجردة عن الدليل ، ثم يكر القرآن على هذه الدعوى بالرفض والابطال ويقرر أن البعث واقع لا محالة ، ويؤيد هذا الوقوع بالقسم منه جل وعلا ولعله لم يذكر الدليل فى هذه الآيات ، بل طواه ، نظرا لأنه ذكره أكثر من مرة فى آيات متعددة ، وليس بلازم أن يذكر الدليل عند كل مناسبة ، فان القرآن يفسر بعضه بعضا ٠

وسأذكر هنا نماذج لهذا المسلك فى القرآن الكريم ٠

أولا : إقسام المنكرين للبعث بأن الله لا يبعث من يموت ٠

يقول تعالى فى سورة النحل :

١ — (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

٢ — ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين .

٣ — انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) (١)

فالآية الأولى تصور لنا هذا الانكار الشديد المؤكد بالأيمان المغلظة بأن الله لا يبعث من يموت أبدا ، فنراهم يجزمون بعدم وقوع البعث ، بعد الموت وينفونه نفيا قاطعا بلا شك عندهم ولا تردد ، من غير أن يرد فى كلامهم ما يتضمن شبهة لذلك النفى ، قال تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) .

ولعل هذا الانكار الصادر منهم مستند الى الشبهة الأولى ، وهى شبهة استبعاد أن يعيد الله الموتى مرة ثانية ولكنها لم تذكر هنا لظهورها واستقرارها عند المنكرين .

ولما كان قولهم هذا يتضمن الطعن فى الحكمة الالهية ، ونسبة العبث الى الله تعالى فى خلقه العباد ، وتركهم سدى ، اذ يقتضى ذلك التسوية بين المحسن والمسىء وبين الخير والشر ، وهما لا يستويان عند الله ، كما قال تعالى : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) (١) وقال تعالى : (وما يستوى الاعمى والبصير ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ماتذكرون) (٢) وقال تعالى : (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون (٣) .

لذلك فقد رد الله عليهم فريتهم يقسمهم هذه وأكد لهم ان البعث أمر محتم ، لابد من وقوعه ، فهو وعد عليه حقا ، لابد من انجازه ، ذلك لان الله تعالى قد وعد به ، ووعده حق ثابت لابد من وقوعه ، قال تعالى (بلى وعدا عليه حقا)

وانما كان البعث حقا وواقعا ، لان هذه الحياة الدنيا ، ليست هى النهاية بل هى وسيلة الى حياة أخرى ، ومعبر يعبر عليه الانسان الى الحياة الباقية ، كى يجازى فيها على ما عمله فى هذه الحياة (ولكن أكثر الناس) وهم المنكرون للبعث لجهلهم بالله تعالى (لا يعلمون) ما يتضمنه البعث من العدل بين العباد .

ثم بين لهم حكمته فى المعاد ، فقال تعالى : (ليبين لهم الذين يختلفون فيه) ففى ذلك اليوم يظهر لكل مخالف فى شىء (ما) الحق فيما خالف فيه ، ويجازى فيه كل عامل على عمله ، كما قال تعالى (... ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا

(١) سورة الجاثية آية ٢١ (٢) سورة غافر آية ٥٨
(٣) سورة السجدة آية ١٨

بالحسنى) (١)

(وليعلم) فى ذلك اليوم (الذين كفروا) بالله وكذبوا رسله فيما أخبروهم به من البعث والجزاء على الاعمال ، (انهم كانوا كاذبين) فى ايمانهم تلك التى أكدوا بها انكارهم للبعث بعد الموت ، وان البعث واقع ، والجزاء حق وعدل .

ثم أخبر تعالى عن قدرته على ذلك ، وأنه لا يخرج على مشيئته وارادته فقال : (انما قولنا لشىء) فى الارض أو فى السماء (اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) ومن ذلك المعاد ، فاذا أراد الله قوله فانما يأمر به مرة واحدة اذ لا يحتاج أمره للشىء الى تكرار ، كما قال تعالى (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) وقال مخبرا عن تلك القدرة (وما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وقال الشاعر : اذا ما أراد الله أمرا فانما .... يقول له كن قولة فيكون (٢)

ثانيا : نفيهم لمجىء الساعة ، وزعمهم عدم وقوع البعث :

١ — يقول تعالى من سورة سبأ ١/ — وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة . قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين .

٢ — ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم .

٣ — والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم (٣)

٢ — ويقول تعالى من سورة التغابن

١ — (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير (٤)) .

١ — يخبر تبارك وتعالى ، عن انكار الكفار للاخرة ، ذلك الانكار الناشىء عن عدم ادراكهم لحكمة الله تعالى وتقديره ، فحكمته لا تترك الناس سدى ، يحسن من يشاء منهم أن يحسن ، ويسىء من يشاء ذلك ، ثم لا يجازى أحدا منهم على عمله .

ولذلك فهم ينكرون مجىء الساعة التى وعد الله بمجيئها ، والتى ينال فيها كل انسان جزاء عمله ، فيقولون : (لا تأتينا الساعة) ينفون مجيئها نفيا جازما بدون دليل ، مع ان مجىء الساعة ، ووقتها من الامور الغيبية وهم لا يعلمون من الغيب شيئا .

---

(١) سورة النجم آية ٣١
(٢) ابن كثير ، التفسير ج ٢ ص ٥٦٩
(٣) سورة سبأ آية ٣ — ٥
(٤) سورة التغابن آية ٧

فيرد الله عليهم انكارهم هذا ردا مؤكدا جازما ، فيأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه على أتيانها ووقوعها قسما مؤكدا فيقول : (قل) يامحمد مخاطبا هؤلاء الجاحدين للساعة النافين لمجيئها (بلى وربى لتأتينكم) فهو اخبار مؤكد بوقوعها من عالم الغيب ، وقد اتبع ذلك بما لله عز وجل من صفة العلم المحيطة والشاملة لما فى هذا الكون كله كبيرة وصغيره (عالم الغيب لا يعزب) أى لا يغيب (عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين) فمن كان علمه محيطا بدقائق الامور بحيث لا يخفى عليه شىء منها ، كيف يعجزه اعادة الخلق الى ماكانوا عليه مرة أخرى ؟؟ .

ثم بين الحكمة من البعث وقيام الساعة فقال : (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك) المؤمنون العاملون (لهم مغفرة) لما بدر منهم ، (ورزق كريم) لا من فيه ولا تعب .

كما يجازى الله الكافرين به والمكذبين لرسله الساعين للصد عن سبيله بالعذاب المهين (والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك) لهم عذاب من رجز أليم) والرجز سوء العذاب كما قال قتادة (١) .

٢ — وفى آية التغابن ، يحكى الله تبارك وتعالى ، انكار الكفار للبعث بعد الموت وقد عبر عن ذلك الانكار بالزعم ، فقال (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) أى المنكرون منهم للبعث ، والزعم يشعر بعدم التأكد والجزم من القائل بما يقوله لعدم علمه من ان قوله هذا يوافق الحق والصواب ، ولذلك كان الزعم كنية الكذب ، كما يقوله ابن عمر (٢) رضى الله عنه .

وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، ان يرد على ذلك الزعم الباطل ، ويؤكد نفيه بالقسم بربه على تحقق البعث ووقوعه ، ويبين لهم ما يترتب على ذلك البعث من جزاء وهو أنهم سينبئون بما عملوا ، ثم يجازون على أعمالهم التى عملوها فى الدنيا وقال تعالى : (قل) يامحمد (بلى وربى لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير) .

ويقول ابن كثير فى تفسير هذه الاية (... قل بلى وربى لتأتينكم) ما نصه :
(هذه احدى الايات الثلاث التى لا رابع لهن ، مما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم . على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد ، فاحداهن فى سورة يونس عليه السلام وهى قوله تعالى : (ويستنبئونك أحق هو قل أى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين)

(١) أبو السعود ابن محمد العمادى الحنفى ، التفسير ج ٤ ص ٢٤٣
(٢) ابن جرير الطبرى ، التفسير ج ٢٨ ص ١٢١

والثانية هذه (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم) .

والثالثة فى سورة التغابن وهى قوله تعالى : (زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير) (١)

ثالثا : الاخبار بقيامهم من قبورهم :

يقول تعالى من سورة يس :

١ — (ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون .

٢ — قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون .

٣ — ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون .

٤ — فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون (٢)

تصور لنا هذه الايات ذلك المشهد العظيم من مشاهد يوم القيامة ، وذلك حين النفخ فى الصور المؤذن بانتشار الناس من القبور (ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث) وهى القبور (الى ربهم ينسلون) أى يمشون مسرعين كما قال تعالى : فى سورة المعارج (يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون (٣)) قائلين بعد خروجهم من قبورهم (ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) أى من قبورنا ، التى كنا نرقد فيها ، ونعتقد أننا سوف لا نخرج منها أحياء مرة أخرى أبدا ، فلما ظهر صدق ما كذبوا به ، قالوا : ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟! ثم قال الله تعالى : (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) وهذا القول ... الخ . اما حكاية عن المنكرين للبعث ، اذ علموا عند المعاينة ان ما أخبرتهم به الرسل صدق وحق وإما من قول المؤمنين لهم ذلك ، وهذا ما اختاره ابن جرير فى تفسير الاية (٣) .

ثم بين تعالى ان جمع الخلائق جميعا فى ذلك اليوم من الامور اليسيرة على القدرة الالهية فما هى الا صيحة واحدة توجه اليهم ، فاذا هم فى اللحظة محضرون عند خالقهم (ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) كما قال تعالى (وما أمرنا الا كوحدة كلمح بالبصر (٤)) فى ذلك اليوم يقام ميزان العدل بين العباد فلا تظلم نفس شيئا ، وانما تجازى على عملها الذى اسلفته فى حياتها الدنيا ، (فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون) .

(١) سورة ياسين الايات من ٥١ — ٥٤ (٢) سورة المعارج آية ٤٣
(٣) ابن جرير الطبرى ، التفسير ج ٢٣ ص١٧ (٤) سورة القمر آية ٥٠

" الفصل الســـــادس "

آراء العلمـــاء في البعث

سأتناول هذا الموضوع بالدراسة من ناحيتين :

أ ـ الأولى : ذكر آراء العلماء في حقيقة البعث ، هل هو جسماني فقـط ، أو روحاني فقط ، أو روحاني وجسماني .

ب ـ الثانية : بيان كيفية البعث (الاعادة) عند من يقول باعادة الأجســام .

أولا : آراء العلماء في حقيقة البعث :

بعد أن عرضنا مسلك القرآن الكريم في اثبات البعث ، وهو المقصود مـن هذا البحث ، فقد رأينا من المناسب أن نذكر أقوال العلماء في هـــذا الموضوع باختصار ، لنرى مدى موافقة هذه الأقوال ، أو مخالفتها لما جاء في القرآن الكريم في موضوع البعث ، فأقول وبالله التوفيق :

ان الأقوال الواردة في البعث ، والمذكورة في كتب العقائد الاسلامية خمسة أقـــوال :

الأول : ثبوت المعاد الروحاني فقط .

الثاني : ثبوت المعاد الروحاني والجسماني .

الثالث : ثبوت المعاد الجسماني فقـــط .

الرابع : عدم ثبوت شيء من ذلـــــك .

الخامس : التوقف في هذه الأقسام جميعا . (١) .

أما القول الأول : وهو ثبوت المعاد الروحاني فقط ، فهو قول الفلاسفة الالهيـين ، وذلك لأن البعث عندهم ، عبارة عن مفارقة النفس لبدنها ، واتصالهـــا بالعالم العقلي ، الذي هو عالم المجردات ، وسعادتها ، وشقاوتهـــا ، إنما تكون بفضائلها النفسانية ورذائلها (٢) .

يقول ابن سينا في كتابه : الاشارات والتنبيهات ، النمط الثامن :

(والعارفون المتنزهون اذا وضع عنهم درن مقارنة البدن ، وانفكوا عـــن الشواغل ، خلصوا الى عالم القدس والسعادة ، وانشقوا بالكمال الأعلى ، وحصلت لهم اللـــذة العليـــا . وقد عرفتها .

---

(١) الايجي ، شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٩٧ ، الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م ومطبعـــة السعادة بجوار محافظة مصر .

(٢) الايجي ، شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٩٧ .

وأما البله فانهم اذا تنزهوا خلصوا من البدن الى سعادة تليق بهم ، ولعلهم لا يستغنون فيها عن معاونة جسم يكون موضوعا لتخيلات لهم ، ولا يمنع أن يكون ذلك جسما سماويا ، أو مايشبهه ، ولعل ذلك يفضي بهم آخر الأمر الى الاستعداد للاتصال المسعد الذى للعارفين) (١) .

وأما القول الثاني : وهو ثبوت المعاد الروحاني والجسماني معا ، فهو قول منسوب الى الحليمي ، والغزالي ، والراغب ، وأبي زيد الدبوسي ، ومعمر من قدماء المعتزلة ، وجمهور من متأخرى الامامية ، وكثير من الصوفية ، فانهم قالوا : ان الانسان بالحقيقة هو النفس الناطقة ، وهي المكلف ، والمطيع والعاصي ، والمثاب ، والمعاقب ، والبدن يجرى منها مجرى الآلة ، والنفس باقية بعد فساد البدن ، فاذا أراد الله تعالى حشر الخلائق ، خلق لكل واحد من الأرواح بدنا يتعلق به ، ويتصرف فيه كما كان في الدنيا . (٢) .

أما القول الثالث : وهو ثبوت المعاد الجسماني فقط ، فهذا القول منسوب لأكثر المتكلمين النافين للنفس الناطقة . وهو قول أهل السنة .

أما القول الرابع : وهو انكار المعاد الروحاني والجسماني جميعا ، فهو قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين .

وأما القول الخامس : وهو التوقف في هذه الأقسام كلها ، فهو المنقول عن جالينوس ، فانه قال : لم يتبين لي أن النفس هل هي المزاج ، فينعدم عند الموت فيستحيل اعادتها ، أو هي جوهر باق بعد فساد البنية ، فيمكن المعاد حينئذ (٣) .

هذه هي أقوال العلماء المحكية عنهم في حقيقة البعث ، فما مدى موافقتها أو مخالفتها لما جاء به القرآن الكريم في ذلك ؟

نقول ومن الله التوفيق :

ان القول الرابع ـ وهو انكار البعث مطلقا ، والقول الخامس وهو الشك في وقوعه ، فسنضرب صفحا عن الرد عليهما ومناقشتهما وذلك لأن مسلك القرآن الكريم الذى سبق أن عرضناه ، فيه الكفاية ، لدحض شبه المنكرين

---

(١) ابن سينا ، الاشارات والتنبيهات ، النمط الثامن ص ٧٧٤ ـ ٧٧٨ تحقيق د . سليمان دنيا / فلتزم الطبع والنشر دار المعارف بمصر ١٩٦٠م .

(٢) الايجي ، شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٩٧ .

(٣) ==== ==========.

لامكان البعث ، والمتشككين فى وقوعه ، لأن انكار البعث حلقة متصلة اعتنقها المكذبون لانبيائهم من كل أمة كما قال تعالى حكاية عنهم ، : (بل قالوا مثل ماقال الاولون . قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون . لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين) . (١) .

فالشبهة واحدة ورد القرآن على طائفة واحدة ، هو رد على كل طائفة منكرة للبعث ، أو متشككة فى وقوعه ، فلو ناقشنا هذين القولين وبينا فسادهما ، ووجه الرد عليهما ، لاعتبر ذلك تكرارا لما سبق . وانما الذى سنناقشه هنا ، هي الاقوال الثلاثة الاخرى ، القائلة بالبعث ، فهي التى يمكن أن ننظر فى مدى موافقتها ، أو مخالفتها لما جاء به القرآن الكريم فى موضوع البعث ، وسنبدأ برأى الفلاسفة حسب ترتيبنا لهذه الاقوال :

أولا : <u>رأى الفلاسفة :</u>

أما قول الفلاسفة الالهيين : أن البعث روحانى فقط ، وانكارهم للمعاد الجسمانى فلاشك فى مصادمته للنصوص الشرعية الواردة فى الكتاب العزيز ، والثابتة فى السنة النبوية ، فالمنكرون للبعث الذين رد عليهم القرآن الكريم ، لم ينكروا الا اعادة هذه الاجسام بعد استحالتها ترابا . وأوردوا شبههم استبعادا لتلك الاعادة ، فرد عليهم القرآن الكريم وبين لهم زيف شبهتهم ، ووضح أن الاعادة ممكنة .

ثم ان كلا منهم هذا يتضمن انكار كل شىء محسوس ، كالجنة والنار ، والصراط والميزان ، وكل الحقائق الاخروية التى أخبر الشارع عنها ، ولذلك كفرهم العلماء .

<u>وأما قول القائلين</u> : بأن المعاد الروحانى وجسمانى فانه مبنى على القول بأن الروح جوهر مجرد ليس بجسم ، ولاقوة حالة بالجسم ، وانما تتعلق بالجسم تعلق التدبير والتصرف ، وأنها لاتفنى بفناء البدن ، وعليه فالمعاد شيئان ، جسم — وروح تعاد اليه ، ولكن هل الجسم المعاد هو عين الاول أو غيره ؟؟

الكلام الذى نقلناه عن شرح المواقف والذى نسبه الى الحليمى ، والراغب والغزالى وآخرين يوحى بأن الجسم المعاد غير الاول ، نأخذ ذلك من قوله حكاية عنهم أو نسبة اليهم : (فاذا أراد الله تعالى حشر الخلائق خلق لكل واحد من الارواح بدنا يتعلق به ويتصرف فيه كما كان فى الدنيا) .

---

(١) سورة المؤمنون آية ٨١ — ٨٣ .

وهذا القول ، وان كانت نسبته لا تصح الى الامام الغزالى ، كما يأتى توضيح ذلك ، ولا نعلم مدى صحة نسبته الى الآخرين لعدم المراجع المتوفرة بأيدينا حاليا ، فانه قول قد قيل ومتداول فى كتب العقائد ، ولذلك فإننا نبحث الموضوع من حيث هو ، لنبين مدى موافقته أو مخالفته لما جاء به القرآن الكريم ، بغض النظر عن نسبته الى قائله ، فنقول وبالله التوفيق : ان مشكلة البعث التى عالجها القرآن بطرقه المختلفة ، مع المنكرين له المستبعدين لوقوعه ، هي اعادة هذه الأجسام بعينها مرة أخرى بعد أن أصبحت عظاما بالية مفتتة مختلطا اختلاطا كليا بأجزاء الأرض ، كما قال تعالى حكاية عنهم :

(١) أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد . (١) .

(٢) وقالوا أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد . (٢) .

(٣) وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد . (٣) .

فالآيات تحكى أقوالهم الصادرة منهم ، فى انكارهم للبعث ، واعادة الحياة بعد الموت مرة أخرى لهذه الأجسام المتفتتة ، فلم تتسع عقولهم ومداركهم ، لاعادة هذه العظام خلقا جديدا ، بعد أن صارت ترابا ، فمثلهم لم ينكروا على الله عز وجل قدرته على ايجاد خلق جديد وانشائه لأنهم يعلمون أنه خالق السموات والأرض وخالقهم ، وهم يشاهدون مخلوقاته تحدث باستمرار أمام أعينهم ، قال تعالى : (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) . فالخلق والايجاد مستمر ، وانما أنكروا الاعادة لعظام تفتت ، كما قال تعالى حكاية عنهم : (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، قال : من يحيى العظام وهي رميم) . وقد أشرنا فى سبب نزولها ، أن أبى بن خلف جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده عظم رميم وهو يفته ويذروه فى الهواء وهو يقول يا محمد ، أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك الى النار) .

هذا ما أنكروه على الرسول صلى الله عليه وسلم واستبعدوا وقوعه ، حينما دعاهم الى الايمان بالبعث والجزاء فى اليوم الآخر ، ولذلك فقد رد القرآن على شبههم تلك — فقال ردا على قولهم من يحيى العظام وهي رميم ؟ (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) .

---

(١) سورة ق آية ٢ .
(٢) سورة السجدة آية ١٠
(٣) سورة سبأ آية ٧ .

وقال تعالى ردا على قولهم : أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع المبد بقوله : (قد علمنا ماتنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) .

وقال تعالى : (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوى بنانه) (١) . وقال تعالى في سورة الحج : (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير . وأن الساعة آتية وأن الله يبعث من في القبور) . (٢) وفي القبور تلك العظام المفتتة ، فهو القادر على اعادتها .

ومما يؤكد ذلك ويزيده وضوحا ، من أن المعاد هو عين الأول ، لامثله ، قوله تعالى : (ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون . حتى اذا ماجاءوها تشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بماكانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون ، وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون . (٣) .

فهذه الآيات تدل صراحة ، على أن أعضاء الانسان وجوارحه التي كانت في الدنيا هي نفسها التي تبعث فتشهد عليه يوم القيامة بما اقترف من سيئات مستترا عن أعين الناس ، ظنا منه أن الله لايعلم عمله ذلك ، ولم يدر بخلده أن أعضاءه ستشهد عليه يوم القيامة ، بكل ماقترف في الحياة الدنيا ، (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) . ومن رحمة الله وعدله أن لايؤاخذ عباده الا ببينة تشهد عليهم بماعملوا وان كان هو يعلم السر وأخفى ، ولذا فقد جعل مع كل انسان من يدون عليه حركاته وسكناته ، قال تعالى : (مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) . (٤) .

وقال الله تعالى : (اكراما كاتبين يعلمون ماتفعلون) . (٥) . وشرط الشهادة ، أن يكون الشاهد حاضرا ومطلعا على مايشهد به . فدل ذلك على أن هذه الأعضاء التي تشهد على الانسان ، هي الأعضاء الموجودة في الدنيا حين اقترف تلك الجريمة . لا أعضاء جديدة وجدت ، والا لقال صاحبها ، لخالقه : ان هذه الأعضاء لم تكن حاضرة معي في الدنيا حتى تشهد عليّ .

---

(١) سورة القيامة آية ٣ ، ٤
(٢) سورة الحج آية ٦ ، ٧
(٣) سورة فصلت الآيات من ١٩ ـ ٢٢
(٤) سورة ق آية ١٨
(٥) سورة الانفطار آية ١١ ، ١٢

أما نصـــة القول ـ بخلق أجسام جديدة غير التي كانت في الدنيا ـ الى من أشار اليهم شارح المواقف ، ومنهم الغزالي ، فالذي يبدو أن نسبة هذا القـــول للغزالي خطأ ، ذلك أن قوله صريح في أن المعاد هو عين الأول لا مثله ، وما نقل عنه من القول باعادة بدن جديد تتعلق به الروح . كما هو مذكور في كتابـــــه : تهافت الفلاسفة ـ فقد صرح في كتابه ـ الاقتصاد في الاعتقاد ـ أن ذلك على سبيـل الالزام منه للفلاسفة بما يعتقدون ، لا أنه هو المذهب الحق الذي يعتقده ، ولكـون الغزالي متهما في هذه المسألة حتى من اتباعه ، فسننقل عنه ما ذكره في كتابه المشـار اليه وان طال لبيان الحقيقة ـ يقول تحت فصل ـ في بيان قضاء العقل بما جـــاء الشرع به من الحشر والنشـــر .

(أما الحشر فيعني به اعادة الخلق ، وقد دلت عليه القواطع الشرعية ، وهـــو ممكن بدليل الابتداء فان الاعادة خلق ثان ، ولا فرق بينه وبين الابتداء وانما يعـــني باعادة بالاضافة الى الابتداء السابق والقادر على الانشاء والابتداء قادر على الاعادة ، وهو المعنى بقوله : (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) فان قيل فما تقولون؟ أتعـدم الجواهر والأعراض ثم يعاد ان جميعا ، أو تعدم الأعراض دون الجواهر ، وانمـــا تعاد الأعراض ؟

قلنا كل ذلك ممكن وليس في الشـرع دليل قاطع على تعيين أحد هذه الممكنات ، وأحد الوجهين " أن تعدم الأعراض ويبقى جسم الانســـان متصورا بصورة التراب مثـلا فتكون قد زالت منه الحياة واللون والرطوبة والتركيب والهيئة . وجملة من الأعراض ، ويكون معنى اعادتها أن تعاد اليها تلك الأعراض بعينها أو تعاد اليها أمثالها ، فان العرض عندنا لا يبقى ، والحياة عرض ، والموجود عندنا في كل ساعة عرض آخر ، والانســـان هو ذلك الانسان باعتبار جسمه ، فانه واحد ، لا باعتبار أعراضه ، فان كل عرض يتجدد هو غير الآخر ، فليس من شرط الاعادة فرض اعادة الأعراض ، وانما ذكرنا هذا لمصـير بعض الأصحاب الى استحالة اعادة الأعراض ، وذلك باطل : ولكن القول في ابطالـــه يطول .

والوجه الآخـــر : " أن تعدم الأجسام أيضا ، ثم تعاد الأجسام بأن تخترع مـــرة ثانية ، فإن قيل فبم يتميز المعاد عن مثل الأول ؟ وما معنى قولكم ان المعاد هـــو عين الأول ، ولم يبق للمعدوم عين حتى تعاد ؟؟

ز/جاها

قلنا المعدوم منقسم فى علم الله الى ماسبق له وجود ، والى مالم يسبق له وجود ، كما أن المعدوم فى الازل ينقسم الى ماسيكون له وجود والى ماعلم الله تعالى أنه لايوجد ، فهذا الانقسام فى علم الله لاسبيل الى انكاره والعلم شامل والقدرة واسعة ، فمعنى الاعادة أن نبدل بالوجود المعدوم الذى سبق له وجود ، ومعنى المثل أن يخترع الوجود لمعدوم لم يسبق له وجود ، فهذا معنى الاعادة ، ومهما قدر الجسم باقيا ورد الامر الى تجديد أعراض تماثل الاول حصل تصديق الشرع ووقع الخلاص عن اشكال الاعادة وتمييز المعاد عن المثل ، وقد أطنبنا فى هذه المسألة فى كتابنا التهافت وسلكنا فى ابطال مذهبهم تقرير بقاء النفس التى هي غير متحيز عندهم ، وتقدير عود تدبيرها الى البدن سواء كان ذلك البدن هو عين جسم الانسان أو غيره ، وذلك الزام لايوافق مانعتقده ، فان ذلك الكتاب مصنف لابطال مذهبهم ، لا لاثبات المذهب الحق . (١) . وقد أشار إلى هذا المعنى فى كتاب الإحياء ج ٤ ص ٥١١

وأما القول الثالث : وهو أن المعاد جسمانى فقط ، فهو مبنى على القول بأن الروح جسم لطيف سار فى البدن ، فالمعاد وهو كل من الروح والبدن جسم ، فيكون المعاد جسمانيا فقط ، ودليل أن الروح جسم قوله صلى الله عليه وسلم فى صحيح مسلم : (ان الروح اذا قبض تبعه البصر) . وفى رواية أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألم تروا الانسان اذا مات شخص بصره ، قالوا : بلى . قال : فذلك حين يتبع بصره (٢) نفسه) . وقوله تعالى : (فادخلى فى عبادى) . (٣) .

فدل ذلك على أن الروح جسم يرى بالعين . كما أن الدخول فى الابد أن ينافى التجرد ، لأن المجرد لايكون داخلا فى البدن — لابكونه جزءا منه ولا قوة حالة فيه ، وانما هو عبارة عما ليس بجسم ، ولا قوة حالة بالجسم ، بل المجرد لامكانى فلايقبل اشارة حسية) . (٤) .

---

(١) محمد أبى حامد الغزالى ، كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٩٦ ، الطبعة الاولى سنة ١٣٢٠هـ تصحيح مصطفى القبانى الدمشقى .

(٢) مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الجنائز / باب / فى اغماض الميت والدعاء له اذ حضر ، و/باب / فى شخوص بصر الميت يتبع نفسه ، رقم الحديثين ٩٢٠ ، ٩٢١ جـ ٢ ص ٦٣٢ ، ٦٣٥ ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى .

(٣) سورة الفجر آية ٢٩ .

(٤) كمال الدين محمد بن محمد بن أبى شرف القدسى ، شرح المسايره ص ٢٦٣ .

وهذا القول الذى هو اعادة الجسم بعينه ثم حلول الروح فيه هو الذى دل عليه القرآن ، وبين أنه واقع لامحالة ، وذلك لأنه هو الذى استبعد المنكرون للبعث امكانه .

الناحية الثانية : هل الاعادة عند القائلين باعادة الجسم ، عن عدم محض ، أو عن تفريق ؟

للعلماء فى كيفية الاعادة بعد الموت مذهبان :

المذهب الأول : = أن تنعدم أجزاء البدن انعداما كليا ، بحيث لايبقى لها أثر أصلا ، ثم ان الله تبارك وتعالى يعيد تلك الأجزاء بعينها بعد فنائها ، ويوجدها ايجادا ثانيا ، كما كانت أولا ، ذلك أن الايجاد الثانى للبدن بعد عدمه الطارىء عليه ، كالايجاد الأول ، من حيث أنه ليس ممتنعا لذاته ، ولا لشيء من لوازم ذاته ، قال تعالى : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده) . فالموجود ثانيا ، هو الموجود أولا أعيد بعينه ، على وفق علمه تعالى ، فهو بكل خلق عليم ، وقد استدل القائلون بهذا الرأى بآيات من القرآن الكريم ، كقوله تعالى : (كل شيء هالك الا وجهه) .

وقوله تعالى : (كل من عليها فان) .

على معنى أن الهلاك والفناء — اعدام عين الشيء وزواله ، لاتغير صورته التى كان عليها فى الدنيا الى صورة أخرى مباينة لتلك الصورة .

المذهب الثانى : أن الأجزاء التى يتألف منها البدن ، لاتنعدم ، وانما تتفرق فتكون متصورة بصورة التراب مثلا ، وانما الذى يزول عنها الحياة ، واللون ، والهيئة والتركيب .

فاذا جاء يوم المعاد ، جمع الله سبحانه وتعالى بقدرته تلك الأجزاء المتفرقة وألفها ثم أعادها كما كانت فى الدنيا ، وذلك أن الأجزاء قابلة للجمع ، والله سبحانه وتعالى عالم بجميع الأجزاء ، لأى بدن من الأبدان ، لعموم علمه واحاطته بكل شيء علما ، قال تعالى : (قد علمنا ماتنقص الأرض منهم) وقال تعالى : (وهو بكل خلق عليم) . (٢) .

---

(١) الايجى ، شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر . والغزالى ، الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٩٦ . ١٩٠٧

(٢) الايجى ، شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٨٩ ، ٢٩٥ . الغزالى ، الاقتصاد فى علم الاعتقاد ص ٩٦ .

وقد استدل القائلون بهذا القول من القرآن الكريم بقصة ابراهيم عليه السلام ، فى احياء الطير اذ كان جمعا لأجزائها بعد تفرقها . فان ابراهيم عليه السلام قطع تلك الطيور أجزاءا ، كما أمره الله تبارك وتعالى ، وخلط بعضها مع بعض ، ثم فرقها على رؤوس الجبال المجاورة له ، ثم دعاها ، فاجتمع كل جزء الى الجزء الآخر وتألفت تلك الأجزاء طيورا ، كما كانت أولا ، ثم جاءته حية تسعى .

موقف القرآن :

اذا نظرنا فى كتاب الله الكريم ، نجد آيات كثيرة تدل على القول بتفرق الأبدان ثم اعادتها الى حالتها التى كانت عليها ، فمن تلك الآيات قصة ابراهيم عليه السلام فى احياء الطير ، السابق ذكرها ونص الآية ، كما يقول تعالى : (واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحي الموتى ؟ قال : أولم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبى ، قال : فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) . (١) .

فدلت الآية على أن احياء هذه الطير واعادة أجسامها كان بجمع أجزائها المتفرقة ، وضم بعضها الى بعض ، فان واهب الحياة أمر ابراهيم أن يدعو تلك الطيور ، فاجتمع كل جزء مع الجزء الآخر ، ثم جاءته حية تسعى .

ثانيا : قصة ـ الذى مر على القرية الخاوية على عروشها ، وقد استبعد اعادتها الى ماكانت عليه بعد مشاهدته لما حل بها ، اذ قال : (أنى يحيى هذه الله بعد موتها) . وقد أراه الله تعالى آياته الدالة على قدرته رؤية عيان ومشاهدة ، فأماته مائة عام ثم بعثه ، وأراه كيف يجمع العظام بعضها الى بعض وهي أجزاء حماره المتفرقة عنه يمينا وشمالا ، ثم كسوتها لحما بعد اجتماعها ، واعادة الحياة اليها ، يقول تعالى مخبرا عن تلك الواقعة :

(أو كالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير .) . (٢) .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٠

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٩ .

وهناك آيات تحكى عن المنكرين للبعث ، وصفهم للحالة التى يصيرون اليهـــا ، كتمزق أبدانهم قطعا ، وتحلل أجزائها واختلاطها بأجزاء الأرض ، وصيرورتهم عظامـــا مفتتة ، وأخرى تصف تصورهم بصورة التراب .

ومن تلك الآيات قوله تعالى :

(١) (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفـــى خلق جديـــد) . (١) .

(٢) (وقالوا أئذا أضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد ، بل هم بلقاء ربهـــم كافـــرون) . (٢) .

(٣) وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، قال من يحيى العظام وهي رميم) . (٣) .

(٤) (أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) . (٤) .

فهذه الآيات جميعا تحكى عن الجاحدين استبعادهم لاعادتهم بعد تفـــرق أبدانهم وتحولها عن هيئتها وتركيبها ، وزوال صورتها الأصلية البشرية الى الحالة الـــتى وصلت اليها اذ أصبحت أجزاءا مختلطة بغيرها ، وأبلغ تغير هو تحولها الى صورة الـــتراب بحيث لايستطيع الانســـان تمييز أجزائها من أجزائه ، وليس فى هذا دليل على الاعدام النهائى المطلق ، وانما هو دليل على التغير الكامل ، لأنهم صاروا ترابا والتراب شـــئ موجـــود . وهو أصلهم الذى أنشئوا منه ، ثم أعيدوا اليه ، وأخيرا يخرجون منـــه تارة أخرى ، يقول تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) (٥) .

وهناك آيات أخرى هي نص صريح فى موضوع الجمع ، من الله تبارك وتعالـــى ، يقول تعالى فى سورة الحج ، بعد ذكره دليل الاعادة :

: (ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قديـــر . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبـــور) .

---

(١) سورة سبأ آية ٧ .

(٢) سورة السجدة آية ١٠ .

(٣) سورة يـــس آية ٧٨ .

(٤) سورة ق آيـــة ٢

(٥) سورة طـــه آيـــة ٥٥ .

ومعلوم أن الذى فى القبور أجزاء الموتى بعد أن تفتت ، واختلطت بأجزاء الأرض ، فالله قادر على تمييزها ، ثم تأليفها واعادتها الى حالتها الأولى .

وفى سورة القيامة آيتان صريحتان فى جمع أجزاء الانسان المتفرقة ، بل أنهما أقوى دليل على ذلك ، وأبلغ دليل فى تصوير القدرة الالهية . يقول تعالى : (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه) . (بلى قادرين على أن نسوى بنانه . (١) .

فقد صرحت الآية بجمع عظام الانسان المتفرقة ، كما نصت على تسوية بنانه ، وقد كشفت العلوم الحديثة عن هذا السر ، اذ تبين أن البشرية بأسرها ، قد ميز الله العليم القادر بين جميع أفرادها ، بميزة لايمكن أن يشترك فيها اثنان منهم ، حتى الأب مع ابنه ، تلك الميزة هي اختلاف البنان ، تلك الخطوط الدقيقة فى أنامل كل انسان ، فقد ثبت علميا اختلاف بصمات أفراد البشرية فى هذا العالم كله ـ أى اختلاف بنانهم .

واذا كان الأمر كذلك ، وقد أخبر تعالى أنه قادر على جمع عظام الانسان واعادة بنان كل فرد بهيئته وشكله وصورته ، فكيف يستبعد الجاحد على من هذه قدرته ، اعادته الى الحياة مرة أخرى .

والتالى فالآية نص صريح فى جمع الأجزاء المتفرقة حتى أصغر جزء منها ، ودليل على أن بدن الانسان يتفرق ولاينعدم .

الراجح من القولين :

وبعد عرض هذه الآيات من القرآن الكريم ، يتبين لنا أن الأولى بالترجيح هو القول بتفرق بدن الانسان ، لاعدامه ، ذلك التفرق الذى تذهب معه الصورة الأصلية لأجزاء بدن الانسان وتتغير تغيرا كليا ، بحيث تصبح متصورة بصورة التراب ، وهذا ليس معناه عدما فان التراب موجود ، وهو أصل مادة الانسان ، فمنه وجد ، واليه يعاد ، ومنه يخرج مرة أخرى ، قال تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) . (٢) .

الا مانصت السنة الصحيحة على بقائه بعينه ، وعدم تحوله عن صورته ، وهو (عجب الذنب) الذى منه يركب خلق الانسان ، فقد ثبت فى الصحيحين بقاؤه بعينه وأن الأرض لاتأكله أبدا . ففى صحيح البخارى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مابين النفختين أربعون . قالوا : أربعون يوما ؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون شهرا ؟

---

(١) سورة القيامة آية ٣ ، ٤ .

(٢) سورة طه آية ٥٥ .

قال : أبيت . قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أبيت . ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ، ليس من الانسان شيء الا يبلى ، الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة) . (١) .

وفى رواية مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان فى الانسان عظما لا تأكله الأرض أبدا . فيه يركب يوم القيامة . قالوا : أى عظم هو ؟ يا رسول الله ، قال : " عجب الذنب ") . (٢) .

---

(١) محمد بن اسماعيل البخارى .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا ، رقم الحديث ٤٩٣٥ ، من فتح البارى جـ ٨ ص ٦٨١ ، ٦٩٠ ، ومسلم فى كتاب الفتن / باب مابين النفختين ، رقم الحديث ١٤١ جـ ٤ ص ٢٢٧١ — ترقيم عبد الباقى .

ز/جاها

ثانيا : ـ أجساد الأنبياء فقد حرم الله على الأرض أن تأكلها ،

فقد روى النسائى وأبو داود من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فان صلاتكم معروضة عليّ . قالوا : يارسول الله ، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ أى يقولون قد بليت . قال : ان الله عز وجل قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام) . (١) .

ويقول ابن القيم فى مفتاح دار السعادة ماملخصه :

" ماخلقه الله سبحانه وتعالى فقد أوجده لحكمة فى ايجاده ، فاذا اقتضت حكمته اعدامه جملة واحدة ، أو تغييره وتحويله من صورة الى صورة بدله وغيره وحوله ، ولم يعدمه جملة ، قال : ومن فهم هذا فهم مسألة المعاد ، وما جاءت به الرسل فيه ، فان القرآن والسنة ، انما دلا على تغيير العالم وتحويله وتبديله لاجعله عدما محضا واعدامه بالكلية ، فدل على تبديل الأرض غير الأرض والسموات ، وعلى تشقق السماء وانفطارها وتكوير الشمس ، وانتشار الكواكب ، وسجر البحار ، وأنزال المطر على أجزاء بنى آدم المختلطة بالتراب ، فينبتون كما ينبت النبات ، وترد تلك الأرواح بعينها ، الى تلك الأجساد التى أحيلت ، ثم أنشئت نشأة أخرى ... فهذا هو الذى أخبر به القرآن والسنة ، ولا سبيل لأحد من الملاحدة الفلاسفة وغيرهم الى الاعتراض على هذا المعاد الذى جاءت به الرسل بحرف واحد .

---

(١) النسائى ، سنن النسائى المجتبى ، كتاب الصلاة / باب فضل يوم الجمعة جـ ٣ ص ٧٥ الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م .

قال المناوى فى فيض القدير ، قال الحاكم على شرط البخارى : انتهى ، وليس كما قال ، فقد قال الحافظ المنذرى وغيره له علة دقيقة أشار اليها البخارى وغيره وغفل عنها من صححه كالنووى فى الرياض والأذكار جـ ٢ ص ٥٣٥ رقم الحديث ٢٤٨٠ .

ز/جامعا

وانما اعتراضاتهم على المعاد الذى عليه طائفة من المتكلمين أن الرسل جاءوا به ، وهو أن الله يعدم أجزاء العالم العلوى والسفلى كلها فيجعلها عدما محضا ، ثم يعيد ذلك المعدم وجودا ، وليست شعرى أين فى القرآن والسنة أن الله يعدم ذرات العالم وأجزاءه جملة ثم يقلب ذلك المعدم وجودا .

وهذا هو المعاد الذى أنكره الفلاسفة ، ورموه بأنواع الاعتراضات ، وضروب الالزامات ، واحتاج المتكلمون الى تعسف الجواب وتقريره بأنواع المكابرات ، وأما المعاد الذى أخبرت به الرسل ، فبرىء من ذلك كله ، مصون عنه لا مطمع لعقل فى الاعتراض عليه ، لايقدح فيه شبهة واحدة وقد أخبر سبحانه أنه يحيى العظام بعد ماصارت رميما ، وأنه قد علم ماتنقص الأرض من لحوم بنى آدم وعظامهم ، فيرد ذلك اليهم عند النشأة الثانية ، وأنه ينشىء تلك الأجساد بعينها بعد ما بليت نشأة أخرى ، ويرد اليها تلك الأرواح ... الخ . (١) .

واذا كنا قد رجحنا القول بأن الاعادة عن تفريق ، لاعن عدم محض ، وأن الله عز وجل يفرق أجزاء الأجسام ، ثم يعيدها ، فما هو الجواب على مااستدل به القائلون بانعدام الأبدان ، من قوله تعالى : (كل شيء هالك الا وجهه) . (٢) .

وقوله تعالى : (كل من عليها فان) . (٣) .

يرى القائلون بتفرق الأبدان أن الاستدلال بهاتين الآيتين على انعدام الأبدان كلية ضعيف ، ذلك أن التفريق هلاك كالاعدام ، لأن هلاك الشيء هو خروجه عن صفاته التى كان عليها وزوال التأليف والتركيب الذى به تصلح الأجزاء لأفعالها وتتم به منافعها . ومثل الهلاك الفناء عرفا ، فان البدن اذا تغير بحيث أصبح ترابا ، فقد صار فى حكم المعدوم من حيث تغير صورته ، وكل مايمتاز به من مقوماته ، وقد قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : (كل من عليها فان) ، إنه إخبار من الله تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون ، أجمعون ، وكذلك أهل السماوات الا من شاء الله ، ولايبقى أحد سوى وجهه الكريم فان الرب تعالى ، هو الحي الذى لايموت ، قال : وهذه الآية كقوله تعالى : (كل شيء هالك الا وجهه) . (٤) . فعلى هذا التفسير يتضح أن المقصود من الآيتين هو موت الأحياء جميعا وتغير صورهم ، بل وصور الأشياء جميعا ، كماتقدم توضيحه فى كلام ابن القيم . والله أعلم . ،،،

---

(١) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة جـ ٢ ص ٣٥ (٢) سورة القصص آية ٨٨ .
(٣) سورة الرحمن آية ٢٦ . (٤) ابن كثير ، التفسير جـ ٤ ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

خاتمة البحث :

أما بعد فلقد تبين لنا من خلال هذا البحث وما كتبته فيه ، أن الأساس الذى يقوم عليه صلاح الفرد الذى هو لبنة فى المجتمع ، هو العقيدة الصحيحة والايمان الراسخ بالله تعالى خالق هذا الكون ومدبر أمره ، واثبات انه الواحد الأحد الذى لايستحق العبادة أحد سواه ، اذ هو خالق العباد ورازقهم ، ومن حقه ان يحمد ويشكر على ماأنعم وأعطى ، فكيف يتوجه العبد بحقه الى غيره بل يجب أن يخص بالعبادة " اياك نعبد واياك نستعين "

وقال تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين " (١) .

ومن اجل ذلك كان كل نبى يبدأ دعوته قومه بتحقيق هذه الغاية ، وهى الايمان بالله وحده ، والتصديق بوجوده ، ووجوب صرف كل أنواع العبادة اليه .
لان العقيدة الصحيحة السليمة هى الأساس الأول الذى يبنى عليه جميع فروع الشريعة .

ثم يتبع الايمان بالله تعالى ، الايمان بجميع الحقائق الاخرى التى جاءت عن الله تعالى ، كالايمان بعالم الملائكة وهم خلق من مخلوقات الله ، منهم من وكلوا بحفظ الانسان ومراقبته واحصاء اعماله ، كما قال تعالى :
: " وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون " (٢) .
ومنهم من يتولى وحى الله الذى انزله الى رسله وغير ذلك
وعموما الايمان بوجودهم وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلوم ماتؤمرون .

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ ـ ٥٨

(٢) سورة الانفطار آية ١٠ ـ ١٢

ثم الايمان بما أنزل الله من كتب فيها آية البشرية وسعادتهم فى الدنيا وفلاحهم وفوزهم فى الآخرة .

والايمان بأن الله تعالى قد اختار من بنى آدم أفضلهم خلقا ، وأعلاهم مكانة فخصهم برسالته الى عباده ، ليرشدوهم الى مافيه خيرهم وصلاحهم فى أمر دينهم ودنياهم .

ثم الايمان بالبعث والجزاء على الاعمال التى وقعت من المكلفين فى هذه الحياة الدنيا ، ذلك أن الايمان باليوم الآخر له أهمية فى صلاح المجتمعات واستقرار أحوالها ، فانه لا سعادة لمجتمع لا يؤمن أفراده باليوم الآخر ويوم الجزاء والحساب .

واذا كان الالحاد قد اتصف به افراد على مر العصور والدهور بغير دليل ، وكان الالحاد يشمل انكار وجود الله تعالى ، أو انكار البعث ، والحقائق الاخرى الدينية ، فانه لم يخل عصر من العصور من وجود من ينتحلون هذه الفكرة ، ويقومون على نشرها . فان هذه الظاهرة قد اصبحت فى العصور المتأخرة ، ولا سيما فى العصر الحاضر ، على مستوى الجماعات ، بل على مستوى الحكومات ، فقد أصبح الالحاد دينا يدرس فى الجامعات ، ودستورا للدولة ، ومذهبا عاما يراد نشره فى جميع أقطار الارض ، تنفيذا لما توعد به ابليس عليه لعنة الله — آدم وذريته ، فقد قام أنصاره وأعوانه ومن ركض عليهم بخيله ورجله بنشر هذا المبدأ ، فصار الإلحاد عند هؤلاء رسالة عامة ، أو جبوا على انفسهم تبليغها إلى جميع أفراد البشرية .

ويلمس الانسان أن هذه الافكار الخارجة عن حدود الدين قد تسربت الى اذهان بعض من هم فى ديار المسلمين والى عقول الاغرار منهم ، فأصبحت توجد جماعات تتبنى هذه الفكرة ، وتحاول تشكيك شباب المسلمين فى عقيدتهم بربهم ، وتزلزل — ايمانهم بخالقهم ، ومن باب أولى تشكيكهم فى الرسالات السماوية ، منكرين لها .

، أو أنها غير صالحة لهذا العصر ، عصر الحضارة والتقدم العلمي ، وتشكك فيما اشتملت عليه هذه الرسالات ، من أمور غيبية ، كالايمان بالملائكة ، والايمان بالبعث والحساب والجزاء .

وفي عرضنا لما جاء في كتاب الله تعالى ، عن الايمان بوجوده جل شأنه تعالى ، رأينا أن هذا الكتاب الذي انزله العليم الخبير بخلقه ، فيه ما يكفي لدحض كل شبهة توجه الى هذه العقيدة ، ففيه الدليل العقلي المنطقي المستند الى الامور المحسوسة والمشاهدة ، التي لا يمانع في نتائجها ولا ينكر مدلولها الا المكابر العنيد المنحرف عن فطرته البشرية .

ومن المعلوم ان من ينكر وجود الله ، لا يمكن ان يحاج بالقرآن على أنه من عند الله لانه لا يؤمن بوجوده ، ولكن بالامكان مناقشته ومجادلته بالعقل وبه المنطقي المستند الى الأدلة المادية بناء على ماعرضه القرآن في هذا الكون ، فان الكون كله مملوء بالايات الدالة على خالقها ، ومبدع صنعتها قال تعالى : " هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين " (١)

كما تبين لنا من خلال هذا البحث أن طريق القرآن التي سلكها لاثبات وجود الله ، هي اسهل الطرق واقربها الى متناول الناس جميعا ، لا فرق في ذلك بين انسان وآخر ، لأنه خطاب موجه الى الفطرة البشرية ، ممن يعلم خصائصها ومميزاتها ، وكل فرد من البشر يدرك هذا الخطاب ، ويفهم هذه الايات الموجودة في هذا الكون المشاهد بما امده الله به من الحواس والعقل .

وفي مقابل طريقة القرآن هذه ، رأينا صعوبة الطرق الأخرى ، فطريقة المتكلمين لاثبات وجود الله تعالى ، لا يدركها الا الخاصة من الناس ، وبعد التعب الشديد ،

---

(١) سورة لقمان آية ١١

وكد الذهن ، فضلا عن انها اعتمدت على مقدمات لم تثبت بعد ، كنظرية الجوهر الفرد وأن العرض لايقوم بالعرض ، بل لقد اثبت العلم الحديث بطلان نظرية الجوهر الفرد هذه .

وأما طريقة الفلاسفة ، فهي وأن اثبتت واجب الوجود بطريقة واضحة ، الا أن واجب الوجود هذا لم يكن هو " الله " سبحانه وتعالى ، الذي جاء وصفه في القرآن الكريم ، من انه الخالق لهذا العالم بمشيئته واختياره ، والعالم بكل ما فيه صغيرا كان او كبيرا ، كما انهم وصفوا " واجب الوجود " بصفات ، لا تلتقي مع ما جاء في القرآن الكريم ، كقولهم : انه عقل وعاقل ومعقول ،

وقد بين لنا القرآن الكريم ، أن النبوة تفضل من الله ورحمة ، اختص الله بها من شاء من عباده ، قال تعالى : " الله أعلم حيث يجعل رسالته " (١) فليس في استطاعة بشر اكتسابها ، كما يرى ذلك الفلاسفة ، الذين فتحوا الباب للمتنبئين برأيهم الذي يقول :
ان النبوة مكتسبة ، ويمكن حصولها عن طريق المجاهدة .

ولذلك كان من الخطأ الواضح وصف الانبياء بالأوصاف التي شاعت بين الكتاب المعاصرين كوصفهم عليهم السلام بالعبقرية أو نبوغ الشخصية ، لأنهم أسمى من ذلك .
وأعلى مكانة ، فهم يتلقون وحي السماء ويأخذون علمهم عن الله تعالى ، وقد بين القرآن الكريم أوصافهم ومنزلتهم عند ربهم سبحانه وتعالى ، وأنهم الأمناء على تبليغ ما كلفوا بأبلاغه . الحريصون على هداية أممهم وبذل النصح لهم ، وارشادهم لما فيه خيرهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة الانعام آية ١٢٤

كما أوضح القرآن الكريم أن وجود هذا الانسان على هذه الارض ليس عبثا ، وانما أوجده الله تعالى لغاية وحكمة ، قال تعالى : " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ... "

أى ليس الأمر كذلك ، بل هناك هدف ، وهناك غاية لهذه الحياة ، فلا بد أن يكون بعد الرحلة لهذا الانسان فى هذه الحياة الدنيا من الرجوع الى الله تعالى ، يوضح ذلك مسلك القرآن فى اثبات البعث ، فآية سورة الحج وهى قوله تعالى : " يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ... الآية (١)

قد أوضحت رحلة هذا الانسان من مبدأ خلقه الى ان يعود الى ربه فالمؤمن بالله تعالى يجب عليه ان يدرك :

من أين أتى ؟

ولماذا وجد ؟

والى اين يسير ؟

ولا يقول يقول عمر الخيام ؛

لبست ثوب العمر لم أستشر ... وحرت فيه بين شتى الفكر
وسوف انضو الثوب ولم ... أدر لماذا جئت أين المقر؟

لأن القرآن الكريم قد أعطى الاجابة الواضحة على هذه الأسئلة جميعا ، فبين أن الانسان خلق من تراب ثم من نطفة .

كما بين أنه وجد لعبادة الله وحده ، قال تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (٢)

---

(١) سورة الحج آية ٥
(٢) سورة الذاريات آية ٥٦

العبادة بمفهومها الواسع ﴿قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ (١)

وأوضح له ان الرجوع الى الله تعالى فاليه المصير ، واليه المآب

" أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون (٢) .
فاذا لم يكن هناك بعث وحياة بعد الموت للجزاء ، فان الخلق يكون عبثا ، والله عز وجل منزه عن ذلك قال تعالى : " وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار " (٣) .

وقال تعالى : " وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين " (٤) .
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) سورة الانعام آية ١٦٢ ـ ١٦٣
(٢) سورة المؤمنون آية ١١٥
(٣) سورة ص آية ٢٧
(٤) سورة الانبياء آية ١٦ .

ثبت المراجع

١ ـ القرآن الكريم :

ابن ابى العز علي بن محمد بن محمد بن أبى العز ٠
ـ شرح الطحاوية ٠ الطبعة الثالثة ، منشورات المكتب الاسلامى ٠

ابن أبى شريف القدسى ٠ محمد بن محمد المعروف بابن أبى شريف القدسى الشافعى المتوفى سنة " ٩٠٦ " من الهجرة ٠
ـ شرح المسايره ٠ مطبعة السعادة بمصر ٠

ابن تيمية ، شيخ الاسلام ابو العباس تقى الدين احمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة " ٧٢٨ هـ
ـ منهاج السنة النبوية ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، مكتبة دار العروبة مطبعة المدنى ، القاهرة سنة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م ٠
ـ الفتاوى ، الطبعة الاولى سنة ١٣٨٢هـ ٠ مطابع الرياض ٠
ـ شرح العقيدة الأصفهانية ، طبعة سنة ١٢٨٥ هـ
ـ النبوات ، طبع سنة ١٣٤٦هـ الناشر مكتبة الرياض الحديثه ٠
ـ العقيده الواسطية ، من التنبيهات السنية ، مطبعة الامام شارع على عبد اللطيف بالمالية بمصر ٠

ابن جرير ، محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة " ٣١٠ " هـ
ـ جامع البيان فى تأويل القرآن الطبعة الثانية سنة ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م مطبعة الحلبى بمصر ٠

ابن حزم الظاهرى ، ابو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى الاندلسى المتوفى سنة ٤٥٦هـ ٠
ـ الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، مطبعة محمد على صبيح بالأزهر بمصر طبعة سنة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م ٠

ابن حجـــر ، أحمد بن على بن حجر العسقلانى المولود سنة " ٧٧٣ـ٨٥٢ "هـ
ـ فتح البارى شرح صحيح الامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى الناشر ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة سنة ١٣٨٠هـ
ابن القيم ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبى بكر الشهيـــر بابن قيم الجوزية المولود سنة ٦٩١ ـ ٧٥١هـ
اعلام الموقعين جـ١ص١٣٠ـ١٣٤ الطبعة الاولى سنة ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م مطبعة السعادة
ـ اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تحقيق محمد سيد كيلانى الطبعة الأخيرة بمصر ، سنة ١٣٨١هـ١٩٦١م ،
الناشر مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ،
ـ مدارج السالكين بين منا زل اياك نعبد واياك نستعين ،
تحقيق / محمد حامد الفقى / الناشر دار الكتاب العربى بيروت لبنان سنـــة ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م ،
ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة ،
الناشر مكتبة الرياض الحديثـــة ،
ـ ابن الوزير ، أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليمانى الصنعانى من مجتهدى القرن الثامن الهجرى المتوفى سنة ٨٤٠هـ ،
ـ ايثار الحق على الخلق فى رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد ،
الناشر ، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر ، القاهرة سنة ١٣١٨هـ
ـ ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ،
طبع بالقاهرة ، بمطبعة المعاهد ، ادارة طباعة الجمعية العلمية الازهريـــة المصرية الملايوية ، التأريخ " بدون " ،

أبن سينـــاء ، أبو على الحسين بن سيناء المتوفى سنة ٤٢٧هـ .
ـ النجاة فى الحكمـة المنطقية والطبيعية والا لهيـــة .
الطبعة الثانية سنـة ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م .
ـ الاشارات والتنبيهـات . تحقيق الدكتور / سليمان دنيا ، طبعة سنة ١٩٥٧م ،
الناشر دار المعارف بمصـر .

ابن منظور .
ـ لسان العرب المحيط ، طبعة دار لسان العرب بيروت لبنان سنـة ١٣٨٩هـ =
١٩٧٠م .

أبو حنيفة ، النعمان بن ثابت الكوفى .
ـ كتاب الفقه الاكبر . مطبعة دار الكتب العربية الكبرى ، مصطفى البابى الحلبى بمصر
سنـة ١٣٢٧هـ .
أبو الحسن الاشعرى على بن اسماعيل الاشعرى ، المتوفى سنة ٣٣٠هـ
ـ كتاب اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع . الناشر مكتبة الخانجى ، ومكتبـــــة
المثنى ببغداد ، مطبعة مصر سنة ١٩٥٥م .
ـ الابانة عن اصول الديانـة . ادارة الطباعة المنيرية بالأزهـر .

أبو الحسن على الحسينى الندوى .
ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . الطبعة السابعة سنة ١٣٨٧هـ =١٩٦٧م
الناشر دار الكتاب العربى بيروت .

أبو الفداء ، اسماعيل بن كثير القرشى المتوفى سنة ٧٧٤هـ
ـ تفسير القرآن العظيم ، طبع دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبـــى
ـ البداية والنهاية . الطبعة الاولى سنة ١٩٦٦م . اخراج مكتبة المعارف ، بيروت ،
ومكتبة النصر الرياض .

أبو الحسين ، مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى المولود سنة " ٢٠٦-٢٦١هـ
- صحيح مسلم " وهو ثانى كتابين هما اصح الكتب المصنفة " ،
الطبعة الأولى سنة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى .

أبو داود ، سليمان بن الاشعث بن اسحاق الأزدى السجتانى .
- سنن أبى داود . الطبعة الاولى سنة ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م الناشر مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى بمصر .

أبو الوليد محمد بن رشد القرطبى المتوفى سنة ٥٩٥هـ
- الكشف عن مناهج الادلة فى عقائد الملة . الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م المطبعة العربية - القاهرة .
أبو السعود بن محمد العمادى الحنفى المولود سنة " ٩٠٠-٩٨٢هـ .
- تفسير أبى السعود ، أو ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم .
تحقيق / عبد القادر أحمد عطا / مطبعة السعادة ، الناشر مكتبة الرياض الحديثة .
الالوسي محمود الالوسى المتوفى سنة ١٢٧٠هـ
- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى .
ادارة الطباعة المنيرية ، دار احياء التراث العربى بيروت لبنان .

البخارى أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى .
- الجامع الصحيح . المطبعة السلفية ومكتبتها شارع الفتح بالروضة القاهرة سنة ١٣٨٠هـ .

الخطيب التبريزى ، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزى .
- مشكاة المصابيح . تحقيق / الشيخ محمد ناصر الدين الالبانى .
الطبعة الاولى سنة ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م منشورات المكتب الاسلامي للطباعة والنشر .

الايجـى عبد الرحمن بن احمد الايجى ٠

— المواقف بشرح السيد الشريف على بن محمد الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦هـ٠ الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م مطبعة السعادة بمصـر ٠

البغدادى أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩هـ ٠

— أصول الدين ٠ الطبعة الاولى استنابول ، مطبعة الدولة سنـة ١٣٤٦هـ =١٩٢٨م التزم طبعه مدرسة الالهيات بدار الفنون التوركية باستانبول ٠

البا قلانى أبو بكر محمد بن الطيب بن البا قلانى ٠

— كتاب التمهيد ٠منشورات جامعة الحكمة فى بغداد ، تصحيح ونشر الأب/ رتشرد يوسف مكارثى اليسوعى ، المكتبة الشرقية بيروت سنة ١٩٥٧م ٠

الجاحظ ، عمر بن بحر الجاحظ ٠

— البيان والتبيين / المطبعة التعاونية اللبنانية سنة ١٩٦٨م٠

الراغـب الأصفهانى ٠

— المفردات فى غريب القرآن ٠ / تحقيق محمد سيد كيلانى / مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ، الطبعة الاخيرة سنـة ١٣٨١هـ ٠

الزمخشرى محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨هـ ٠

— الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل ٠ الطبعة الاخيرة سنة ١٣٨٥هـ = ١٩٦٦م ٠ الناشر مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر٠

— الترمذى ، محمد بن عيسى بن سورة المتوفى " ٢٠٩ — ٢٧٩" هـ ٠ سنن الترمذى ، الطبعة الاولى سنة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧م٠

الشهرستانى أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن احمد المتوفى سنة ٥٤٨هـ ٠

— الملل والنحل / تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل / الناشر مؤسسة الحلبى وشركاه ، القاهرة سنة ١٣٨٧هـ =١٩٦٨ م ٠

الغزالى أبو حامد محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ
ـ كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد . الطبعة الأولى سنة ١٣٢٠هـ المطبعة الأدبية بمصر .
ـ احياء علوم الدين . مطبعة شركة دار الكتب العربية الكبرى مصطفى الحلبى بمصر ...
ـ الحاكم ابو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥ . المستدرك على الصحيحين فى الحديث. الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديث بالرياض.
الفخر الرازى ، ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين القرشى الطبرستانى المتوفى سنة ٦٠٦هـ
ـ التفسير الكبير . الطبعة الثانية ، الناشر دار الكتب العلمية طهران التأريخ (بدون)
الفيروز أبادى .
ـ القاموس المحيط . الناشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، التأريخ "بدون)
القاضى عبد الجبار ، المتوفى سنة ٤١٥هـ
ـ المغنى فى ابواب التوحيد والعدل . مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة سنة ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م .
الكلبى ، محمد بن احمد بن جزى الكلبى .
ـ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل . الطبعة الاولى سنة ١٣٥٥هـ
النسائى ، أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائى المولود سنة " ٢١٤هـ = ١٩٦٥م .
ـ سنن النسائى المجتبى . الطبعة الاولى سنة ١٣٨٣هـ = ١٩٦٤م . الناشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابى بمصر .
أحمد بن حنبل المولود سنة (١٦٤ ـ ٢٤١)هـ
ـ المسند ، الطبعة الاولى سنة ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م ، المكتب الاسلامى للطباعة والنشر .

أحمد الهاشمـــى ٠

ـ جواهر الادب فى أدبيات وانشاء لغة العرب ٠

الطبعة التاسعة عشر سنة ١٣٧٩هـ = ١٩٦٠م ٠ مطبعـــة السعادة بمصـــر ٠

أحمد أمين ٠

ـ مبادىء الفلسفة ٠ ـ س ـ رايو بيرت ، ترجمة احمد أمين الناشر دار الكتاب العربى بيروت ١٩٦٩م

جـواد على ٠

ـ تأريخ العرب قبل الاسلام ٠ الطبعة الاولى سنة ١٩٧٠م بيروت

جلال محمد موسى ٠

منهج البحث العلمى عند العرب ٠ الطبعـــة الاولى سنـــة ١٩٧٢م دار الكتاب اللبنانى بيروت ٠

على سامـــى النشار ٠

ـ مناهج البحث عند مفكرى الاسلام واكتشاف المنهج العلمى فى العالم الاسلامى الطبعه الثالثة سنة ١٩٦٦م دار المعارف ٠

عونى الله جاد حجازى ٠

ـ المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم ٠ الطبعة الرابعة سنـــة ١٩٧٠م دار الطباعة المحمدية بالأزهـــر القاهرة ٠

سيـــد قطب ٠

ـ فى ظلال القرآن ٠ الطبعة الثالثة سنـــة ١٩٦١م ٠ دار احياء التراث العربى بيروت لبنـــان ٠

ـ خصائص التصور الاسلامى ومقوماته ٠ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٥م دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى ، الناشر مكتبة وهبـــة بعابـــدين ٠

ـ الاسلام ومشكلات الحضارة ٠ تأريخ الطبعة (بدون)

عبد الرحمن بدوى ٠

ـ مناهج البحث العلمى ، الناشر ، دار النهضة العربية سنة ١٩٦٨م ٠

عبد الروف المناوى ٠

ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ٠ الطبعة الاولى سنة ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٨م مطبعة مصطفى محمد ٠

عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، المتوفى بمصر سنة ١٢٤٢هـ٠

ـ مختصر السيرة ٠ المطبعة السلفية ومكتبتها القاهره سنة ١٣٧٩هـ٠

محمد عبده ٠

ـ رسالة التوحيد ٠ الطبعة الحادية عشرة سنة ١٣٦٥هـ مطبعة دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى ٠

محمد عبد الله دراز ٠

ـ النبأ العظيم ٠ الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ = ١٩٧٠م ٠

محمد ابو زهرة ٠

ـ محاضرات فى النصرانية ٠ الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م ٠

محمد السيد نعيم وعوض الله جاد حجازى ٠

ـ فى الفلسفة الاسلامية وصلاتها بالفلسفة اليونانية ، الطبعة الثانية سنة ١٣٧٩هـ = ١٩٥٩م دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة ٠

محمد رشيد رضا المجدى الطبعة الثالثة سنة ١٣٥٤هـ

ـ التوحيد

محمد قطب ٠

ـ منهج التربية الاسلامية ٠ الطبعة الثانية ، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع ٠

محمود قاسم ٠

ـ المنطق الحديث ومناهج البحث ، الطبعة الخامسة سنة ١٩٦٨م دار المعارف بمصر ٠

ليكـونت ديو نوى ٠

ـ مصير البشريـــة ٠ ترجمة الاستاذ احمد عزت طـه والاستاذ عصام احمد طـه ، مطابع فتى الحرب شارع الفردوس دمشق ، التأريخ (بدون)

نـديم الجســر ٠

ـ قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م ٠ منشـورات المكتب الاسلامى بيـروت ٠

ـ كتاب " الله يتجلى فى عصر العلم " تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيـات الأرض ٠ ترجمـة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان ٠ الطبعة الثالثـة سنـة ١٩٦٨م ٠ الناشر مؤسسـة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع القاهرة ٠